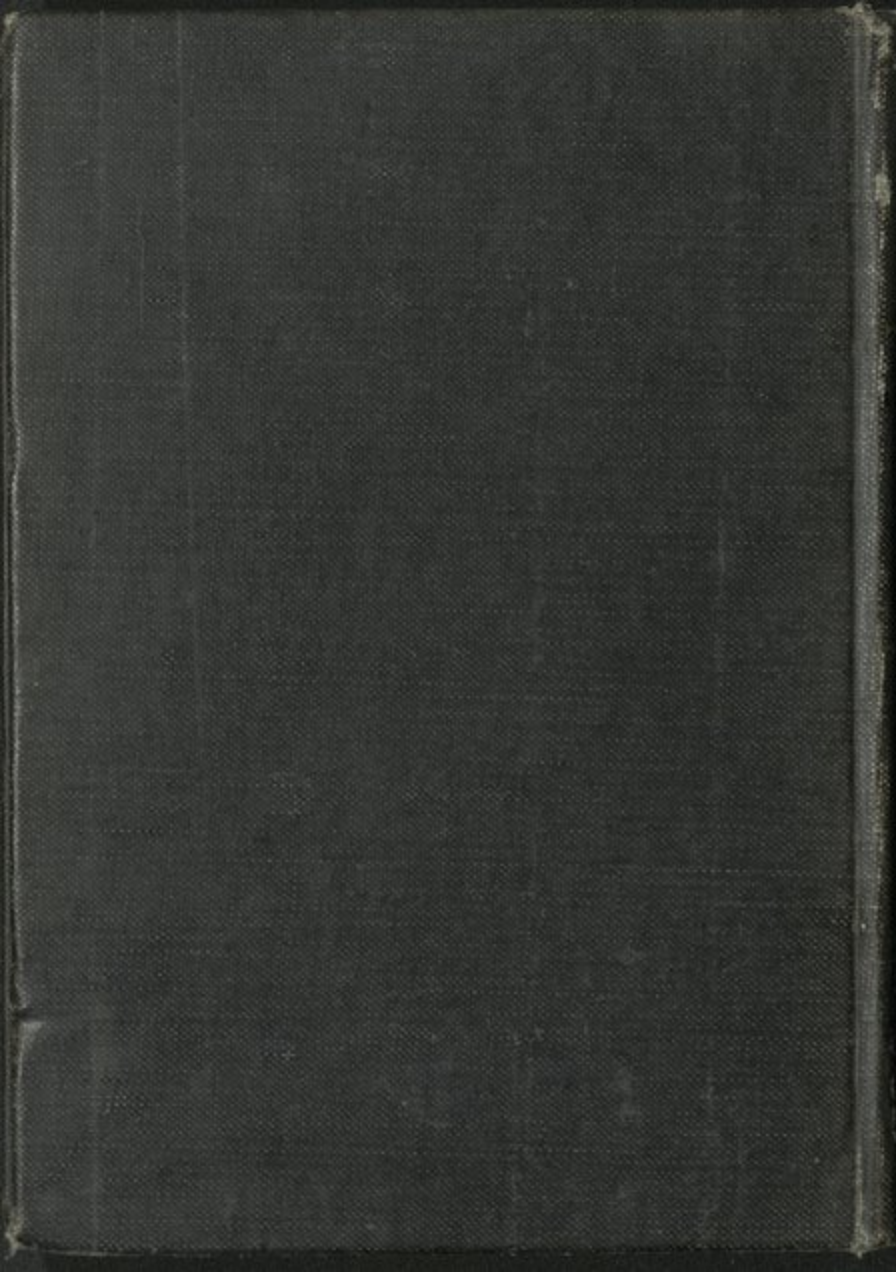
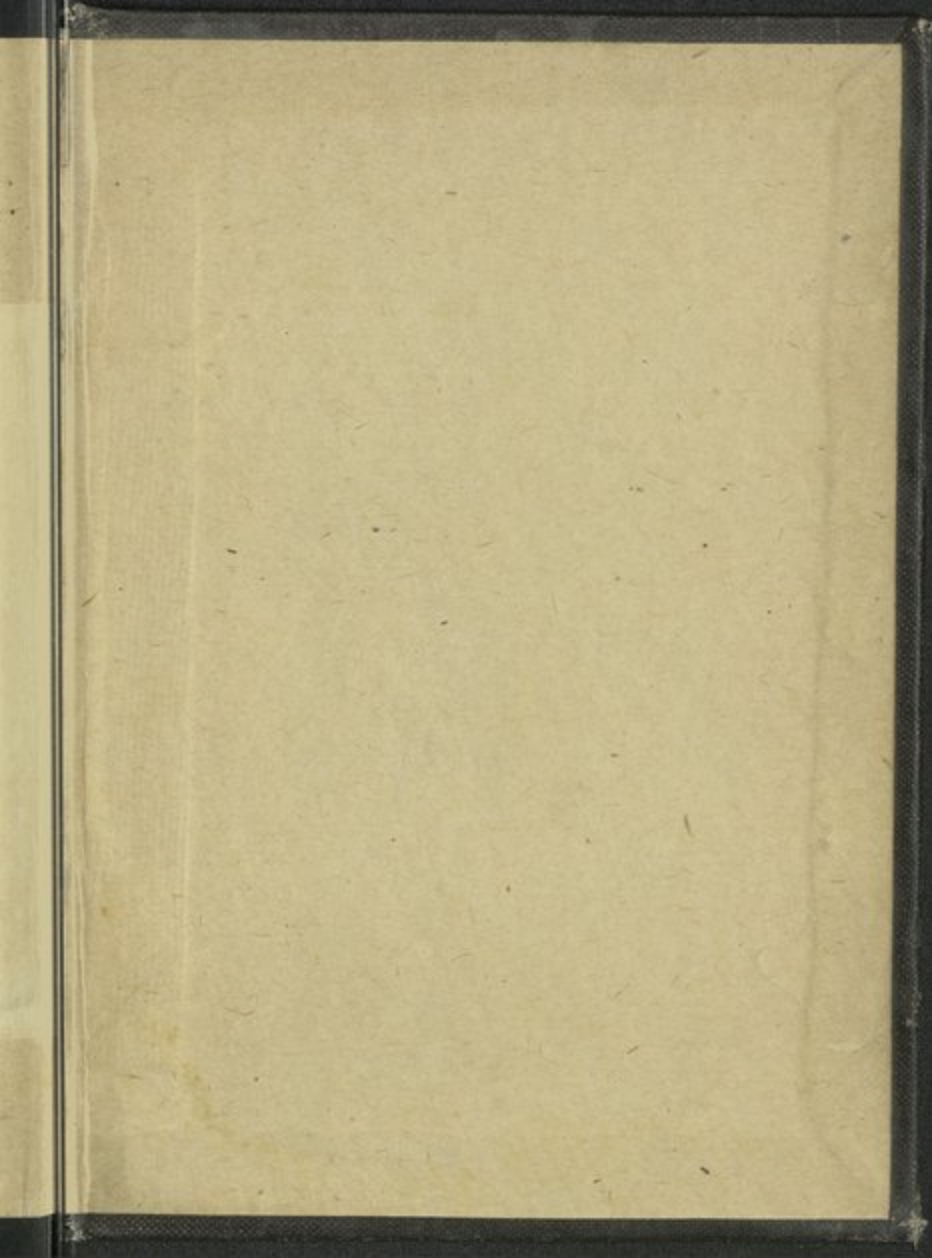






892.708

R56mA

v.2

Oct. - May 1943

892.708

R56mA

v. 2

C. 1

الدكتور أحمد فريد رفاعي

مدير إدارة المطبوعات المصرية

الوقت من ذهب

مكتبة القراءة والثقافة الأدبية للجيب

التعقيب

على المقدمة

٢

58659

مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

Cat. May 1943



إِنِّي رَأَيْتُ أَنَّهُ لَا يَكْتَسِبُ إِنْسَانٌ كِتَابًا
فِي يَوْمِهِ إِلَّا قَالَ فِي غَدِهِ: لَوْ غَيْرَ هَذَا
لَكَانَ أَحْسَنَ، وَلَوْ زَيْدٌ كَذَا لَكَانَ سَيِّئًا
وَلَوْ قُدِّمَ هَذَا لَكَانَ أَفْضَلَ، وَلَوْ تَرِكَ
هَذَا لَكَانَ أَجْمَلَ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَرِ،
وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى اسْتِيلَاءِ النَّفْسِ عَلَى
جُمْلَةِ الْبَشَرِ. الْعَادُّ الْأَصْفَحَانِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التَّعْقِيبُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى
الْأَنْبِيَاءِ أَجْمَعِينَ ، وَالرُّسُلِ وَالتَّابِعِينَ ، وَالْحَمْدُ لَهُ عَلَى
الِإِقْتِفَاءِ بِآثَارِ الْأَوَّلِينَ مِنَ السَّالِفِينَ ، وَالِإِحْتِذَاءِ
بِالصَّابِرِينَ وَالْعَاكِفِينَ ، الَّذِينَ صَدَقُوا اللَّهَ بِمَا لَهُمْ
مِنْ دِينٍ مَتِينٍ ، وَعَلَى الْإِسْتِهْدَاءِ بِمَنْ آمَنُوا بِمَا عَلَيْهِمْ
مِنْ عِبٍّ رَكِينٍ ، فَأَوْغَلُوا فِي أَدَائِهِ مُتَرَفِّقِينَ ،
وَمَضَوْا فِي تَحْقِيقِهِ دَائِبِينَ غَيْرَ وَاْنِينَ ، وَسَعَوْا قُدَمًا
فِي نَجَازِهِ جَاهِدِينَ غَيْرَ وَاَقِفِينَ .

(وَبَعْدُ) فَجَنَّبَكَ اللَّهُ الشُّبُهَةَ وَالْخَطَلَ ، وَوَقَّكَ
التَّحِيْفَ وَالزَّلَلَ ، وَأَمَدَّكَ فِي دَرَسِكَ بِالصَّبْرِ وَالْمُجَالَدَةِ ،
وَأَعَانَكَ فِي عِلْمِكَ بِالْأَنَانَةِ وَالْمُجَاهَدَةِ ، وَنَأَى بِكَ
عَنْ مَسَالِكِ الْأَغْرَارِ ، وَحَمَاكَ مِنْ مَزَالِقِ الْأَشْرَارِ ،
أَبْدَلَكَ مِنْ حُلَاكَةِ لَيْلِكَ بِوَهْجِ النَّهَارِ ، وَأَمْتَعَ قَلْبَكَ
بِالْيَقِينِ وَالْيَقِظَةِ ، وَحَلَّى خَاطِرَكَ بِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ،
وَعَمَّرَ حَصَاتِكَ بِمَسَدِّ الْحِكْمَةِ ، لِيُتِمِّزَ الْمُتَبَسِّسَ ،
وَتُصِيبَ الْفِصْلَ ، وَتَقُلَّ الْحَزَّ وَتُخْلَصَ الْمَشْكَلَ .
وَإِنِّي مُبْتَلٍ إِلَى اللَّهِ لِي وَلَكَ ، أَنْ يَجْعَلَنَا عَامِلِينَ
بِقَوْلِ الْأَقْدَمِينَ : « اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمِرَاءِ
وَقِلَّةِ خَيْرِهِ ، وَسُوءِ أَثَرِهِ عَلَى أَهْلِهِ ، فَإِنَّهُ يَهْلِكُ
الْمُرُوءَةَ ، وَيُذْهِبُ الْمَحَبَّةَ ، وَيُفْسِدُ الصَّدَاقَةَ ،

دعاء
لطالب
العلم

وَيُورِثُ الْقِسْوَةَ ، وَيُضَرِّي عَلَى الْقِحَّةِ ، حَتَّى يَصِيرَ
 الْمُوجِزُ خَطَلًا ، وَالصَّدُوقُ كَذُوبًا ، فَإِنَّا — جُعِلَتْ
 فِدَاكَ — لَوْ أَخَذْنَا بِحِكْمَةِ الْأَوَّلِ ، وَمَضَيْنَا فِيمَا نَحْنُ
 بِسَبِيلِهِ ، مِنْ خِدْمَةِ لُغَتِنَا ، وَتَثْقِيفِ قَوْمِنَا ، فِي غَيْرِ
 جَلْجَلَةٍ وَلَا اضْطِرَابٍ ، وَفِي غَيْرِ هُجْنَةٍ أَوْ عَابٍ ، وَفِي
 غَيْرِ مُهَاتَرَةٍ أَوْ مُقَاوَلَةٍ ، فَإِنَّا نُصِيبُ وَشَلًّا مِنْ فَضْلِ
 لَا نَلْبَثُ حَتَّى تُمْطِرَنَا سُحُبُهُ ، وَتَعْمُرَنَا دِيْمُهُ ، بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ .

وَالآنَ نَطَالِعُكَ بِمَا ارْتَهَنَّا بِهِ لِرَغْبَتِكَ الرَّاغِبَةِ ، موضوع
الكتاب
 وَشَوْقِكَ الشَّيْقِ ، وَغَرَامِكَ الْغَرِيمِ ، لِلْأَدَبِ وَفِي
 الْأَدَبِ بِقَبَسٍ مِمَّا قَرَأْنَاهُ يَهْدِي مِنَ الشَّيْخِ أَوْ فِي
 حَضْرَتِهِ ، وَبَحْثٍ مِنْهُ أَوْ عَلَى شِرْعَتِهِ ، فَنَبْدَأُ لَكَ
 بِرِسَالَاتِ الْمَعَرِّي ، فَلَمَّا وَرَدِي ، فَالْحَلَلِي ، فَأَبْنِ مِمَّا تَنِي ،

فَعَلِيَ ابْنِ خَلَفٍ . ثُمَّ نَتَقِلُ بِكَ إِلَى كِتَابِ التَّذْيِيلِ
فَنُشْرِفُ بِكَ فِيهِ عَلَى الرِّسَالَةِ الْعُذْرَاءِ ثُمَّ نَعْرُجُ بِكَ
عَلَى مَا رَوَاهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي أَبْوَابِ الْبَيَانِ وَكُتُبِ
الْأَمَانِ ، فَشَتَاتٍ عَنِ الْأَدَبِ وَفِي الْأَدَبِ . وَتَفْضِيلِ
الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ عَلَى الْأَعْجَمِيِّ . ثُمَّ نَتَقِلُ بِكَ إِلَى
رِسَالَاتٍ فِي الْإِنْتِقَادِ وَعُيُونِ الْخُطَبِ . وَبِذَلِكَ يَنْتَهِي
كِتَابُ التَّذْيِيلِ . وَنَرْجُو أَنْ تُتِمَّ قِصَّتَنَا مَعَكَ .
مِنْ مَوَاقِفِنَا مَعَ الشَّيْخِ . وَكِبَارِ تَلَامِيذِهِ . وَمَا نَرَاهُ
فِي الْأَدَبَيْنِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ فِي كِتَابِ التَّعْلِيْقِ عَلَى
الْمُقَدِّمَةِ . لِيَكُونَ سِفْرُنَا هَذَا وَسَابِقُهُ وَلَا حِقُّهُ
وَوَلِيدُهُ ، كَتَقْدِمَةٍ لِمَا نَنْتَوِيهِ لَكَ مِنْ مَيْلٍ إِلَى ثِقَافِكَ
كَبِيرٍ . وَحَدَبٍ عَلَى تَهْذِيبِكَ وَفِرِّ رَعَاكَ اللَّهُ وَيَاكَ .



كَتَبَ أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعَرِّي إِلَى أَبِي الْقَاسِمِ الْحُسَيْنِ
ابْنِ عَلِيٍّ الْمَغْرِبِيِّ ، قَالَ : —

رِسَالَةُ
الْمَعَرِّي
إِنْ كَانَ لِلْآدَابِ — أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءِ سَيِّدِنَا —
نَسِيمٌ يَتَضَوّعُ^(١) . وَلِلذِّكَاءِ نَارٌ تُشْرِقُ وَتَلْمَعُ . فَقَدْ
فَعَمْنَا^(٢) عَلَى بُعْدِ الدَّارِ أَرْجُ^(٣) أَدْبِهِ . وَمَحَا اللَّيْلَ عَنَّا
ذِكَاؤُهُ بِتَلْهِيهِ . وَخَوَّلَ الْأَسْمَاعَ سُوفًا^(٤) غَيْرَ ذَاهِبَةٍ .
وَأَطْلَعَ فِي سُوَيْدَاوَاتِ^(٥) الْقُلُوبِ كَوَاكِبَ لَيْسَتْ
بِغَارِبَةٍ . وَذَلِكَ أَنَا مَعَشَرَ أَهْلِ هَذِهِ الْبَلَدَةِ وَهَبَ لَنَا
شَرَفَ عَظِيمٍ . وَالْقِيَإِإِلَيْنَا كِتَابٌ كَرِيمٌ . صَدَرَ عَن

(١) يتضوع : يتحرك (٢) فعم : ملاء وعم (٣) أرج أدبه :
طيب كلامه (٤) أى جعلها تطرب من بلاغة حديثه والشنف بمعنى القرط
(٥) السويداء مفرد سويداوات : وهى حبة القلب .

حَضْرَةَ السَّيِّدِ الْحَبْرِ . وَمَالِكِ أَعْنَةَ^(١) النَّظْمِ وَالنَّثْرِ .
 قِرَاءَتُهُ نُسْكَ^(٢) . وَخِتَامُهُ بَلْ سَائِرُهُ مِسْكَ . وَفِي
 ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ . أَجَلٌ^(٣) عَنِ التَّقْبِيلِ ،
 فَظِلَالُهُ الْمُقْبَلَةُ . وَنُزُهُ^(٤) أَنْ يُتَذَلَّ ، فَنُسْخُهُ الْمُبْتَذَلُ .
 وَإِنَّهُ عِنْدَنَا لَكِتَابٌ عَزِيزٌ . وَلَوْلَا الْإِلَاحَةُ^(٥) .
 عَلَى مَا ضَمَّنَ مِنَ الْمَلَاحَةِ ، وَالْخُشْيَةُ عَلَى دُجَى مِدَادِهِ
 مِنَ التَّوَرُّعِ . وَنَهَارِ مَعَانِيهِ مِنَ التَّشْتِ وَالْتَقَطْعِ .
 لَعَكَفَتْ عَلَيْهِ الْأَفْوَاهُ بِاللَّسْمِ^(٦) . وَالْمَوَارِنُ^(٧)
 بِالْإِنْتِشَاءِ وَالشَّمِّ . حَتَّى تَصِيرَ سَطُورُهُ لَمَى^(٨) فِي

(١) الأعنة جمع عنان : والعنان الحبل للدابة تقاد به . (٢) نُسْكَ :
 أى عبادة . (٣) أى منع من التقبيل . (٤) ارتفع عن تناول الأيدي .
 (٥) الأشفاق (٦) اللثم : التقبيل . (٧) الموارن : جمع مارن .
 وهو ما لان من الأنف . (٨) واللمى : سمره في الشفتين

الشَّفَاهِ . وَخِيَلَانًا^(١) عَلَى مَوَاضِعِ السُّجُودِ مِنَ الْجِبَاهِ .
 وَلَوْ لَا مَا حَظَرَهُ^(٢) الدِّينُ مِنَ الْقِمَارِ^(٣) . وَعَابَهُ مِنْ
 رَأْيِ الْجَهْلَةِ الْأَنْعَمَارِ^(٤) . وَأَنَّ شَرِيعَةَ الْإِسْلَامِ .
 اعْتَرَضَتْ دُونَ إِجَالَةٍ^(٥) الْأَزْلَامِ^(٦) لَضَرْبِنَا عَلَيْهِ
 بِالسَّبْعَةِ الْفَائِزَةِ^(٧) ، وَالثَّلَاثَةِ الَّتِي لَيْسَتْ لِحَظِّ
 بِالْحَائِزَةِ^(٨) . وَمَعَاذَ الْأَحْلَامِ أَنْ يَطْمَئِنَّ خَلْدُ^(٩)
 الْمُنَافِسِ الشَّحِيحِ . إِلَى أَحْكَامِ النَّافِسِ^(١٠) وَالْمُنْتَبِهِ^(١١) .
 وَإِنَّمَا كَانَتْ أَوْلِيَاءُ سَيِّدِنَا — جَعَلَ اللَّهُ لِسَانَهُ^(١٢) —

- (١) الخيلان : العلامة التي في وجه المصلي من أثر السجود « زبيبة الصلاة » (٢) حظره : منعه (٣) القمار كان في الجاهليات بالقداح . وفي زماننا بكل شيء (٤) الأنعمار : الأغنياء (٥) الاجالة : الادارة (٦) الازلام : سهام الميسر (٧) الفائزة : أى التي لها نصيب (٨) الحائزة : التي لا نصيب لها (٩) الخلد : القلب (١٠) المنافس : القدح الخامس من أقداحهم (١١) القدح الثامن (١٢) الشانء : المبعوض

كَوْكَبٌ ^(١) الرَّجْمِ . وَحَادِي ^(٢) النَّجْمِ — تَيْسِرٌ ^(٣)
 عَلَى إِقَامَةِ الصَّحِيفَةِ فِي الْمَنَازِلِ لِلْأَنْسِ الْمَطْلُوبِ .
 لَا عَلَى مَقَادِيرِ السَّحَا ^(٤) مِنْ ذَلِكَ الطَّرْسِ الْمَكْتُوبِ .
 وَأَحْسِبُهُمْ يُوقِعُونَ عَلَيْهَا السُّهْمَةَ ^(٥) الْوَاقِعَةَ عَلَى كِفَالَةِ
 الْبُتُولِ . وَالْحَاكِمَةَ فِي السَّفَرِ يَنْ صَوَاحِبِ الرَّسُولِ .
 فَيَا شَرْفَهُ مِنْ صَكِّ ^(٦) بِالْفَخْرِ . يُبَجِّحُ ^(٧) بِهِ عَلَى
 النَّظَرَاءِ حَيْرِي ^(٨) الدَّهْرِ . مُوشَّحًا بِكُلِّ شَذَرَةٍ
 أَغْذَبَ مِنْ سُلَافِ الْعُنُقُودِ . وَأَحْسَنَ مِنَ الدِّينَارِ
 الْمُنْقُودِ . فَجَاءَ كَلَوَائِحِ الْبُرُوقِ . أَوْ يُوحَ ^(٩) عِنْدَ

(١) نجم وشهاب يهلكهم (٢) أى الدبران لتشاؤمهم به

(٣) تيسر : من يسر الرجل اذا لعب الميسر بالقداح المعروفة لديهم

(٤) السحا : مفردة سحاة . وهى القطعة التى تقطع من القرطاس

(٥) السهمية : الفرعة الواقعة على كفالة البتول سيدتنا مريم عليها السلام

(٦) الصك : الكتاب (٧) يبجح : يفخر (٨) حيرى الدهر :

أى مدة الدهر . ويوم الشمس (٩) يوح اسم من أسماء الشمس

الشُّرُوقِ . وَلَمْ يَزَلْ لَوَلِيَّهِ إِلَى جَنَابِهِ جَنَبٌ^(١)
 الْفَانِيَّةِ . إِلَى عَيْشٍ^(٢) الْغَانِيَّةِ . وَأَنْضَاءٍ^(٣) الْإِعْلَالِ .
 إِلَى إِفْضَاءٍ^(٤) الْإِبْلَالِ . وَلَوْ أَنَّ شَوْقَهُ إِلَى حَضْرَتِهِ
 الْجَلِيلَةِ تَمَثَّلَ . فَشَلَّ . وَتَجَسَّمَ حَتَّى يُتَوَسَّم . لَمَلَأَ
 ذَاتَ الطُّولِ وَالْعَرْضِ^(٥) . وَشَغَلَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ
 وَالْأَرْضِ . وَلَمْ يَكْتَفِ حَتَّى يُكَلِّفَ الْخُطُوَةَ . أَنَّ
 تَسَعَ صَهْوَةٍ^(٦) . وَالرَّاحَةَ . أَنَّ تَكُونَ مِثْلَ السَّاحَةِ .
 وَبَلَغَ وَلِيَّهُ السَّلَامُ الَّذِي لَوْ مَرَّ بِسَامَةِ^(٧) وَارِيَةٍ
 لَاغْدَقَتْ . أَوْ سَامَةِ^(٨) عَارِيَةٍ لَاوْرَقَتْ . فَحَمَلَ

(١) جنب الفانية : شوقها (٢) عيش الغانية : أى إلى الصبا

(٣) أنضاء الاعلال : شوق المرضى (٤) إفضاء الابلال : الشفاء

والبراء (٥) أى الارض (٦) الصهوة : المطبق من الارض تأوى

إليه ضوال الابل (٧) صخرة (٨) شجرة السلم المعروف

فَوَادِي مِنَ الطَّرَبِ عَلَى رَوْقٍ^(١) الْيَعْفُورِ . بَلْ
فَوْقَ جَنَاحِ الْعُصْفُورِ . فَكَأَنَّمَا رَفَعَنِ الْفَلَكَ .
أَوْ نَاجَانِي الْمَلَكُ . جَذَلًا^(٢) بِمَا لَوْ جَاَزَ تَبَدُّلُ
الْغَرِيْزَةِ . وَتَحَوُّلِ النَّحِيْزَةِ^(٣) . لَنَقَلَنِي مِنْ آلِي^(٤)
الْعَامَّةِ . إِلَى عَلِي السَّامَةِ^(٥) . نَقَلَ الْكِيْمَاءِ .
مَا خَالَطَ مِنَ الْمُرَاقِبِ^(٦) الْجَائِزِ . إِلَى جُمْلَةِ النُّضَارِ
الْمُمَايزِ . وَكَدْتُ لَوْ لَا اشْتِمَالُ الْمَخَافِ عَلَى هَذِهِ
الْمُحَلَّةِ . وَاشْتِعَالِ الضَّمَائِرِ بِقَبَسِ^(٧) الْغُلَّةِ . أَحْسَبُ
سَلَامَةَ السَّلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ الْبَارِئُ جَلَّ اسْمُهُ فِي
قَوْلِهِ . « ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ » . أَفَبَلَدْتَنَا

(١) قرن الغزال (٢) الجذل الفرح (٣) النحيزة : الطبيعة .

ومنها يقال هو كرم النحاز أى الأصل (٤) آلى : أى مقصرى

(٥) الخاصة من الناس (٦) الدرهم المطلى بالزئبق (٧) القبس : الشعلة

جِنَانٌ . أَمْ وَضَحَ لِأَهْلِهَا الْغُفْرَانُ . أَمْ نُشِرُوا^(١)
 بَعْدَ مَا قُبِرُوا . أَمْ جُزُوا^(٢) الْعُرْفَةَ^(٣) بِمَا صَبَرُوا .
 فَهُمْ يُلَقَوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا . وَإِنْ نَالُوا بِمَنِّهِ
 أَوْصَافَ الْأَتْقِيَاءِ الْأَبْرَارِ . فَقَدْ نَزَلَتْ بِهِمْ خَلَّةٌ^(٤)
 مِنْ خِلَالِ الْأَشْقِيَاءِ الْكَفَّارِ . وَذَلِكَ أَنَّهُمْ بِأَسَدِ
 الْبَلَاغَةِ افْتُرِسُوا . وَبِأَسْبَابِهَا عُقِدَتْ أَلْسِنَتُهُمْ عَنْ
 الْجَوَابِ فَخَرِسُوا . فَكَأَنَّمَا قِيلَ لَهُمْ « هَذَا يَوْمٌ
 لَا يَنْطِقُونَ . وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ » . وَإِنَّمَا
 غَرِقُوا فِي لُجِّ التَّبَانَةِ^(٥) فَصَمَتُوا . وَسَمِعُوا صَوَاعِقَ
 الْإِبَانَةِ فَخَفَّتُوا . فَقَلَمُ كَاتِبِهِمْ عُوذُ النَّاكِتِ^(٦) .

(١) النشور: الاحياء بعد الموت (٢) أى أعطوا (٣) المراد الجنة

(٤) خلة : أى صفة (٥) التبانة : القطانة (٦) الناكِت :

الذى يبحث الارض يعود أو بقلم الخجل أو تفكير

وَجَوَابُ بَلِيغِهِمْ حَيْرَةُ السَّاكِتِ . عَلَى أَنَّهُمْ قَدْ
 رَأَوْا تَصْرِيفَ الْخُطَابِ فَصُرِفُوا . وَعَرَفُوا مَكَانَ
 فَضْلِهِ فَأَعْتَرَفُوا . وَتَرَاءَوْهُ مِنْ مَبَارِكِ الْعُرُوجِ ^(١) .
 فَلَمْ حَوِّهُ ^(٢) فِي مَارِكِ ^(٣) الْبُرُوجِ . وَاسْتَنْهَضَهُمُ الْهِمَمُ
 إِلَى مُدَانَاتِهِ فَعَجَزُوا . وَوَعَدُوا هَوَاجِسَهُمْ ^(٤) التَّبَلُّدَ
 فَأَنْجَزُوا . وَلَنْ تُوجَدَ آثَارُ النُّوقِ ^(٥) . فِي أَوْكَارِ
 الْأَنْوُقِ . فَهُمْ يَتَأَمَّلُونَ وَمِيضُهُ الْأَلِقِ ^(٦) . وَيَحْمَدُونَ
 إِلَهَ الْخَالِقِ . عَلَى مَا مَنَحَهُ . سَيِّدَهُمْ مِنَ الْإِقْتِدَارِ .
 بِدَقِيقِ الْأَفْكَارِ . عَلَى إِعَادَةِ الْيَمِّ كَالْغَدِيرِ ^(٨) الْمُسَمَّى

(١) العروج : جمع عرج . وهو الحملة من الابل (٢) التمسوه ونظروه

(٣) المآرك جمع مارك : وهو البعد (٤) الهواجس : جمع هاجس .

وهو ما يحول بخاطر ك (٥) الفوق : الابل (٦) الانوق : الطير

(٧) الألق : اللامع (٨) الغدير : ما يغادره السيل

بِالْفَدْرِ وَالْحَاقِ السَّهْيِ ^(١) بِالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ^(٢) .
وَلَمْ يَزَلِ الْمَاشِي الْعَازِمُ ^(٣) . أَسْرَعَ مِنْ رَاكِبِ
الرَّازِمِ ^(٤) . فَكَيْفَ بِمَنْ أَمْتَطَى عَزْمُهُ كِتْدَ ^(٥)
الرَّيْحِ . وَحَكَمَ لَهُ سَعْدُهُ بِالسَّعْيِ النَّجِيجِ وَخَصَّهُ
بَارئُهُ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ بِطَبِيعِ رَاضٍ ^(٦) . صِعَابِ
الْأَغْرَاضِ . حَتَّى ذَلَّلَهَا . وَأَبَسَ ^(٧) بِوُحُوشِ اللِّغَاتِ
فَأَهْلَهَا . فَصَارَ حَزْنُ ^(٨) كَلَامِ الْعَرَبِ إِذَا نَطَقَ بِهِ
سَهْلًا . وَرَكِيكُهُ إِنْ أَيْدَهُ بِصَنْعَتِهِ قَوِيًّا جَزَلًا ^(٩) .
فَسْئَلُهُ مَثَلُ جَارِسَةِ الْكَحْلَاءِ ^(١٠) . تَسْمَحُ بِالْمَسَائِبِ

(١) نجم خفي في بنات نعل (٢) ليلة التمام : (أى الرابع عشر)

(٣) العازم : المجد (٤) الازم : الابل (٥) الكتد : ما بين

الكاهل أم الظهر (٦) راض : ذغل (٧) أبس : دعا الناقة للحلب

فهو يشبه اللغة بالناقة (٨) الحزن : الصعب (٩) الجزل : البليغ

(١٠) الكحلاء : بنت مرعى النحل

الْمِلَاءُ^(١) . تَطْعَمُ الْغَرْبَ^(٢) . وَتَجُودُ بِالضَّرْبِ^(٣) .
 وَتَجْنِي مِرَّ الْأَنْوَارِ . فَيَعُودُ شَهِدًا عِنْدَ الْاِشْتِيَارِ^(٤) .
 وَكَأَلْهَوَاءٍ فِي مَذْهَبٍ لَا أُعْتَقِدُهُ . وَقَوْلٍ سِوَايَ مَنْ
 يُسَدِّدُهُ . يَجْتَذِبُ أَجْزَاءَ الْبُخَارِ . فَيَسْقِي مَنْ تَحْتَهُ
 عَذْبَ الْأَمْطَارِ . وَمَنْ لَنَا بِأَنَّ اللَّفْظَ الْمَشُوفَ^(٥) .
 يُمَثَّلُ عَلَيْهِ التَّمَثِيلَ عَلَى الْحُرُوفِ فَتُكَلِّفَ الْبَابُنَا
 اقْتِضَابَ^(٦) الْعَسِيرِ^(٧) . وَرُكُوبَ مَا لَيْسَ يَسِيرِ .
 فَعَسَاهَا تَبْلُ^(٨) بِفَقْرَةٍ زَاهِرَةٍ . أَوْ تَظْفَرُ بِاسْتِخْرَاجِ
 لَوْلُوءَةٍ فَالْخِرَةِ . عَلَى أَنَّهُ مِنْ الْعَنَاءِ سُوءَالُ الْبَرِّمِ^(٩) .

(١) الملاء : المملوء بالعدل (٢) الغرب : نبت ضعيف مر على
 شواطئ الأنهار (٣) الضرب : العسل (٤) الاشتيار : الجنى
 (٥) المشوف : المجلوع (٦) اقتضاب الناقة : ركوبها قبل أن تراض
 (٧) العسير : الناقة التي لم تم رياضتها (٨) تبل : تشفى
 (٩) البرم : الضجر

وَرِيَاضَةُ الْهَرَمِ . وَهَيْهَاتَ بَعْدَتْ مَحَالُّ الْغَفْرِ^(١)
 الطَّالِعِ . عَنْ مَزَالِ الْغَفْرِ الطَّالِعِ^(٢) . وَأَعْجَزَ الْبَارِقِ^(٣)
 يَدَ السَّارِقِ . وَجَلَّتِ الشُّمُوسُ . عَنْ سُكْنَى
 الرُّمُوسِ^(٤) . وَلَوْ اجْتَهَدَ الْخَزَزُ^(٥) مَدَى عُمرِهِ
 مَا أَشْبَهَ ضَعْفِيئَهُ^(٦) زَيْبَرِ الْأَسَدِ . وَلَنْ يَصِيرَ
 سَوْطُ بَاطِلٍ^(٧) فِي الْقُوَّةِ كَالْمَسَدِ^(٨) . وَلَوَدِدْتَ لَوْ
 رُزِقَ لَامُهُ^(٩) مَا رُزِقَ كَلَامُهُ . لَيْنَالِ خُلُودِ الزَّمَانِ .
 وَتُعْطِيهِ الْخَوَادِثُ أَوْ كَدَ أَمَانٍ . فَإِنَّهُ أَوْلَى النَّاسِ
 بِإِضَاءَةِ النَّبْرَاسِ^(١٠) . إِذْ كَانَ فِي زَكَاةِ الْهِمَّةِ مَغْرُسُهُ .

(١) الغفر : ولد الازوية وهى أنثى الوعل (٢) الطالع : الاعرج
 (٣) البارق : البرق (٤) الرموس : القبور (٥) الخرز :
 ولد الارنب (٦) الضغيب : صوت الارنب (٧) هو الضوء الضعيف
 الذى يدخل من الكوة : أعنى الطابق الصغير (٨) المسد : حبل من الليف
 (٩) لامة : أى شخصه (١٠) النبراس : المصباح

وَبِأَجْذَالِ الْحِكْمَةِ مُذْ نَشَأَ تَمَرُّهُ . حَتَّى عَلَا
 مِنْهَا سَرَاةُ^(١) الْمُنْبَرِ . وَرَكِبَ طَائِلُهُ أَصُولَ السَّخْبَرِ^(٢)
 وَقَدْ كَانَ فِيمَنْ مَضَى قَوْمٌ جَعَلُوا الرِّسَائِلَ .
 كَالْوَسَائِلِ . وَتَزَيَّنُوا بِالسَّجْعِ . تَزَيْنَ الْمُحُولُ^(٣)
 بِالرَّجْعِ^(٤) . مَا رَقُوا فِي دَرَجَتِهِ . وَلَا وَضَعُوا قَدَمًا عَلَى
 مَحَجَّتِهِ لِكِنَّهُمْ تَعَانُوا . فَمَا تَبَايَنُوا . وَتَنَاضَلُوا . فَلَمْ
 يَتَفَاضَلُوا . وَلَوْ طَمِعُوا فِي الْوُصُولِ إِلَى مِثْلِ هَذِهِ
 الْفُصُولِ . لَأَخْتَارُوا الرَّتْبَ عَلَى الرَّتْبِ^(٥) . وَرَضُوا
 اغْتِسَافَ السَّبِيلِ . وَارْتِعَاءَ الْوَيْلِ^(٦) . لِيُذْرَكُوا
 بِطَلَبِهِمْ مَا أَدْرَكَهُ عَنْ غَيْرِ جِدٍّ . وَاغْتَرَفَهُ مِنْ بَدِيهِهِ

(١) سرّاء المنبر: أعلاه (٢) السخبّر: نوع من الثبت يطول ثم ينتهي

(٣) المحول: الأرض المجدية (٤) الرجّع: المطر (٥) الرتب: الشظف والشدّة

(٦) يقال وبل المرتع: صار وخيا

الْعِدَّة^(١) . وَكُلُّهُمْ لَوْ شَاهَدَهُ لَرَضِيَ بِأَنْ يُدْعَى
السُّكَيْتَ^(٢) فِي حَلْبَةِ سَيِّدُنَا فِيهَا سَابِقُ الرَّهَانِ .
وَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ زُجْجًا^(٣) فِي قَنَاةٍ هُوَ مِنْهَا مَوْضِعُ
السَّنَانِ . وَلَمَّا وَرَدَتْ مَعَ عَبْدِهِ مُوسَى تِلْكَ الْغَرَائِبُ
الْمُؤَنِّسَةُ . وَالْقَلَائِدُ الْمُنْفِيسَةُ . كَانَتْ بِمَنْزِلَةِ الْآيَاتِ
التَّسْعِ^(٤) ، الَّتِي أَلْقَاهَا الرَّحْمَنُ عَلَى ابْنِ عِمْرَانَ . أَبْطَلَتْ
كَيْدَ السُّحَّارِ . وَعَصَفَتْ بِهَشِيمِ الْأَشْعَارِ . وَوَرَدَ
فِي الْأَوَاحِ عَصَوَانِ^(٥) الْمِيمِيَّةُ . وَالْوَاوِيَّةُ . فَوَجَدَ فِي
وَطْنِهِ أَشْبَاحَ أَوْزَانٍ تُتَخَيَّلُ . وَأَنْقَاءَ^(٦) أَذْهَانَ تَتَهَيَّلُ .

(١) العد : الماء الذي له مادة لا تنقطع (٢) السكيت : العاشر من
خيل السباق (٣) الزجاج : الحديد التي في أسفل الرمح (٤) الآيات
التسع المذكور في قوله تعالى (فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد الخ) وفلق
البحر . والعصا . واليد البيضاء . وتفجر الصخرة (٥) عصوان : أى
قصيدتان (٦) الانقاء : الرمال . والمراد أذهان سيالة ذكية

« فَالْتَقِ مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ » .
 مَا خَبَرَ عَبْدَهُ حَتَّى اخْتَبَرَ . وَلَا عَبَّرَ إِلَّا بَعْدَ مَا اعْتَبَرَ .
 شَاهِدُنَا فِيمَا سَمِعْنَاهُ الْمَعْنَى الْحَصِيرُ ^(١) . فِي الْوَزْنِ الْقَصِيرِ .
 كَصُورَةٍ ^(٢) كَسَرَى فِي كَأْسِ الْمَشْرُوبِ . وَتَمَثَّلَ ^(٣)
 قَيْصَرَ فِي الْإِبْرِيزِ الْمَضْرُوبِ . لَمْ يُزِرْ ^(٤) بِهِ ضَيْقُ
 الدَّارِ . وَقِصَرُ الْجِدَارِ . إِنْ تَغَزَّلَ فَحَنِينُ الْعُودِ . أَوْ
 تَجَزَّلَ فَهَدِيرُ ^(٥) الرُّعُودِ . وَإِنْ كَانَ — أَدَامَ اللَّهُ شَرَفَ
 الدُّنْيَا بِهِ — اسْتَصْعَرَ مِنْ ذَلِكَ مَا اسْتَكْبَرَ نَاهُ . وَاسْتَنْزَرَ
 مِنْ أَدْبِهِ الَّذِي اسْتَغْمَرَ نَاهُ . فَالَسَّرَبُ الْوَحْشِيُّ يُعْجَبُ
 مِنْ وَقُوفِ الْأَجْدَلِ ^(٦) . عَلَى شُرَفَاتِ الْمَجْدَلِ ^(٧) . وَهُوَ

(١) الحصير : الواسع الكبير (٢) المراد بها الصورة التي كانت

تصور على الكؤوس (٣) الصورة التي كانت تصور على الدنار

(٤) يزر : ينقص منه (٥) هدير الرعد : صوته (٦) الاجدال

جمع جدل . والاجدل : الصقر (٧) المجدل : القصر

غَيْرُ حَافِلٍ بِمَا أَتَى . وَلَا مُعْتَقِدٍ أَنَّهُ اسْتَعْلَى . وَإِنْ كَانَ
 فِي وَانِيَةِ^(١) آدَابِنَا بَقِيَّةُ إِرْقَالٍ^(٢) . وَلَا نِيَّةُ أَفْهَامِنَا
 خَفِيَّةُ صِقَالٍ . فَسَوْفَ تَنْتَفِعُ وَهُوَ — أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ —
 ذَرِيعَةُ الْإِنْتِفَاعِ . وَتُضَى بِمَا أَهْدَى إِلَيْهَا مِنَ الشُّعَاعِ .
 إِضَاءَةُ الصُّفْرِ^(٣) . بِمَا قَابَلَ مِنَ النَّيِّرَاتِ الزُّهْرِ . وَقَدْ
 يُرَى خَيَالُ الْجُوزَاءِ عَلَى رِفْعَتِهَا . فِي أَضَاءِ^(٤) الْمِرْآةِ
 مَعَ ضَعْفَتِهَا . وَيُورِقُ الْعُودُ بِبَرَكََةِ الشُّعُودِ . وَتَقْيِضُ
 الرَّدْهَةُ^(٥) . عَنْ نَوْءِ الْجَبْهَةِ^(٦) . وَلَوْ تَقْوَةٌ بِمَقَالِ
 جَامِدٍ . وَهَمَّ بِاخْتِيَالٍ هَامِدٍ . لَنَشَرَّتِ الْمَعْرَةُ صُحُفَ
 الْإِفْتِخَارِ . وَسَحَبَتْ ذَيْلَ الْعُظْمَةِ وَالِاسْتِكْبَارِ .

(١) الوانية : المتأخرة (٢) الارقال : نوع من السيز

(٣) الصفر : النحاس (٤) الاضاءة : الماء (٥) الردهة : الحفرة

(٦) الجبهة : منزلة من منازل القمر

مُحِبًّا أَنْ فِكْرُهُ يَلْحَظُهَا لَحْظَ السَّاهِي السَّامِدِ^(١) .
 لَا يَلْفِظُ بِذِكْرِهَا لَفْظَ الْحَامِدِ الْعَامِدِ . وَإِنَّمَا هُوَ
 فِي الرَّحِيلِ عَنْهَا كَجِسْمٍ ذِي رُوحٍ . نُقِلَ مِنْ
 الْغُرُقِ^(٢) إِلَى اللُّوحِ^(٣) . وَهِيَ بَعْدُهُ كَقَسِيمَةٍ^(٤)
 الْوَسِيمَةِ^(٥) . ذَهَبَ عِطْرُهَا . وَبَقِيَ نَشْرُهَا . وَإِنَّمَا
 شَرُفَتْ عَلَى مَا سِوَاهَا . وَطَالَتْ عَنِ الْبِلَادِ دُونَ
 مَا وَالَاهَا . لِإِقَامَتِهِ بِهَا فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ . وَإِنَّمَا
 عَنْ أَهْلِهَا نَوَاطِرَ أَزَامِ^(٦) . فَعُرِفَتْ عِنْدَ ذَلِكَ بِهِ .
 وَنَالَتْ خَيْرَهَا مِنْ حَسْبِهِ . كَمَا تَنَالُ كُلُّ دَارٍ يَحُلُّهَا .
 وَإِنَّمَا الْمَنَازِلُ الَّتِي يَنْزِلُهَا كَالشَّهْبِ^(٧) الشَّامِيَةِ

(١) السامد : اللاعب الساهي (٢) الغرقي : الغلالة التي بين قشرة

البيضة وبياضها (٣) اللوح : الجو والفضاء (٤) القسيمة : جونة

العطر (٥) الوسيمة : المرأة الجميلة المعنى (٦) أزام : السنة الشديدة

(٧) الشهب الشامية واليمانية : منازل القمر جميعها

وَالْيَمَانِيَّةُ . الْمُؤَفِّيَّةُ عَلَى الْعِشْرِينَ بِثَمَانِيَّةٍ . نَزَلَ بِهَا
 الزُّبْرَقَانُ^(١) فَاشْتَهَرَتْ . وَلَسَبَتْ الْعَرَبُ إِلَيْهَا كُلَّ
 سَحَابَةٍ أَمْطَرَتْ . وَكَمْ فِي أُدِيمٍ^(٢) أَخْضَرَاءُ^(٣) . مِنْ
 أَشْبَاحٍ مُضِيئَةٍ زَهْرَاءُ^(٤) . اجْتَنَبَهَا فِي السَّيْرِ فَخَمَلَتْ .
 وَلَمْ يُنْسَبْ إِلَيْهَا قَطْرُ سَحَابَةٍ هَمَلَتْ . وَرَأَى عَبْدَهُ
 أَنَّ ضَرْبَةَ اللَّازِمِ . عَلَى الْمُتَادَّبِ الْحَازِمِ . اتَّخَذَ آثَارِهِ
 (عَاشَ حَاسِدُهُ بِاخْلُقِ الشِّكْسِ^(٥) . وَالْجُدَّ^(٦))
 الْمُتَعَكِّسِ (مَشَاهِدَ لِلْأَدَبِ مُحْضُورَةً . وَمَحَافِلَ
 بِالْمَذَاكِرَةِ مَعْمُورَةً . كَمَا يَتَّخِذُ تَقِيَّ الْخَلْفِ . مَوَاطِيءَ
 زَكِيِّ السَّلَفِ . مَوَاقِفَ يَتَخَيَّرُهَا لِطَهَارَتِهَا . وَمَسَاجِدَ

(١) الزُّبْرَقَانُ : القمر (٢) الأُدِيمُ : لون السماء (٣) الخُضْرَاءُ :
 السماء (٤) المراد بأشباح الزهراء المضيئة النجوم (٥) الشكس :
 العسر (٦) الجُد : الحظ

يَتَدَبَّرُهَا^(١) لِأَثَارَتِهَا^(٢) . وَإِنَّمَا فَضَّلَ الطُّورُ^(٣)
بِالْكَلِيمِ . وَالْمَقَامُ بِإِبْرَاهِيمَ . وَلَقَدْ سَمَوْنَا بِمَجَاوَرَتِهِ .
قَبْلَ مُحَاوَرَتِهِ . سُمُوَ الْيَثْرِبِيِّ . بِجِوَارِ النَّبِيِّ . وَلَعَلَّ
الْمَعْرَةَ قَدْ نَظَرْتَ أَصَحَّ النَّظَرِ . وَفَكَّرْتَ فِيمَا
لَا يَنْتَقِضُ مِنَ الْفِكْرِ فَعَلِمْتَ أَنَّهُ عِقْدٌ لَا يَصْلُحُ
لِمُقَلَّدِهَا^(٤) وَسِوَارُ يَرْتَفِعُ لِجَلَالَتِهِ عَنْ يَدِهَا .
وَتَاجٌ لَا يُطِيقُ حَمْلَهُ مَفْرِقُهَا^(٥) . وَجَوْنَةٌ^(٦) يَشْرِقُ^(٧)
بِذُرُورِهَا^(٨) مَشْرِقُهَا . وَهُوَ — أَدَامَ اللَّهُ تَأْيِيدَهُ —
مِثْلُ مَا نُقِلَ مِنَ الْحَارِ^(٩) . إِلَى مَفْرِقِ^(١٠) الْمَلِكِ

(١) يتدبرها : يتخذها (٢) أثارها : شرفها وفضلها (٣) جبل
طورسينا الذي كلم الله موسى أول نبوته (٤) المقلد : مكان القلادة من
العنق (٥) المفرق : الرأس (٦) الجونة : الشمس (٧) يشرق :
من شرق بريقه أى غسق (٨) ذرورها : من ذرت الشمس أى طلعت
(٩) الحار : الصدف (١٠) المراد به مكان تاج الملك

الْجَبَّارِ . وَمَعَانِيهِ الْأُولَى كَالشَّجَرَةِ . بَعْدَ اجْتِنَاءِ
 الثَّمَرَةِ . وَالصَّدْفَةِ بِغَيْرِ جَوْهَرَةٍ . وَالْكِنَانَةِ الْخَالِيَةِ
 مِنَ السَّهَامِ . وَالْعَنَانَةِ ^(١) الْجَالِيَةِ فِي الْجَهَامِ ^(٢) . وَلَمْ
 يَخَفْ عَلَيْنَا أَنَّ الْغَيْثَ مِنَ الدُّجُونِ ^(٣) فِي مِثْلِ السُّجُونِ .
 وَأَنَّ مَوْضِعَ الزَّهْرَةِ . أَعْلَى الْعَبْهَرَةِ ^(٤) . وَأَنَّ الْقَمَرَ
 لَمْ يُخْلَقْ لِلْسَّحَرِ . وَلَيْسَ لِلْمُسْتَعِيرِ أَنْ يَحْسَبَ
 الْعَارِيَةَ هِبَةً . وَلَا يَظُنَّ رَدَّهَا إِلَى الْمُعِيرِ مَثْلَبَةً .
 لَكِنْ شَرَفٌ لِلصُّعْلُوكِ . الْعَارِيَةُ مِنَ الْمُلُوكِ . وَقَدْ
 أَفَادَتْ هَذِهِ الْبُقْعَةُ الصِّيتَ ^(٥) الْبَعِيدَ . وَانْقَادَتْ
 لَهَا أَرْزَمَةُ الْجَدِّ السَّعِيدِ . لِيَأْتِيَ أَمْنُهَا الْمَكَارِمُ عَلَيْهِ .

(١) العنانة الجالية : أى الواضحة (٢) الجهام : السحاب الذى هراق
 ماؤه (٣) الدجون : جمع دجن . وهو الغيم (٤) العبهرة : زهرة
 النرجس التى تكون فى أعلاه (٥) الصيت : بعد الذكر

وَاسْتَوَدَعْتُهَا الْبَرَاةَ حَدَّةً أَصْغَرِيهِ . فَظَعَنْ وَأَرْجُهُ^(١)
 مُقِيمٌ . وَارْتَحَلَ وَلِلشَّاءِ تَخِيمٌ . فَهِيَ كَشَهْرَى رَيْعٍ
 سُمِّيَا مَعَ الشُّهُورِ . فِي أَوَائِلِ الدُّهُورِ . ثُمَّ انْتَقَلَا
 مِنَ الْجَدَّةِ . إِلَى الشَّدَّةِ . وَكَانَ مَعَهُمَا جُمَادِيَانِ فَصَارَتَا
 بَعْدَ الْجَمْدِ^(٢) . إِلَى الْوَمْدِ^(٣) . وَأَبَتْ الْأَلْقَابُ . التَّغْيِيرُ
 بِمَرِّ الْأَحْقَابِ . فَفَنَدَتِ الرُّسُومُ . وَخَلَدَتِ الْوُسُومُ
 وَلَوْ لَا جَفَاءُ التُّرْبَةِ وَالْأَحْجَارِ . عَنِ التَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِ
 الْجَارِ . لَأَصْبَحَتْ سَاحَتُهَا لِلتَّادِبِ مُخْتَارَةً . وَالْفَصَاحَةُ
 مِنْ عِنْدِ أَهْلِهَا مُمْتَارَةً^(٤) . فَقَدْ قِيلَ أَنَّ أَصْلَ الطَّيِّبِ
 عِنْدَ عَبْدَةِ الْأَبْدَادِ^(٥) . أَنَّ آدَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) الأرج : الطيب (٢) الجمد : الشتاء (٣) الومد : الحر

(٤) ممتارة من الميرة وهى الطعام الذى يحمل على البعد (٥) الأبداد :

هَبَطَ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ . وَلَكِنْ أَبَى الْجَاهُودُ^(١) . قَبُولَ
الطَّبِيعِ الْمُحْمُودِ . وَعُذِرَتِ الْكَائِيَّةُ^(٢) فِي الْهُمُودِ^(٣)
وَالْإِنْسُ بِاجْتِذَاكِ الْخَلِيقَةِ أَخْلَقُ . وَحَوَاسِثُهُمْ
بِطِلَابِ الْفَضِيلَةِ أَوْلَى وَالْيَقُ . فَلَوْلَا تَتَبَّهَوْا وَقَدْ
نُبِّهُوا . وَأَشْبَهُوا الْمَرْتِي إِذْ تَشَبَّهُوا . وَمَا هُمْ ابْنُ دَايَةٍ^(٤)
بِصَيْدِ الْجَدَايَةِ^(٥) . فَكَيْفَ يَلْتَقِطُ الْقَارُ^(٦) . بِالْمِنْقَارِ
وَيَسْتُرُ الْقِرْوَاخَ^(٧) بِالْجَنَاحِ أَمْ كَيْفَ يُعَدُّ الطَّرَافُ^(٨)
مِنْ النَّسْعِ^(٩) . وَيُقَدُّ النَّجَادُ^(١٠) مِنْ الشَّسْعِ^(١١) . هَذَا
مَا لَا يَكُونُ . وَلَا تَسْبِقُ إِلَيْهِ الظُّنُونُ . وَالظُّلُمُ الْبَيِّنُ .

- (١) الجاهود : الصخر
(٢) الكائية : النار المغطاة بالرماد
(٣) الهمود : الانطفاء
(٤) ابن داية : الغراب
(٥) الجداية : الغزالة
(٦) القار : الآكام
(٧) القرواخ : الناقة الطويلة القوائم
(٨) الطراف : قبة من الادم
(٩) النسع : حزام الناقة
(١٠) النجاد : حمالة السيف
(١١) الشسع : سير النعل

وَالْخُطْبُ الَّذِي لَيْسَ بِهِئِ . تَكْلِيفُ الْقُطْبِ^(١)
 النَّابِتِ . مُدَانَاةُ الْقُطْبِ^(٢) الثَّابِتِ . وَإِلْزَامُ نِسْرِ^(٣)
 الْحَافِرِ . مَرَامُ النِّسْرِ الطَّائِرِ . وَإِذَا غَلَا الْمَرْجَلُ^(٤) . مِنْ
 عَدُوِّ الْأَرْجَلِ^(٥) . وَخَلَا الْفَقِيرُ بِالْوَقِيرِ^(٦) . فَإِنَّمَا ذَلِكَ
 اتِّفَاقٌ . لَا إِحْقَاقٌ . وَغَايَةُ لَيْسَ وَرَاءَهَا نِهَايَةٌ .
 وَقَدْ ضَمَّ الْمَسَانُ^(٧) وَمِهَارُهُ^(٨) مَيْدَانِ الْقِيَاسِ^(٩) .
 وَشَمَلَ الْحَشَاشَ^(١٠) وَجَوَارِحَهُ جَوْهُ الْمِرَاسِ . فَسَبَقَ
 الْغَذَوِيُّ^(١١) . وَاقْتَنَصَ الْقُمْرِيُّ . وَإِنْ قِيلَ فَلَانَ

- (١) القطب النابت : شجرة صغيرة (٢) القطب الثابت : النجم
 المعروف (٣) نسر الحافر : ظفر الجواد (٤) المرجل : القدر
 (٥) الأرجل : الفرس الذي في إحدى رجليه يابض (٦) الوقير :
 القطيع من الغنم (٧) المسان . جمع مسن من الخيل (٨) المهار .
 جمع مهر (٩) والمراد من ميدان القياس . ميدان السباق
 (١٠) الحشاش من الطير . ما لا يصيد منها (١١) الغذوى .
 الصغير من الخيل

أَدِيبٌ . وَفُلَانٌ أَرِيبٌ . فَإِنَّ وَفَاقَ الْأَسْمَاءِ .
 لَا يَمْنَعُ الْفِرَاقَ عِنْدَ الرَّمَاءِ ^(١) الْعِرَادَةُ ^(٢) سَمِيَّةٌ .
 الْجَرَادَةُ . وَالذَّبَابُ . سُمِّيَ طَرَفُ الْقِرْضَابِ ^(٣) . وَقَدْ
 تُدْعَى الثَّامَةُ جَلِيلَةً . وَبَعْضُ الْهَامَةِ قَبِيلَةً . وَلَيْسَ
 كُلُّ مُثَوَّبٍ ^(٤) مُبَشَّرًا . وَلَا كُلُّ مُسَائِبٍ مُوَشَّرًا ^(٥) .
 أَعْرَضَ شَاوُؤٌ لَا يُتَعَلَّقُ بِنَصَبِهِ . وَعَنْ أَمْدٍ لَا يُتَعَبُّ
 فِي طَلَبِهِ . وَإِنَّمَا يُحْكَمُ بِشَمْرِ الْجَبَّارِ ^(٦) . لِمَنْ أَصْلَحَهُ
 فِي وَقْتِ الْإِبَارِ ^(٧) . وَيَصِيدُ ظَلِيمٌ ^(٨) الْمَقَاءَ ^(٩) . مِنْ

- (١) الرماء . الزيادة (٢) العرادة : اسم فرس (٣) القرضاب :
 السيف (٤) المثوب : الرجل الذي أشابوه (٥) المؤشر : الرجل
 الذي بأسنانه تحذيد وأشر لانه مستحسن عند العرب (٦) الجبار من
 النخل : الذي لم تنله الايدي (٧) الابار : تلقيح النحل
 (٨) الظليم : ذكر النعام (٩) المقاء . الارض الواسعة

زَهْدَ فِي ظَلِيمِ السَّقَاءِ^(١) . نَامَ وَاللَّهِ اللَّاعِبُ^(٢) .
 وَأَذْلَجَ الرَّاعِبُ .
 تَسَأَلْنِي أُمُّ وَهَيْبٍ جَمَلًا
 يَمْشِي رُؤَيْدًا وَيَكُونُ الْأَوَّلَا
 فَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الْغَدَاةِ كَنَاطِرٍ
 مَعَ الصُّبْحِ فِي أَعْقَابِ نَجْمٍ مُغْرَبٍ
 وَلَيْسَ حُسْنُ الظَّاهِرِ لِلْمُتَظَاهِرِ . وَلَا الْبَهَاءُ بِالْبَاهِرِ
 وَمِنْ الزُّورِ^(٣) . ادَّعَاءُ الْمَشَاءِ لِلنَّزُورِ . وَإِنْ جُنَّتِ^(٤)
 الرِّيَاضُ . فِي الْأَنْوَاضِ^(٥) . وَاعْتَمَّ الْعَقِيقُ^(٦) بِالشَّقِيقِ .

(١) ظليم السقاء . لمن يشرب قبل أن يروب (٢) اللاعب . التعب

(٣) أى من الباطل أن يوصف الجاهل بالعلم (٤) يقال جن الروض

والتبت : اذا طال : وقيل اذا أزهر (٥) الأنواض : جمع نوض .

وهو السبل من الصعب الى السهل (٦) الشقيق : الوادى

فَإِنَّ الْأَبَارِقَ^(١) لَمْ تُبَسِّطْ^(٢) بِالْتَّمَارِقِ . وَالْقَرَى^(٣)
لَمْ يُفْرِشْ بِالْعَبْقَرَى^(٤) . وَنَحْنُ عَلَى شَحَطِ الْمَعَانِ^(٥)
وَاعْتِرَاضِ الشُّهُوبِ دُونَنَا وَالرَّعَانِ^(٦) . لَا نَعْدَمُ
مِنْ قَبْلِهِ تَثْقِيفَ الْمَائِلِ . وَالْإِرْشَادَ إِلَى الْمَنَارِ
الْمَائِلِ . بَكِتَابِ حِكْمَةٍ يُوفِدُهُ . وَعَهْدِ بَصِيرَةٍ
يَعْهَدُهُ . وَالْمُشْتَرَى^(٧) وَالزَّهْرَةُ^(٨) وَإِنْ نَأْيَا يُبْلَغَانِ
الْمَحَابَّ مَنْ تَوَلَّىَا . فِي زَعْمِ الْمُنْجِمِينَ .
وَبَعْضِ الْفَلَاسِفَةِ الْمُتَقَدِّمِينَ . نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ هَذِهِ
الْمُقَالَاةِ . وَنَسْتَكْفِيهِ الْإِلْيَغَالَ فِي طُرُقِ الْجَهْلَالَةِ .

(١) الأبارق : جمع أبرق وهو غلظ من الأرض . فيه رمل وحجارة وطين
(٢) تبسط : تفرش (٣) القرى : مسيل الماء (٤) العبقرى البسط
(٥) المعان : المنزل (٦) الرعان : رءوس الجبال . (٧) المشتري :
نجم السعد الأكبر يقال له بالفارسية البرجيس (٨) السعد الأصغر

وَلَكِنَّ الْمَثَلَ مَضْرُوبٌ . وَاخْلُقَ مُدَبَّرٌ مَرْبُوبٌ .
وَأِنْ ضَرَبَ أَوْزَاقَ النَّيَّةِ^(١) بِمِصْرَ . وَاسْتَخَفَّ مِنَ
الْأَشْغَالِ السَّيِّئَةِ كُلِّ إِصْرٍ^(٢) . فَمَزَّ الْفَنَّا^(٣) بِإِذْنِ اللَّهِ مِمَّا
يَرَعَاهُ . وَمَزَارَعُنَا أَحَدُ مَا يَكْلُوهُ وَيَتَوَلَّاهُ . فَالْسَّيَّارُ^(٤)
الْفَرْدُ عِنْدَهُمْ يَشْتَمِلُ بِوِلَايَتِهِ عَلَى الْأَقْطَارِ الْمُتَنَائِيَةِ .
وَيَنْتَظِمُ بِهَا أَقَالِيمَ ضِدِّ الْمُتَسَاوِيَةِ . وَكُلُّ خَالِصِ
السَّامِ^(٥) وَقَدِيمِ سُمِّيَ^(٦) الْحُسَامِ . وَأَخِي حُشَاشَةٍ^(٧) .
مِنَ اللَّبِّ يَسْتَنْجِدُهَا . وَفَرَّاشَةٍ^(٨) مِنْ التَّمْيِيزِ
يَسْتَرْقِدُهَا . مُذْ رَأَى رَيْقَ^(٩) سَامِهِ . وَاجْتَلَى بِالتَّدَبُّرِ

(١) ضرب أوراق النية بمصر : أى حل فيها وترها (٢) الاصر :
الحمل والوزر (٣) المزالف : المنازل التى تقرب من الريف (٤) السيار
الفرد : أحد الكواكب السبعة (٥) السام : الذهب (٦) السمى :
الصيت والشهرة (٧) الحشاشه : البقية (٨) الفراشة : أصل الماء
القليل . واستعيرت فى هذا الموضوع (٩) ريق كل شئ : أفضله

رَوْتَقَ حُسَامِهِ . كَالسَّرَطَانِ^(١) فِي انْقِطَاعِ الصَّوْتِ
 النَّابِسِ . وَزُحَلَ فِي الْمِزَاجِ الْقَارِسِ . فَعِيْهُمْ أَطْوَلُ
 مِنْ رِدَاءِ الْعُرُوسِ . وَوَعِيْهُمْ أَبْكَأُ^(٢) مِنْ دَرِّ
 الْخُرُوسِ^(٣) . فَلَيْتَهُمْ كَذَوَاتِ الْأَصْوَاتِ الْمُتَنَصِّفَةِ^(٤) .
 وَالنَّاطِقِينَ بِأَسْلِ^(٥) مُنْخَرِفَةٍ . فَإِنَّ الْعُجْمَةَ لَأَسْهَلُ
 مِنَ الْبُكْمَةِ . وَالْجُبْسَةَ . أَقْلُ ضَرَرًا مِنَ الْخُرْسَةِ .
 وَتَمَنَّى الْفَائِتِ . كَمْ حَاوَلَةَ إِحْيَاءِ الْمَائِتِ . وَمَنْ
 يَجْعَلُ الرَّبَّوَةَ^(٦) رَوْبَةً^(٧) . وَالسَّبْتَ عَرُوبَةً^(٨) .

- (١) السرطان : حيوان من مخلوقات الماء لا صوت له (٢) أبكأ :
 أى أقل ليناً (٣) الخروس : البكر اذا وضعت البطن الاول
 (٤) المتنصفة : العجاوات (٥) الاسل : اللسان
 (٦) الربوة : ما أرتفع من الارض (٧) الروبة : ما انخفض من الارض
 (٨) عروبة : يوم الجمعة

وَصَائِعُ أَدَاءِ الْفُرُوضِ قَبْلَ دُخُولِ الْأَوْقَاتِ ، وَالْإِحْرَامُ
 بَعْدَ مُجَاوِزَةِ الْمِيقَاتِ . وَإِنْ كَانَ مَا اخْتَلَسَ مِنْهُمْ
 لَا قِيَمَةَ لَهُ فِي النَّقِيْمَةِ^(١) . وَلَا إِشَارَةَ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِ
 الشَّارَةِ^(٢) . فَارْتِيَا حُ اللَّاقِطَةِ^(٣) . بِسَاقِطَةِ النَّقْدِ . كَارْتِيَا حُ
 الْمَاشِطَةِ . بِوَاسِطَةِ الْعِقْدِ . وَلَا يُزَيْنُ لِأَمِّ السَّمِجَةِ^(٤) .
 مَقْتَهَا حُسْنُ الْبَهْجَةِ . وَلَكِنْ تَحْنُو عَلَيْهَا طَوْلَ الْحَيَاةِ .
 وَتَحْزَنُ لِفَقْدِهَا عِنْدَ الْمَمَاتِ . وَجَوْرُ نَحْرُ الْأَفِيلِ^(٥) .
 إِذَا لَمْ يَسْتَقِلَّ بِعِبْءِ الْفِيلِ . وَهَدْمُ سَخِيفَاتِ الدُّورِ .
 إِذَا فَرَعَتْهَا مُنِيفَاتُ الْقُصُورِ . وَكَسْرُ الْمِرْمَاةِ^(٦) .

(١) النقيمة : النفس (٢) أهل الشارة : هم الادباء الاكياس

(٣) اللاقطه : هي الآخذة للشيء من الارض . ومن ذلك التل : لكل

ساقطة في الحى لاقطة (٤) السمجة : الفيحة المنظر (٥) الافيل :

الصغير من الابل (٦) المرماة : سهم صغير

لِقَصْرِهَا عَنِ الْقَنَاقَةِ . وَدَفَنُ النَّابِ^(١) . إِذَا لَمْ تَلْحَقْ
 بِالشَّوَابِ^(٢) . وَلَوْلَا ذَلِكَ لَوَجِبَ تَرْكُ النِّعَمِ .
 إِلَّا مَا كَانَ كَلَاً وَنَعَمٌ . يُخْبِرُ بِهِ عَنِ الْإِرَادَةِ .
 وَيُغْنِعُ قَلِيلُهُ مِنَ الزِّيَادَةِ . وَحَرْمَ إِجْلَالًا لِمَا قَالَ :
 سَجْعُ الْكَلِمَتَيْنِ . وَتَقْفِيَةُ الْبَيْتَيْنِ . وَقَدْ كَانَتْ
 الْمُتَحَمِّسَةُ فِي جَاهِلِيَّتِهَا . وَسَدَنَةُ الْأَوْثَانِ عَلَى أَوَّلِيَّتِهَا
 لَا تَتَّخِذُ يَتًا مُرَبَّعًا . إِجْلَالًا لِلْكَعْبَةِ وَتَوَرُّعًا .
 وَهَلْ طَالِبُ ذَلِكَ سِوَاهُ إِلَّا كَمُفْنِي الشَّيْبَةِ فِي نَسِجِ
 السَّيْبَةِ^(٣) . وَمُضِيعُ الشَّرِخِ^(٤) فِي التِّمَاسِ الْبَرَمِ^(٥)

(١) الناب : الناقة المسنة (٢) الشواب : النوق الفتية .

(٣) السبية : هي الشقة من الثياب (٤) الشرخ : عنفوان الشباب

(٥) البرم : ثمر العضا

وَالْمَرْخُ^(١) . وَالسَّحْمُ^(٢) . لَا يَقْطَعُ الْوَحْمَ . وَالنَّشْمُ^(٣)
 لَا يُحْسَبُ مِنَ الرَّشْمِ^(٤) . وَكُلُّهُمْ غَيْرُهُ يُنْفِقُ مِنْ
 رَأْسِ مَالٍ تَزُرُّ . وَلَا يُحْكَمُ عَلَى مَدَّةِ بِالْجُزْرِ^(٥) .
 لَكِنْ يَنْفَدُ الثَّغْبُ^(٦) . بِالثَّغْبِ^(٧) . وَيَفْنَى الشَّمْعُ
 بِخَفَيَّاتِ اللَّمْعِ . وَهُمْ فِي هَذَا الصَّقْعِ^(٨) . كَأَسْنَانِ
 الْمَسَارِحِ^(٩) . وَنَوَاجِذِ الْقَمَرِ الْقَوَارِحِ^(١٠) تَنْكَبُهُمْ
 الْفَوَائِدُ تَنْكَبُ السَّهْمَ الْعَائِرِ وَالرَّكْبَ الْجَائِرِ .
 بِنَاحِيَةٍ أَمَّا الْعَدُوُّ فَنَازِلُ

مُطِيفٌ بِهَا فِي مِثْلِ دَائِرَةِ الْمُهْرِ

- (١) المرخ : شجر كثير النار (٢) السحم : نوع من النبات
 (٣) النشم : شجر تصنع منه القسي (٤) الرشم : أول ما يظهر
 من النبات (٥) الجزر : انحسار الماء بعد مدده (٦) الثغب : غدير
 في غلظ من الأرض (٧) الثغب : جمع نغية . وهي الجرعة (٨) الصقع :
 الناحية (٩) المسارح : الامشاط (١٠) القمر القوارح : المجير

يَحُولُ فِيهَا الْجَرِيضُ^(١) . دُونَ الْقَرِيضِ . وَالْحِذَارُ .
 دُونَ أَدَاءِ الْإِعْتِذَارِ . فَقَدْ أَدَمَى الْخُفَّ . وَطَأَ الْقُفَّ^(٢) .
 وَذَهَبَ الْخَارِبُ^(٣) . بِذِي الْغَارِبِ^(٤) . وَإِنَّمَا هُوَ رِفْقُ
 ثَمٍّ اقْتِسَارُ . وَلَيْسَ بَعْدَ السَّلْبِ إِلَّا الْإِسَارُ . فَهُمْ
 يَتَوَقَّوْنَ كِفَّةَ الْحَابِلِ . وَيَتَوَقَّعُونَ رَشْقَ النَّابِلِ .
 عَلَى أَنَّ الْقَارِبَ^(٥) . أَخُو الشَّارِبِ . وَالْهُبَعُ^(٦) طَرِيدُ
 الرَّبِيعِ^(٧) . مَا أَقْرَبَ طَسْمًا مِنْ جَدِيسٍ . وَأَدْنَى الْبَازِلِ^(٨)
 مِنَ السِّدِّيسِ^(٩) . لَا يَزَالُونَ يُمَارِسُونَ جَابَةَ^(١٠) . تَنْفَى
 النَّجَابَةَ نَفَى الدَّبَرِ^(١١) . لِلْوَبَرِ . وَالسَّبْعُ لابْنِ الضَّبْعِ .

(١) الجريض : الرقيق الذى يغص به (٢) القف : الغلظ من الارض

(٣) الخارب : الذى يسرق الابل (٤) الغارب : ما قدام السنام

(٥) الغارب : السائر (٦) الهبع : الفصيل الذى يولد فى آخر النتاج

(٧) الربيع : الفصيل الذى يولد فى أول النتاج (٨) البازل من الابل :

الذى ظهر نابيه (٩) السديس : اصغر من البازل بسنة (١٠) الجابة :

المعيشة الغليظة (١١) الدبر : جرح فى ظهر الابل

وَيَبِينُ الزَّلَلُ فِيهِمْ مِنْ خَوْفِ الثَّلَلِ . كَمَا بَانَ
 الْقَلَحُ^(١) مِنْ وَرَاءِ الْفَلَحِ^(٢) . فَقَلِيلُ الْعِلْمِ مِنْهُمْ
 يُسْتَطَرَفُ . وَيُسْتَغَرَبُ وَلَا يَكَاذُ يُعْرَفُ .
 كَالشُّنُوفِ^(٣) عَلَى الْأُنُوفِ . وَالْحَقَابِ^(٤) فِي وَسْطِ
 الْعُقَابِ . وَالْوَدَعِ . فِي عُنُقِ الصَّدَعِ^(٥) . وَالغُورِ^(٦) .
 يَبْنِي أَهْلُ الْكُفُورِ^(٧) . لِأَنَّ سَالِمَهُمْ هَامَةٌ^(٨)
 الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَا خَافَ فَكَانَ
 قَدْ . وَلَوْ رَحَلُوا قَبْلَ أَنْ يُوَحَلُوا . وَتَوَكَّلُوا عَلَى
 اللَّهِ فِي الْمَسِيرِ قَبْلَ أَنْ يُوَكَّلُوا . لَنَفَعَ الْفِرَارُ

(١) الفلح : صفرة الاسنان (٢) الفلح : شق في الشفة السفلى

(٣) الشنوف جمع شنف وهو القرط (٤) الحقاب : شيء محلي

تصنعه المرأة على وسطها (٥) الصدع : الوعل (٦) الغور : الضياء

(٧) الكفور : القرى (٨) هامة اليوم أو غد : قرب موته

الْفَرَارُ^(١) . وَاسْتَرَاحَ الْقَفَارُ . إِلَى وَضْعِ الْأَوْقَارِ . وَكَمْ
 مُصَابِرَةُ الدَّرْعِ . لَا بَسَ^(٢) الدَّرْعِ . وَالْبِرُّ^(٣) . الْهَرَّ .
 وَإِنْ كَانَ دُونَ كَسْبِ الْعِتَادِ . مُمَارَسَةُ خَرْطِ الْقِتَادِ^(٤)
 فَقَتَدُ الْمَالِيعِ . أَوْطَأُ مِنْ الْعَتَدِ^(٥) ذِي الْقَالِيعِ^(٦) .
 وَالْمَرْقَدُ . جَافَ عَلَى ابْنِ أَنْقَدَ^(٧) . وَإِنَّمَا يَشْدُو
 بِالْتَرْتُمِ شَادِيهِمْ . وَيَعْدُو فِي أَوَّلَى الدَّعْوَى غَادِيهِمْ .
 يَبْنِ أَنْاسٍ يَقْظَةُ أَحَدِهِمْ أَقْصَرُ مِنْ لَحْظَتِهِ .
 وَسِنَّتُهُ^(٨) أَطْوَلُ مِنْ سِنَّتِهِ . وَحِلْيَةُ الدَّوَاةِ . لَدَيْهِ
 أَحْلَى الْأَدَوَاتِ . وَحُسْنُ الْبِرَاعَةِ . أَحْسَنُ مِنْ

(١) الفرار : ولد البقر (٢) لايس السرعة : الديب (٣) البر :
 الفأرة الصغيرة (٤) شجر ذو شوك (٥) العتد الفرس الموتق
 (٦) القاليع : دائرة تكون في ملبد الفرس وهي مكروهة (٧) ابن
 أنقد : هو القنفذ (٨) سنة من النوم غطة منه

الْبَرَاةَ . فَإِذَا جَاءَ بَعْضُهُمْ بِسَمَارٍ^(١) . وَمَارَى
بِتَفْضِيلِهِ مَمَارٍ . فَقَدْ سَجَدَ السَّفْسَافُ . لِإِسَافٍ^(٢) .
وَأُهِدَى الْهَنَمُ^(٣) . لِلصَّنَمِ . وَالسَّرْفَةُ^(٤) تَتَّخِذُ لِمَنْفَعَتِهَا
الْعُرْفَةَ . وَرُبَّمَا عَنَتِ^(٥) الْقَرَارَةُ^(٦) . بِالْعَرَارَةِ .
وَجُعِلَ الْخِمَارُ . عَلَى وَجْهِ الْخِمَارِ . وَلَيْسَ الضَّرِيعُ^(٧) .
بِالْمَرْعَى الْمُرِيعِ . عَلَى أَنَّ التَّفْكِيرَ . قَبْلَ التَّبْكِيرِ .
وَالْخُطْبَةُ^(٨) . ثُمَّ الْخُطْبَةُ^(٩) . فَأَمَّا بِحَضْرَةِ سَيِّدِنَا
- بَقِي وَوُقِيَ - حَتَّى يَلْبَ^(١٠) الْهَجْرُ^(١١) . إِلَى ضِيَاءِ الْفَجْرِ .
وَلَوْ بِصَلَاةِ الْعَصْرِ . مِنْ الْقَصْرِ^(١٢) . فَمَا يَسْمَعُهُمْ غَيْرُ

- (١) السمار : المزوق بالماء . والمراد هنا الشيء النافه (٢) الاساف :
اسم صنم (٣) الهنم : الثمر (٤) السرفة : دويبه تتخذ بيتا من العبدان
(٥) عنت الارض بالنبات : أخرجته (٦) القرار : الارض المطمئنة
(٧) الضريع : نبت ينبت على وجه الماء لا ينتفع به (٨) الخطبة :
طلب الزواج (٩) الخطبة بالضم : هي خطبة النكاح (١٠) يلب : يدنو
(١١) الهجر : نصف النهار (١٢) القصر : آخر النهار

الِاسْتِمَاعَ . وَالتَّسْلِيمَ بَعْدَ الْإِجْمَاعِ . فَإِنْ ذُكِرَ لَهُ
 — أَدَامَ اللَّهُ تَأْيِيدَهُ — أَنَّ حَافِرَ الْقَلِيبِ^(١) .
 أَنْبَطَ^(٢) الْمَحْضُ^(٣) الْحَلِيبُ . وَأَنَّ الرَّسْلَ^(٤) . حَلَبَ
 الْعَسَلَ . وَأَنَّ نَجْلًا^(٥) مِنْ رَاحٍ . ظَهَرَ فِي هَجَلٍ^(٦)
 بَرَّاحٍ^(٧) . فَعَارِضَتُهُ أَعْلَمُ بِالْمُعَارِضَةِ . وَأَرْبَةُ^(٨)
 أَرْبَتِهِ أَقْدَرُ عَلَى الْمُنَاقِضَةِ . حَسْبُ التُّرْبَةِ نُطْفَةٌ .
 تَشْفِي الْكُرْبَةَ . وَالنَّاقَةَ . عُلبَةً^(٩) عِنْدَ الْإِفَاقَةِ^(١٠)
 وَالْجُمُجْمَةِ^(١١) النَّيَابَةَ عَنِ السَّحَابَةِ^(١٢) الْمُثْجِمَةِ .

(١) القليب : البئر (٢) أنبط : بلغ الماء واستخرجه (٣) المحض
 الحليب : اللبن الخالص (٤) الرسل : الابل (٥) نجلا من راح :
 نبعا من خر (٦) الهجل : مطمئن من الارض سهل (٧) براح :
 متسع (٨) الاربة : الفطنة (٩) العلبة : أناء يحلب فيه
 (١٠) الافاقة : الراحة بين الحلبتين (١١) الجمجمة : بئر في غلظ من
 الارض (١٢) السماية المثجمة : الدائمة المطر

وَذَكَرُهُ عَبْدَهُ بِمَا يُشْبَهُ مِنْهُ ، صَنِيعَةً يَضِيقُ عَنْهَا بَاعُ
 الشُّكْرِ . وَأُبْعَثُ وَهِيَ مِنِّي عَلَى ذِكْرِ . غَرَسَتْ
 الشُّرُورَ فِي سَرِيرَتِي . وَعَلَّمَتِ النَّفَاسَةَ نَفْسِي .
 وَخَلَّدَتِ الْغِبْطَةَ فِي خَلْدِي . إِلَى أَنْ أُمْسِيَ ^(١) خَبِيٍّ
 الرَّامِسِ ^(٢) . وَنَجَّيْ هِنْدَ ^(٣) الْأَحَامِسِ . هَضَبَ حِصِّي
 بَعْدَ مَا نَضَبَ ، وَبَغَشَ ^(٤) نَسِيسِي ^(٥) وَقَدْ نَسَّ
 فَانْتَعَشَ . وَعَرَّتْنِي الْأَرِيحِيَّةُ ^(٦) . الْمُشْتَقَّةُ مِنَ الرِّيَّاحِ
 الْعَرِيَّةِ ^(٧) . فَتَلَّاتِ الصَّدْرَ . وَأَمَرَّتْنِي بِمَجَاوَزَةِ الْقَدْرِ .
 لِأَنَّ الْجَنُوبَ . تَهَيَّجُ نَقْعَ الْجُبُوبِ ^(٨) . وَالشَّمَالَ . تُحَرِّكُ

(١) أُمْسِيَ خَبِيٍّ الرَّامِسِ : أى الى أن أقبر (٢) الرامس : الدافن

(٣) يقال لقي فلان هند الاحامس : أذاعات (٤) يقال بغشه المطر :

أصابه منه شيء ليس بكثير (٥) نسيسى : بقية نفسى (٦) الاريحية :

حفة تدرك الانسان اذا فرح (٧) العرية الريح الباردة (٨) الجيوب :

الارض الغليظة

سَاكِنَ الرَّمَالِ . حَتَّى عَاتَبْتُ الضَّمِيرَ . وَالتَفْتُ إِلَى السَّرِّ
 الْخَمِيرِ ^(١) . فَقُلْتُ السِّمَةَ ^(٢) . فِي الْقِسْمَةِ ^(٣) . أَزِينَ مِنْ
 الْأَشْرِ ^(٤) لِلْبَشْرِ . وَطَالَمَا عَصَفَ النَّسِيمُ فَقَصَفَ . وَلَنْ
 أَكُونَ كَالْغُبَارِ ثَارَ مِنَ الْمَلَاطِيسِ ^(٥) . فَزَارَ الْمَعَاطِيسَ ^(٦)
 أَسْكَرَانَ أَنَا . أَمْ هَكَرَانُ ^(٧) ؟ إِنْ كُنْتُ انْتَشَيْتُ ^(٨)
 فَالْتَّمَلُ ^(٩) يُقَوِّى الْأَمَلَ . أَوْ أَعْضَيْتُ فَالْوَسَنُ .
 يُرَى الْحُلْمُ الْحَسَنَ . هَذَا مَعَ إِحَاطَةِ الْيَقِينِ أَنَّ
 الْغَذْمَةَ ^(١٠) . لَا تُشَدُّ مِنْهَا الْوِذْمَةُ ^(١١) . وَأَنَّ الْبَرَقَ ^(١٢)

- (١) الخمير : المستور (٢) السمة : أثر الكي (٣) القسمة : الوجه
 (٤) الأشتر : البطر (٥) الملاطس : جمع ملطس وهو فأس تكسر
 بها الحجارة (٦) المعاطس : الأنوف (٧) الهكران : الناعس
 (٨) انتشيت : سكرت (٩) التمل : السكر (١٠) الغذمة واحدة من
 الغنم : وهو نوع من النبات (١١) الوزم : سيور تشد في عرى النلو
 (١٢) البرق : الحمل « أى الحروف الصغير »

لَا يَسْتَحِقُّ كُسُوفَةَ السَّرَقِ^(١) . وَأَنَّ الْبَدِيعَ^(٢) .
لَا يُغْلَا مِنْ رِسْلِ^(٣) الصَّدِيعِ^(٤) . تَزِيدُ الْمَرَارَةَ
بِسُقْيَا الْمَرَارَةِ . وَرِيُّ الْمَقْرِ^(٥) . لَا يَخْلَعُ عَلَيْهِ
لَوْثُ الشَّقْرِ^(٦) . وَمَنْ أَنَا حَتَّى يَصِفَنِي بِالنَّقَالِ^(٧) .
وَيَزِنَ بِي الثَّقَالَ . الْبَرِيرُ^(٨) . يُسَوِّدُ فَمَ الْفَرِيرِ^(٩) وَأَنَّى
بِالنُّوُورِ^(١٠) لِلنَّوَارِ^(١١) . وَصِوَارِ^(١٢) الطَّيِّبِ لِلصَّوَارِ^(١٣)
هَلْ أَدَبِي فِي أَدَبِهِ . إِلَّا كَالْقَطْرَةِ . فِي الْمَطْرَةِ .
وَالنَّحْلَةِ . عِنْدَ النَّحْلَةِ . وَإِنَّمَا صَاحِبُ الدَّرْهَمَيْنِ . غَنِيٌّ

(١) السرق : شقق من الحرير (٢) البديع : السقاء الجديد

(٣) الرسل : اللبن (٤) الصديق : القطيع من الظباء

(٥) المقر : الصبر (٦) الشقر : شقائق النعمان (٧) ضرب

من سير الخيل (٨) ثمر شجر الاراك (٩) الفرير : الطيبي الفتي

(١٠) التؤدر : دخان الشمع (١١) النوار : الطيبة النفور من الوحش

(١٢) صوار الطيب : العطر (١٣) والصوار : قطع بقر الوحش

عَنْ صَاحِبِ الدَّرْهِمِ . وَالْأَفْطَسُ أَشْمٌ فِي تَخْيِيلِ
 الْأَكْشَمِ ^(١) . فَأَمَّا شَدَّادُ ابْنِ عَادٍ . وَعَاقِرُ الْجِيَادِ .
 فَلَبْدِي ^(٢) تَوَهُمُهُمَا الثَّرَاءُ . الْيَدِي ^(٣) . عِنْدَ جَالِبِ
 الْعُضْدِ ^(٤) . وَبَائِعِ الْخُضْدِ ^(٥) . فَضَاقَ ذَرْعِي فِي جَزَاءِ
 مَا تَطَوَّلَ بِهِ ضَيْقَ ذَرْعِ النَّمْلَةِ . بِاتِّخَاذِ الشَّمْلَةِ ^(٦) .
 وَالْحِمَانَةِ ^(٧) . بِثَقْبِ الْجُمَانَةِ . فَلَيْتَهُ — أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ —
 أَطْلَعَ مِنْ عَبْدِهِ عَلَى كَنِينِ الْاِعْتِقَادِ . وَجَنِينِ ^(٨)
 السَّوَادِ . فَيَعْلَمَ أَنَّ الرُّوعَ . وَجَوَانِحَ الضُّلُوعِ .
 مُفْعَمَةٌ لَهُ بِالْإِعْظَامِ . مُتْرَعَةٌ بِمَحَبَّتِهِ إِتْرَاعَ الْجَامِ .

(١) الاكشم : مقطوع الانف (٢) البدى : العجب

(٣) اليدى : العضد (٤) التبري : الواسع (٥) الخضد :

ما يؤخذ من أطراف العيدان الرطبة (٦) الشملة : كساء صغير

(٧) الحمانة : الصغيرة من القراد (٨) جنين السواد : ما يخفيه

لَا لِأَنَّهُ جَعَلَ حَصَاتِي كَثِيرًا^(١) وَخَلَطَ عِثْرِي^(٢)
 بِالْعَبِيرِ^(٣). وَلَا لِأَنَّ سَيِّدَنَا الرَّئِيسَ الْأَجَلَ وَالِدَهُ
 — أَدَامَ اللَّهُ سُلْطَانَهُ — سَبَقَ مِنَ الْإِفْضَالِ بِمَا
 رَبَّقَ^(٤). وَقَدَّمَ مِنْهُ مَا كَانَ نَشْرُهُ السَّدَمَ^(٥)
 وَلَكِنْ لَمَّا أُوتِيَ أَقَالِيدَ^(٦) الْحَوَارِ وَنَطَقَ بِفُرُودِ^(٧)
 حَضَارٍ. وَعَلِمْتُ أَنَّهُ فِي صَاغِيَةِ^(٨) الْأَدَبِ. كَتَبْتُ
 فِي طَاغِيَةِ الْعَرَبِ. لَهَجْتُ بِحُبِّهِ لَهَجَ السُّوقَةِ
 بِحُبِّ الْمَلِكِ الرُّوقَةِ^(٩). إِذَا أَخَذَ بِالْفَضْلِ. وَحَكَمَ
 بِالْقَضَاءِ الْفَضْلِ. وَنَصَحْتُ لَهُ نَصَحَ الْهُدْهِدِ لِسُلَيْمَانَ

(١) الثبير : الجبل (٢) العثير : الغبار (٣) العبير : الزعفران

(٤) الربق : جعل الحبل في العنق (٥) سدمى : ديدنى

(٦) أقاليد : أى مفاتيح (٧) فرود حضار : كواكب :

وحضار اسم كوكب شبيه بسهيل (٨) صاغية الادب : أهله

(٩) الروقة : الشاب الحسن

وَشَيَّعْتُ مَا أَذْكَرُ مِنْ نُبْلِهِ بِالْإِيمَانِ . أَصِفْ وَكُلْ
 وَصْنِي صَاحِبُ . وَأُحْلِفُ وَحَلْفِي تَسْبِيحُ . حَتَّى اسْتَجْهَلَنِي
 الَّذِي لَا يَعْلَمُ . وَتَكَلَّمَ فِي تَضْلِيلِي مَنْ تَكَلَّمَ .
 لِأَنِّي مَا اقْتَنَعْتُ بِتَفْضِيلِهِ عَلَى الْأَحْدَاثِ . دُونَ
 سُكَّانِ الْأَجْدَاثِ^(١) . وَلَا غَلَبَتْهُ عَلَى الْغَابِرِ^(٢) . دُونَ
 الْكَابِرِ . وَلَكِنْ وَجَبَتْ^(٣) الشَّخِيرِ^(٤) . وَرَجَبَتْ^(٥)
 الطَّرْفِ^(٦) الْأَخِيرِ . وَلَيْسَ النَّصْرُ . لِقَدَمِ الْعَصْرِ .
 وَلَا التَّجْوِيدُ^(٧) . بِذَهَابِ أَبَدِ الْأَيِّدِ^(٨) . الرَّوْيُ^(٩) بَعْدَ

- (١) الاجداث : هي القبور (٢) الغابر : الباقي (٣) وجبت : أى
 حقرت وأسقطت (٤) الشخير : الحمار (٥) رجبت : أى عظمت
 (٦) الطرف : الفرس (٧) التجويد : تصيير الشيء جيداً
 (٨) أبد الايد : طول الزمان (٩) الروى : الحرف الذى تنبى
 عليه القصيدة

التَّوَجِيهِ . وَأَخَذَرُ^(١) أَقْدَمُ مِنَ الْوَجِيهِ^(٢) . وَإِنْ
كَانَتْ السَّيْرُ . بَغَيْرِ غَيْرٍ . وَاخْبَرُ فَأَقْدًا لِلْحَبَرِ^(٣) .
فَالْحَبَّةُ بَعْدَ الْحَبَّةِ . وَالضِّيَاءُ تَالِي الْكُهْبَةِ^(٤) . وَمَا جَحَدَ
أَحَدٌ ضَحَاهُ . وَلَا وَحَى^(٥) . مَخْلُوقٌ مِثْلَ مَا وَحَاهُ .
وَلَكِنْ لِمُهْجٍ . بِالْفَارِطِ لَهْجٍ . وَالْإِحَادَةُ عَنِ الْعَادَةِ .
تَخْلِطُ الْمُورَ^(٦) بِالتَّامُورِ^(٧) . وَتُبَاشِرُ ظَلَامَ اللَّوْبِ^(٨) .
بِظَلَامِ الْقُلُوبِ . وَقَدْ أَنْكَرَ مَنْ أَعْظَمَ الْعُزَى
وَاللَّاتَ . مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ
الْآيَاتِ . فَلَمْ أَفْتَأْ - وَاللَّهُ شَهِيدٌ - أَصْبَغُ الْأَفْقَ^(٩)

(١) أخذر: حمار أهلى توحش (٢) الوجه: فرس من خيل
العرب (٣) الخبر: الكذب فى الأخبار (٤) الكهبة: الظلمة
(٥) وحى: أى كتب (٦) المور: التراب (٧) التأمور:
دم القبر (٨) اللوب: جمع لابه وهى الحرة التى تركبها حجارة سوداء
(٩) الأفق: جمع أفيق . وهو الأديم مادام فى الدباغ

بِالشَّقِّ . وَأَذْبُغُ الْأَدِيمَ بِالسَّدِيمِ^(١) . حَتَّى أَصْبَحَ
 الْيَافِعُ^(٢) النَّافِعُ وَالْهِمُّ^(٣) الْمُدْرَهُمُ^(٤) . وَمَنْ يَنْتَهَمَا مِنْ
 وَارِفٍ^(٥) فِي السَّنِّ وَكَهْلٍ مُقْسَتَيْنِ^(٦) . أَحَدَ رَجُلَيْنِ .
 إِمَّا عَالِمٍ . فَهُوَ مِنَ الْجَهْلِ سَالِمٍ . وَإِمَّا بَلِيدٍ . اهْتَدَى
 بِالتَّقْلِيدِ . وَهُوَ - أَدَامَ اللَّهُ قُدْرَتَهُ - الْفِرْعُ الَّذِي
 نَبَعَ مِنْ أَصْلِ زَاكِ . فَسَمَقَ^(٧) إِلَى السَّمَاءِ وَحَفِظَ
 التُّومَ^(٨) . قَبْلَ أَنْ يَلْفِظَ بِالْمَكْتُومِ . وَلَمْ يَزَلْ ضَبَّ^(٩)
 الْآفِنِ^(١٠) . لِعَبِّ^(١١) الصَّافِنِ^(١٢) . وَإِهْوَاءِ^(١٣)

- (١) السديم : الضباب (٢) اليافع : الغلام المرتفع (٣) الهم :
 الشيخ (٤) المدرم : الساقط من الكبر (٥) الوارف : الزائد
 (٦) المقسنتان : الذي اشتد وكبر (٧) سمق : علا (٨) التوم :
 كبار اللؤلؤ (٩) الضب : الحلب بكلتا اليدين (١٠) الآفن : الحالب
 الحاذق (١١) العب : الضرب (١٢) الصافن : الفرس
 (١٣) الإهواء : الالتقاء

الرَّادِسِ^(١) . لِإِرْوَاءِ الْقَادِسِ^(٢) . حَتَّى التَّأَمَّتِ اللَّامَةُ^(٣)
 مِنَ الزَّرْدِ^(٤) . وَتَأَلَّفَتِ الْعِمَامَةُ مِنَ الْقَرْدِ^(٥) . وَلَقَدْ
 هَمَمْتُ بِاسْتِرْفَادِ حَضْرَتِهِ الْبَهِيَّةِ مِنْ بَدَائِعِهِ مَا يَفْضُلُ
 الْمَالَ . وَيَكُونُ الْجَمَالَ . فَعَدَانِي عَنْ ذَلِكَ إِعْظَامِي
 لَهُ ، وَاسْتِحْقَارِي نَفْسِي . وَارْعَوْتُ^(٦) بِي الْهَيْبَةَ إِلَى
 إِرْمَامِي^(٧) وَكَفَى . وَأَبَى اللَّهُ أَنْ يَكُونَ التَّفَضُّلُ إِلَّا مِنْ
 قِبَلِهِ . فَوَعَدَ التَّشْرِيفَ بِمَا سَنَحَ مِنَ الْمُنْثُورِ وَالْمَنْظُومِ ،
 فَلِلْقُلُوبِ إِلَى وَعْدِهِ هَيْأَمُ الظَّالِمِيَّةِ إِلَى النُّطْفَةِ الطَّامِيَّةِ .
 وَلَا تَزَالُ تَقْتَضِيْنَاهُ اقْتِضَاءَ الْمُدْنَفِ الْعَافِيَّةِ ، وَالْبَيْتِ
 الْقَافِيَّةِ . وَمَنْ لِلْعَفْرِ^(٨) بِالذَّفْرِ^(٩) ، وَالْقَفْرِ بِالْمَامِ

(١) الرادس : رامي الحجر في الماء ليعلو (٢) القادس : حجر
 يقسم به الماء بين الأبل (٣) اللامة : الدرع (٤) الزرد : الحلق
 (٥) القرد : قطع صغيرة من السحاب (٦) ارعوت : رجعت
 (٧) الأرمام : السكون (٨) العفر : التراب (٩) الذفر : الرائحة الطيبة

السَّفَرِ . وَأَقْدَمْتُ عَلَى خِدْمَةِ حَضْرَتِهِ بِالْمَكَاتِبَةِ ،
لَأُنْهِيَ إِلَيْهَا مَا أَنَا عَلَيْهِ ، لَا تَكَثُّراً بِرِصْفِ الْمُنْطِقِ
عِنْدَهُ . وَهَلْ أَبْلُغُ أَنْ أُدْعَى فِي تَأْلِيفِ الْقَوْلِ عَبْدَهُ ،
وَقَدْ تُقْبَلُ صَلَاةُ الْأُمِّيِّ . وَيُسْمَعُ دُعَاءُ الْأَعْجَمِيِّ .
وَتَقْدُهُ - أَدَامَ اللَّهُ تَأْيِيدَهُ - يَكْبُرُ عَنْ تَصْفِيحِ أَمْرِي .
وَتَجَاوُزُهُ يَسْتُرُ زَلِّي . وَعَثْرِي . لِأَنَّ الْمُدِيَّةَ لَا تَصِلُ
إِلَى ضَبِّ الْكُدِيَّةِ ^(١) إِلَّا بَعْدَ التَّبْرِيحِ ^(٢) . بِذَوَاتِ
التَّسْرِيحِ ^(٣) . وَالْإِتْيَانِ عَلَى مَالِ الْفِتْيَانِ . وَاللَّهُ أَسْتَجِيرُ
مِنْ كَلِمَةٍ . كَطَوْقِ الْعِكْرَمَةِ ^(٤) يُحْسَبُ لَهَا كَالزَّيْنَةِ .
وَكَأَنَّهُ مِنْ حِدَادِ الْحَزِينَةِ . فَقَدْ حَلَّتْهَا بِعَبْقُرٍ ^(٥) .

(١) الكدية : الأرض الغليظة (٢) التبريح : من قولهم برح إذا
صنع به أمراً شافاً (٣) التسريح : من قولهم سرحت الابل أو الغنم
إذا أرسلتها للرعى (٤) العكرمة : الحامة (٥) العبقر : البرد

وَحَلَّيْتُهَا تُرْعَدُ مِنَ الْقُرِّ . مِنْ دُونِهَا يَظْهَرُ الضَّفْدَعُ^(١) .
تَحْتَ الشَّبِيدِ . وَيُحْكَمُ بِالْجُلْسَامِ^(٢) . عَلَى الْأَجْسَامِ .
وَالْعِنَايَةِ . بِجَارِمِ الْجَنَايَةِ . تَتَمَنَعُ الرُّوَاغِبِ^(٣) . مِنْ
الْبَتِّ بِالْحُكْمِ الْوَاجِبِ . وَأُتْبِعُ قَوْلِي لِمَا مَضَى .
وَأُشِيعُهُ إِذَا انْقَضَى . بَانَ أَقُولَ إِن كُنْتُ أُوْطِئْتُ^(٤)
نَفْسِي فِي تَفْضِيلِهِ عَشْوَةً . أَوْ بَغَيْتُ عَلَى إِظْهَارِ الْحَقِّ
رِشْوَةً . فَكُنَيْتُ بِالْحَاصِبِ^(٥) . وَالْعَذَابِ الْوَاصِبِ^(٦) .
لَيْلُ الْخَرْصِ^(٧) . أَنْعَمُ مِنْ لَيْلِ الْمُتَخَرِّصِ^(٨) . وَنَهَارُ
الْكَاذِبِ . أَبْأَسُ مِنْ نَهَارِ الْعَاذِبِ^(٩) . وَغِنَايَ فِي

(١) الضفدع : تنوء يظهر تحت اللسان (٢) الجلسمام : البلسام

(٣) الرواجب : بطون الاصابع وظهورها (٤) أوطأته إذا

غششته (٥) الحاصب : الريح التي تحمل الحصباء (٦) الواصب :

الدائم (٧) الخرص : الجائع الذي يجد البرد (٨) المتخرص :

الكذاب (٩) العاذب : المسك عن الطعام والشراب

تَقْرِيطُهُ . عَنِ الْمَيْنِ^(١) . وَمُسَاوَاةِ الْقَيْنِ^(٢) . عَنَاءُ
 الْوَصِيفِ . عَنِ لُبْسِ النَّصِيفِ^(٣) . وَالْعُلَامِ . عَنِ
 الْإِخْتِضَابِ بِالْعُلَامِ^(٤) . وَأَنَا عَلَى إِسْهَابِي^(٥) كَخَابِطِ
 الظَّلَمَاءِ . وَبَاسِطِ الْيَدِ الْجَذْمَاءِ^(٦) . وَلَوْ جِئْتُ مِنْ
 الزَّرَقِ^(٧) بِكِرٍ^(٨) . مَا كَفَأْتُ عَلَى الْفَرِيدَةِ مِنَ الدَّرِّ .
 وَلَيْسَ سِرْبُ الْقَطَا وَإِنْ كَثُرَ . بِمُقَاوِمِ الْبَازِي وَلَوْ
 لَطْفَ وَصْعُرٍ . وَمِنْ الْعَبَاوَةِ مُبَاهَاةُ الشَّمْسِ بِسِرَاجٍ .
 وَمُؤَاهَاةُ عَطَالَةٍ بِالزُّجَاجِ . وَإِنَّ أَدَبِي لَيَنْظُرُ إِلَى أَدَبِهِ
 نَظَرَ جَرَبَاءِ الْعُنُوقِ . إِلَى جَرَبَاءِ الْعِيُوقِ^(٩) . وَأَيْنَ

(١) المين : الكذب : (٢) القين : حداد يضرب المثل بكذبه
 (٣) النصيف : الحمار (٤) العلام : الحناء (٥) أسهاب :
 أكثار (٦) اليد الجذماء : التي أصيبت بالجذام فقطعت (٧) الزرق
 نوع من الحرز لاقية له « تافه » (٨) بكر : مكيال (٩) العيوق :
 اسم نجم زاه

الماء . مِنْ السَّمَاءِ . وَمَوْقِعُ السَّيْلِ مِنْ مَطْلَعِ سُهَيْلٍ .
وَالنَّعَائِمُ الشَّارِدَةُ^(١) . مِنْ النَّعَائِمِ الصَّادِرَةِ وَالْوَارِدَةِ^(٢) .
وَتَاللهِ أَسَاجِلُ بِشَمْدِي^(٣) بَحْرُهُ . وَلَنْ يَهْلِكَ أَمْرُوهُ
عَرَفَ قَدْرَهُ وَالسَّلَامُ .



وَالْآنَ - جُعِلْتُ فِدَاكَ - نَنْتَقِلُ بِكَ إِلَى رِسَالَةِ
أدب أفضى القضاة أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب
الوزير الماوردي البصري الماوردي المعروف « بِأَدَبِ الْوَزِيرِ » .
وَلَسْتُ أَشْكُ وَحَالِكَ مَا أَذْرِي مِنْ شَغَفٍ بِالْإِطْلَاعِ
وَإِكْبَابٍ عَلَى الْأَدَبِ ، وَدَأْبٍ فِي الطَّلَبِ ، وَاسْتِظْهَارِ
لِلْكِتَابِ ، أَنْكَ قَدْ طَالَعْتَ فِي الْكَثِيرِ الَّذِي تَبَصَّرْتَ

(١) النعائم الشاردة : هي التي في الغفار
والواردة منازل القمر (٣) التمدد : الماء القليل

(٢) النعائم الصادرة

فِيهِ « كِتَابَ آدَبِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ » وَأَنَّكَ قَدْ رَاعَكَ
فِيهِ كُلَّ الرَّوْعِ ، وَأَخَذَكَ كُلَّ الْأَخْذِ ، وَمَلَكَ عَلَيْكَ
لُبَّكَ وَهَوَاكَ ، مَا ذَكَرَهُ فِيهِ اسْتِمْسَاكَ بِعُرْوَةِ
دِينِهِ ، وَمُجَاهَدَةٍ لِيَطْمَحَ نَفْسِهِ « وَمِمَّا أَنْذَرْتُكَ بِهِ
مِنْ حَالِي ، أَنِّي صَنَّفْتُ فِي الْبُيُوعِ كِتَابًا جَمَعْتُهُ ،
مَا اسْتَطَعْتُ مِنْ كُتُبِ النَّاسِ ، وَأَجْهَدْتُ فِيهِ نَفْسِي ،
وَكَرَّرْتُ فِيهِ خَاطِرِي ، حَتَّى إِذَا تَهَذَّبَ وَاسْتَكْمَلَ ،
وَكِدْتُ أُعْجِبُ بِهِ ، وَتَصَوَّرْتُ أَنِّي أَشَدُّ النَّاسِ
اطِّلَاعًا بِعِلْمِهِ ، حَضَرَنِي وَأَنَا فِي مَجْلِسِي أَغْرَابِيَّانِ ،
فَسَأَلَانِي عَنْ بَيْعِ عَقْدَاهُ فِي الْبَادِيَةِ ، عَلَى شُرُوطٍ
تَضَمَّنَتْ أَرْبَعَ مَسَائِلَ ، لَمْ أَغْرِفْ لِشَيْءٍ مِنْهَا جَوَابًا ،
فَاطَّرَقَتْ مُفَكَّرًا ، وَبِحَالِي وَحَالِهِمَا مُعْتَبِرًا ، فَقَالَ :

أَمَّا عِنْدَكَ فِيمَا سَأَلْنَاكَ جَوَابٌ ، وَأَنْتَ زَعِيمٌ هَذِهِ
الْجَمَاعَةِ ؟ فَقُلْتُ لَا . فَقَالَا إِيَّاهَا لَكَ ! وَأَنْصَرَفَا ، ثُمَّ
أَتَيَا مَنْ يَتَقَدَّمُهُ فِي الْعِلْمِ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِي فَسَأَلَاهُ ،
فَأَجَابَهُمَا مُسْرِعًا بِمَا أَقْنَعَهُمَا ، فَأَنْصَرَفَا عَنْهُ رَاضِيَيْنِ
بِجَوَابِهِ ، حَامِدَيْنِ لِعِلْمِهِ ، فَكَانَ ذَلِكَ زَاجِرَ
نَصِيحَةٍ وَنَذِيرَ عَظِيمَةٍ ، تَذَلَّلَ لَهُمَا قِيَادُ النَّفْسِ ،
وَانْخَفَضَ لَهُمَا جَنَاحُ الْعُجْبِ « وَلَسْتُ أَشْكُ . أَنَّكَ
حِينَمَا طَالَعْتَ ذَلِكَ ذَكَرْتَ فِي الْكَثِيرِ الَّذِي
اسْتَظْهَرْتَهُ قَوْلَ الْقَائِلِ : وَلَا تَقْفُ عِنْدَ عَجَبِكَ
بِنَفْسِكَ ، لَا نِهَايَةَ لِلْفَضِيلَةِ ، وَلَا حَدًّا لِلْعُرْفَانِ ،
وَلَا مَوْقِفَ لِلْكَمَالِ ، فَقَطَنْتَ إِلَى أَنَّ الْعُجْبَ

مَرْحَلَةُ بَوَارٍ ، وَمَشَطُ اغْتِرَارٍ ، وَمِرْقَاةُ انْهِيَارٍ ،
وَمَغْبَةُ خَسَارٍ .

وَمَا إِخْلَاكُ بَعْدُ ، إِلَّا عَالِمًا بِمَا هِيَ الْمَاوَرِدِيُّ ،
وَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ الْقُرْنِ الرَّابِعِ ، وَإِنْ كَانَتْ وَفَاتُهُ
عَلَى أَبْوَابِ فَجْرِ الْقُرْنِ الْخَامِسِ . وَأَنَّ ظُهُورَهُ فِي الْعَالَمِ
الْإِسْلَامِيِّ ، كَانَ فِي أَطْوَارِ مَرَاجِلِ الْفِتْنَةِ ، وَتَلَاخُمِ
الْأَحْزَابِ . وَتَقَاتُلِ بَيْنَ الشَّيْعَةِ وَالسُّنَّةِ ، وَاشْتِطَاطِ
مِنَ الْبَاطِنِيَّةِ ، وَغُلُوبِ مِنَ الْمُعْتَزَلَةِ ، وَخُرُوجِ لِسُلْطَانِ
الْخِلَافَةِ مِنْ يَدِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْمُفَضَّلِ ، الْمُطِيعِ لِلَّهِ
مِنْ سُلَالَةِ الْمُتَوَكِّلِ ، بِاِغْتِصَابِ الدَّيْلَمِ ، مِنْ رِجَالِ
بَهَاءِ الدَّوْلَةِ بْنِ عَضُدِ اللَّهِ ، وَإِنَّكَ لَذَاكِرُ تِلْكَ الْآيَاتِ
الَّتِي قَالَهَا الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ حِينَ شَاهَدَ بِعَيْنِهِ تِلْكَ

الْمَهْزَلَةَ الْمُحْزَنَةَ بَلِ الْخَلَّامَةَ الْمُفْجَعَةَ :
أُمْسَيْتُ أَرْحَمَ مَنْ أَصْبَحْتُ أَغْبَطُهُ

لَقَدْ تَقَارَبَ بَيْنَ الْعِزِّ وَالْهُونِ
وَمَنْظَرٍ كَانَ بِالسَّرَّاءِ يُضْحِكُنِي

يَا قُرْبَ مَا عَادَ بِالضَّرَّاءِ يُبْكِينِي
وَإِنَّكَ لَعَمْرُكَ لَتَذْكُرُ إِلَى جَانِبِ هَذَا كُلَّهُ
اِقْطِطَاعَ ذَوِي النُّفُودِ لِمُخْتَلِفِ الْأَمْصَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ ،
فَذَاكَرُ أَنْ الْمَنْصُورَ بْنَ أَبِي عَامِرٍ رَاحَ بِالْأَنْدَلُسِ ،
وَأَنَّ الْفَاطِمِيَّينَ اخْتَصَمُوا بِمِصْرَ ، وَأَنَّ آلَ حَمْدَانَ ،
اِقْطِطَعُوا دِمَشْقَ وَحَلَبَ ، وَأَنَّ آلَ بُوَيَّهَ ، اسْتَقَلُّوا
بِبَغْدَادَ ، وَلَسْتُ أَشْكُ أَنَّكَ تَتَصَوَّرُ جَيِّدًا أَنَّ ذَلِكَ
النَّشَارَ وَالتَّقَاطُعَ ، وَتِلْكَ الْأَمْشَاجَ وَالذُّوِيلَاتِ لَمْ

تَخْلُ مِنْ نِقَاسٍ فِي الْفَضْلِ ، وَاسْتَبَاقٍ إِلَى الْمَآثِرِ ،
وَعَدُوٍّ فِي طُلُبَةِ الْعِلْمِ ، وَطَمَاعٍ لِلْأُولَوِيَّةِ ، فِي
الْإِحْسَانِ ، فَكَانَ مِنْهَا لِلْأَدَبِ خَيْرُ رَوَاجٍ ، وَأَنْفَقَ
سُوقَ ، وَأُسْعَدُ أَوْقَاتٍ وَإِنَّكَ أُمْتَعَكَ اللَّهُ وَأَحْسَنَ
صَقْلَكَ ، وَأَجْزَلَ مَنَحَكَ ، وَأَتَمَّ هَدْيَكَ ، لَذَاكِرُ
إِلَى جَانِبٍ وَسِيعِ عِلْمِكَ فِي الْمَأْوَرَدِيَّ وَتَوَالِيْفِهِ ، وَآثَارِهِ
وَتَصَانِيْفِهِ ، مَنْ عَاصَرَهُ مِنَ اللَّدَاتِ وَالْإِخْوَانِ ،
مِمَّنْ تُرَى رَوَائِعُهُمْ بِآثَارِ سُحْبَانٍ ، أَمْثَالَ الشَّرِيفِ
الرَّضِيِّ ، وَمِهْيَارِ الدَّيْلَمِيِّ ، وَأَبِي الْحُسَيْنِ الْأَنْبَارِيِّ
وَالْحَاطِمِيِّ وَالصَّابِيِّ وَالثَّعَالِبِيِّ ، وَأَبِي الْقَاسِمِ بْنِ طَبَاطَبَا ،
بَلْ وَالصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ ، وَابْنِ الْعَمِيدِ الَّذِي قِيلَ
فِيهِ وَفِي سَابِقِهِ عَبْدُ الْحَمِيدِ : « ابْتَدِئْتَ الْكِتَابَةَ

بِعَبْدِ الْحَمِيدِ ، وَانْتَهَتْ بِابْنِ الْعَمِيدِ .

وَلَعَلَّكَ تُطَالِبُنِي قَبْلَ مُطَالَعَتِكَ بِهَذَا السَّفَرِ
السَّافِرِ ، وَالْبَذْرِ السَّاطِعِ ، وَالنَّجْمِ اللَّامِعِ ، وَالزَّهْرِ
الْيَافِعِ أَنَّ الْخَصَّ لَكَ فِي سَطُورِ فَحْوَى تِلْكَ
الرِّسَالَةِ الْقَمِينَةِ بِالتَّذْيِيرِ ، الْخَلِيقَةِ بِالتَّعْبِيرِ ، الْجَدِيرَةِ
بِإِنْعَامِ النَّظَرِ ، وَإِجَالَةِ الْفِكْرِ ، وَلَسْتُ بِرَادِّكَ
عَنْ سُؤْلِكَ وَلَا مُتَسَكِّعٍ فِي طُلُبَتِكَ فَأَقُولُ مُلَخَّصًا :
إِنَّكَ جَامِعٌ بَيْنَ كَوْنِكَ رَعِيَّةً لِمَلِكِكَ وَحُكُومَةً
عَلَى رَعِيَّةٍ هَذَا الْمَلِكِ ، فَالْمَلِكُ وَهُوَ الَّذِي يُعَبِّرُ عَنْهُ
بِالسُّلْطَانِ هُنَا هُوَ وَحْدَهُ السَّائِسُ أَوْ الْحَاكِمُ بِأَمْرِهِ ،
فَأَنْتَ أَكْثَرُ اضْطِلَاعًا بِالْأَمْرِ فِي الدَّوْلَةِ : وَيَسْهُلُ
قَبَادُ الْمَبَادِي بِتَرْغِيْبِكَ النَّاسَ فِي سِيَاسَتِكَ وَتَضَعُ

عَلَيْكَ الْعَوَاقِبُ بِإِغْتَابِكَ النَّاسَ أَى صَرَفِهِمْ عَنْ
سِيَاسَتِكَ بِالرَّهْبَةِ أَوْ الْجَوْرِ مَثَلًا ، مُسْتَظْهِرًا
وَلْتَكُنْ أَيُّهَا الْوَزِيرُ عَلَى حَالٍ فِيهَا حِيطَةٌ ،
تُطْلَبُ مَعَهَا أَنْ تَكْفِيَ مَوْثُونَةَ الْإِحْسَانِ
إِلَيْكَ فَلَا تَقِفْ مِنَ النَّاسِ مَوْقِفَ مَنْ يَعْدُونَ
إِحْسَانَهُمْ إِلَيْهِ

بَالِغُ فِي وَقَايَتِكَ وَتَحْصِينِكَ مِنَ الْمَوْتِ وَلِكُلِّ
أَجَلٍ كِتَابٌ وَتَوَكَّلْ حَقَّ التَّوَكَّلِ عَلَى اللَّهِ مَعَ بَعْدِكَ
حَقَّ الْبُعْدِ عَنِ التَّهْلُكَةِ .

إِنَّ مُسَالَمَتَكَ فِي غَشْيَانِ الْمَحْنَةِ أَوْلَى مِنْ مُغَالَبَتِكَ
لِهَذَا الْقَدْرِ الَّذِي أُمْتَحِنُكَ فَإِنَّهُ غَابُوكَ

إِذَا اضْطُرِرْتَ إِلَى الْمُخَالَطَةِ وَالْمُسَالَمَةِ فَكُنْ
عِنْدَ اضْطِرَارِكَ ، لَا تَعْتِبِ الزَّمَانَ عَلَى جَوْرِهِ ،
وَأَغْمِضْ عَيْنَكَ عَنْ ثَوْرَتِهِ .

الْعَدْلُ فِي الْمَالِ أَلَّا يُؤْخَذَ إِلَّا مِنْ وَجْهِهِ حَلَالٍ ،
وَلَا يَقِفَ دُونَ صَرْفِهِ لِمُسْتَحَقِّهِ مُحَالٌ .

الْعَدْلُ فِي الْقَوْلِ أَنْ يُوزَعَ بَيْنَ النَّاسِ بِحَسَبِ
دَرَجاتِهِمْ .

زِنِ الثَّنَاءَ وَالْهَجَاءَ بِمِيزَانِ التَّقْدِيرِ لِلْإِسَاءَةِ
وَالْإِحْسَانِ ، فَإِنْ أُرْغَبْتَ بَعْدَ ثَنَاءٍ لِمُسْتَحَقِّهِ ، أَوْ أُرْهَبْتَ
بَعْدَ هِجَاءٍ لِمَوْضِعِهِ ، كُنْتَ الْعَدْلَ فِي قَوْلِكَ .

الْمُجَازَاةُ مُسْتَوْجِبَةٌ بِالْقَانُونِ السَّمَائِيِّ أَوْ الْوَضْعِيِّ
مَتَى وَجِدَ سَبَبُهَا ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ زُلْفَى أَوْ صِلَةً

فَإِنَّ هَذَا يُخْرِجُهَا عَنْ وَاجِبِيَّتِهَا إِلَى لَوْنِهَا التَّبَرُّعِيَّةِ
الاستِجْدَائِيَّةِ ، وَيَقِفُ بِالْمُجَازِي مَوْقِفَ الْمُحَابِي
أَوِ الْمُدَاهِنِ ، فَيَذْهَبُ شَأْنُهُ كَمَا ذَهَبَ خَطَرُ الْمُجَازَاةِ ،
نَعَمْ إِنَّ الْوَزِيرَ لَهُ خِيَارُهُ فِي تَقْرِيْبٍ مَنْ شَاءَ ، وَإِبْعَادِ
مَنْ أَرَادَ . وَلَكِنْ هَذَا إِذَا خَلَا رَأْيُهُ مِنَ التَّحَامُلِ
عَلَى مَنْ يَسْتَحِقُّ الْفَضْلَ ، وَمِنْ التَّعَصُّبِ لِمَنْ يَسْتَوْجِبُ
الْعِقَابَ ، وَمَوْقِفُ الْوَزِيرِ عَلَى هَذَا الْحَالِ ، مَوْقِفُ الْمُتَبَرِّعِ
فِي الْحَالَيْنِ ، وَالتَّبَرُّعُ فِي غَيْرِ وَجْهِهِ بِشَطَطٍ وَإِسْرَافٍ ،
وَكِتَابٌ يُقْصَدُ بِهِ وَجْهُ الشَّيْطَانِ .

مِنَ النَّاسِ مَنْ يَسْتَحِقُّ وَعْدَكَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ
يَسْتَحِقُّ وَعِيدَكَ ، فَيَجِبُ أَنْ تُنَجِّزَ الْوَعْدَ لِمُسْتَحِقِّهِ
لِأَنَّهُ حَقٌّ عَلَيْكَ ، وَلَكَ أَنْ تَمْحُوَ وَعِيدَكَ لِأَنَّهُ حَقٌّ

لَكَ ، وَالْعَفْوُ مَكْرَمَةٌ وَشَرَفٌ ، غَيْرَ أَنَّ تَرْكَ الْوَعِيدِ ،
يَجِبُ أَنْ تُظْهِرَ وَازِعَهُ إِذَا بَطَنَ ، حَتَّى تَكْفُلَ الْهَيْبَةَ
فِي أَوْامِرِكَ وَنَوَاهِيكَ ، فَلَا يُغْمَرُ جَانِبُكَ مِنْ
خُصُومِكَ وَشَانِيكَ .

أَنْتَ إِزَاءَ الْمُحْسِنِ مُثِيبٌ ، وَإِزَاءَ الْمُسِيءِ مُعَاقِبٌ ،
وَلِزَامٌ عَلَيْكَ أَنْ تَفْعَلَ هَذَا ، فَإِذَا اسْتَطَعْتَ
وَاسْتَبَدَلْتَ بِالثَّوَابِ وَعَدًا كَانَ هَذَا الْوَعْدُ تَقْصِيرًا ،
أَوْ إِنْ اسْتَبَدَلْتَ بِالْعِقَابِ وَعِيدًا كَانَ هَذَا الْوَعْدُ
عَجْزًا ، فَلَيْسَ يُرَادُ بِالْوَعْدِ إِلَّا أَنْجَازُهُ ، وَبِالْوَعِيدِ وَقُوعُ
مَضْمُونِهِ ، وَجَنَّبَ نَفْسَكَ الْغَضَبَ وَإِثَارَ الْإِنْتِقَامِ ،
حَتَّى لَا تَلْحَقَكَ مَعَرَّةُ الْقَوْلِ أَوْ الْفِعْلِ إِذَا خَالَفَ
كِلَاهُمَا مَبْدَأَ التَّأْدِيبِ وَالْإِزْدِجَارِ .

الْغَضَبُ خُلَّةٌ لِسَلِيبِ الْحُجَّةِ ، وَإِذَا كَانَ لَهُ عِزَّةٌ
ظَاهِرَةٌ فَقَدْ يَمْحُوهَا ذَلِكَ الْإِعْتِذَارُ لِلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِ ،
وَاللُّغْضَبِ وَيَلَاتُ تَضَاعَفُ بزيادته .

وَلْتَجْعَلِ التَّغَاضِيَّ عَنِ الْمُسِيءِ بَدِيلًا مِنَ الْغَضَبِ
عَلَيْهِ ، فَإِنَّ فِي التَّغَاضِيِّ وَعِيدٌ صَامِتٌ . يَقُومُ الْخُصْمُ ،
وَيَعْدِلُ بِالْمُسِيءِ إِلَى الْإِنَابَةِ .

إِذَا كَانَ لَا بُدَّ لَكَ مِنَ الْغَضَبِ ، فَلَا يَكُنْ كَغَضَبِ
الْعَامَّةِ وَالذَّهْمَاءِ ، لَا تُرْسِلِ الْقَوْلَ فِيهِ عَلَى عَوَاهِينِهِ ،
وَلَا يَسْلُبُ دَمَكَ أَوْ يَضْطَرِبُ فَيَتَغَيَّرُ لَوْنُكَ ، وَلَا
يَخْفُ جَسَدُكَ فَتَمُدُّ يَدَكَ لَا كِمًّا أَوْ رَأْسَكَ نَاطِحًا ،
بَلْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْغَضَبُ مَظْهَرِ قُوَّةٍ ، وَحَذَارِ
اللَّجَاجِ وَحَدِّهِ أَوْ مُقْتَرِنًا بِهِ الْغَضَبُ . وَإِذَا رَأَيْتَ

هَوَادَةٌ تَمْحُو جَلَاكَ ، فَمِنَ الْعِزَّةِ أَنْ تَعُودَ إِلَى رَأْيِكَ
لِيَنْتَفَعَ بِهِ . وَإِنَّ هَذَا هُوَ الْخُلُقُ .

إِنَّ سُلْطَانَكَ فِي الدَّوْلَةِ يَحْفَظُكَ إِلَى اسْتِكْمَالِ هَيْئَتِكَ
وَتَوَخَّى الْحَقَّ فِي قَوْلِكَ وَفِعْلِكَ . وَالْهَزْلُ يَمْحَقُ
الْهَيْبَةَ ، وَهُوَ مَرْتَعٌ خَصِيبٌ لِلْبَاطِلِ . وَأَيُّ حَاكِمٍ
هَازِلٍ يَسْتَطِيعُ دَفْعَ الْهَازِلِينَ عَنْ بَابِهِ وَطَمَعِهِمْ
فِي جَبَائِهِ ؟

لَا يَحْسَبَنَّ قِصَارُ الْإِذْرَاكِ أَنَّ الْجَدَّ كَبُرَ وَعُظْفُ ،
وَأَنَّ الْهَزْلَ تَوَاضَعُ وَعُظْفُ ، كَمَا لَا يُبَالِغَنَّ صَاحِبُ
السُّلْطَانِ فِي اتِّخَاذِ الْجَدِّ سَبِيلًا لِتُرْكَزَ هَيْئَتُهُ ، أَوْ فِي
اسْتِخْدَامِ الْهَزْلِ وَسَيْطَا لِحَفْزِ الشَّعْبِ إِلَى مَحَبَّتِهِ ،
فَقَدْ يَتَرَدَّى فِي الْأُولَى إِلَى الْجَدِّ الْمُتَكَبِّرِ ، وَفِي الثَّانِيَةِ

إِلَى الْهَزَلِ الْعُطُوفُ وَلَنْ يُمَكِّنَ حِسْبَانُ الْجِدِّ كِبَرًا ،
وَلَا حِسْبَانُ الْهَزَلِ عَطْفًا ، إِذِ الْمَعْرُوفُ أَنَّ الْكِبَرَ
وَالْتَوَاضِعَ مِنْ شَيْمِ النَّفُوسِ ، وَالْجِدُّ وَالْهَزَلُ مِنْ
أَفْعَالِهَا ، وَفَرَقٌ كَبِيرٌ بَيْنَ هَذِهِ وَتِلْكَ .

لَيْسَ بِمُسْتَنْكَرٍ عَلَى الْجِدِّ الْإِسْتِرَوَاحُ بَعْضِ
الْهَزَلِ ، فَأَكُلْ بَعْضَ التَّوَابِلِ إِلَى الْإِسْتِمْرَاءِ بِاللُّحُومِ
يُسَاعِدُ هَضْمَ الطَّعَامِ ، فَإِنَّ مَكْرُورَ الْجِدِّ يَبْعَثُ عَلَى
الْمَلَالِ ، وَلَا حَزَمَ لِمَلُولٍ . وَاسْتِجْمَاعُ قُوَّةِ النَّفْسِ فِي
مُحِيطِ الْحَقِّ يُعَوِّزُهُ خَطَرَةٌ أَوْ خَطَرَاتٌ مِنَ الْهَزَلِ
مَا دَامَ هَذَا لَا يُؤَثِّرُ عَلَى دِينٍ ، وَلَا يَفْتِي فِي مُرُوءَةٍ .
الصَّدَقُ مُطَابَقَةُ الْخَبَرِ لِلْوَاقِعِ أَوْ لِلْإِعْتِقَادِ ،
وَالْكَذِبُ ضِدُّهُ ، وَكَمَا يَتَجَانَى الْجِدُّ وَالْهَزَلُ يَتَجَانَى

الصِّدْقُ وَالْكَذِبُ . وَالصِّدْقُ لَازِمٌ مِنْ لَوَازِمِ
 الْعَقْلِ ، وَالْكَذِبُ مِنْ لَوَازِمِ الْجَهْلِ . وَالْكَذِبُ
 زُورٌ كَأَنَّهُ خَيَالٌ وَيَحِبُّ اطِّرَاحَهُ وَإِنْ خِيلَ أَنَّهُ يَنْفَعُ ،
 لِأَنَّ هَذَا النِّفْعَ كَالسَّرَابِ ، لَا يَلْبَثُ أَنْ يَنْفَضِحَ وَيَظْهَرَ
 بِهِ الْغُرُورُ .

الْوَزَارَةُ قِسْمَانِ : تَقْوِيضٌ ، تَنْفِيذٌ :

فَالْأُولَى أَعْمُ وَأَشْمَلُ ، وَتَنْضَوِي تَحْتَ سُلْطَتِهَا
 إِدَارَةُ السَّيْفِ وَالْقَلَمِ ، وَبِيَدِ هَذِهِ الْوَزَارَةِ كُلُّ مَرَافِقِ
 الدَّوْلَةِ ، وَلَهَا الْعَقْدُ وَالْحُلُّ ، وَالتَّوْلِيَةُ وَالْعَزْلُ . وَيُرَى
 أَنَّ لَا بُدَّ فِي الْعَقْدِ مِنَ التَّنْفِيذِ وَالْإِقْدَامِ ، وَأَنَّ لَا بُدَّ
 فِي الْحُلِّ مِنَ الدَّفَاعِ وَالْحَذَرِ .

لِكُلِّ مِنْ التَّنْفِيزِ وَالِدَّفَاعِ وَالْحَذَرِ وَالْإِقْدَامِ
فَصُلِّ خَاصٌّ بِهِ .

فَأَمَّا التَّنْفِيزُ فَأَرْبَعَةُ أَقْسَامٍ :

الْأَوَّلُ : تَنْفِيزُ مَا صَدَرَتْ بِهِ إِرَادَةُ الْمَلِكِ
« أَوْ مَرْسُومُهُ » . وَعَلَى الْوَزِيرِ فِي هَذَا أَنْ يُبَاشِرَهَا مِنْ
أَوَّلِهَا يَخْلُوهَا مِنَ الزَّلَلِ ، وَفِي وَسْطِهَا يَخْلُوهَا مِنْ
الْخَلَلِ ، فَإِذَا خَلَصَتْ مِنْ كُلِّ شَائِبَةٍ كَانَ عَلَيْهِ أَنْ
يُعَجِّلَ إِمْضَاءَهَا .

الثَّانِي : تَنْفِيزُ مَا رَأَاهُ الْوَزِيرُ صَالِحًا فِي مَرَافِقِ
الدَّوْلَةِ وَهُوَ فِي هَذَا مُطَالِبٌ بِالْأَمَانَةِ جِدًّا الْمُطَالَبَةِ ،
وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَقِلَّ كُلُّ الْإِسْتِقْلَالِ بِرَأْيِهِ دُونَ
الرُّجُوعِ إِلَى الْمَلِكِ فَإِنَّ فِي هَذَا افْتِيَاتًا جَائِرًا

يُوغِرُ صَدْرَ الْمَلِكِ ، وَيَمْلَأُ نَفْسَهُ حَقْدًا عَلَى الْوَزِيرِ ،
وَكَذَلِكَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْمَلِكِ فِي تَوَافِهِ
الْآرَاءِ وَحَقِيرِهَا فَيَشْغَلَ نَفْسَهُ بِمَا لَا يَصِحُّ أَنْ
يَنْشَغَلَ بِهِ .

إِنَّمَا يَعْرِضُ الْأَمْرَ عَلَى الْمَلِكِ لِيَقُولَ كَلِمَتَهُ فِيهِ ،
فَإِذَا كَانَ مُعَارِضًا لِلْوَزِيرِ تَقَبَّلَ اسْتِدْرَاكَهُ بِقَبُولِ
حَسَنٍ ، وَإِنْ رَأَى اسْتِضَاحَهُ أَسْبَابَ الْمُعَارَضَةِ تَخَيَّرَ
لِهَذَا أَرْقَ الْأَسَالِيبِ فِي الْخُطَابِ ، فَإِنَّ الْمَلِكَ قَدْ
أَقَامَهُ وَكِيلاً بَيْنَ سِيَاحِ مِنْ عَهَادَتِهِ وَمُشَارَفَةِ
مِنْهُ لِأَعْمَالِهِ ، وَالْمَفْرُوضُ بِأَدَى ذِي بَدْءٍ أَنْ قِسْطَ
الْمَلِكِ فِي قَبُولِ الرَّأْيِ مُعْظَمُهُ ظَنُّ وَرِيبةٌ .

فَإِنَّ رَأْيَ الْوَزِيرِ أَنْ اسْتِدْرَاكَ الْمَلِكِ الْمُلْكَ

لَيْسَ قَوِيًّا، أَوْ أَنَّ رَأْيَهُ أَيْ الْمَلِكِ ضَعِيفٌ تَقَدَّرَ رَأْيُهُ
طَاعَةً لَهُ، وَتِلْكَ حَالَةٌ لَا تَكَادُ تُوجَدُ إِلَّا فِي مَوَاطِنِ
الِاسْتِبْدَادِ الْأَعْمَى مِنَ الْمُلُوكِ .

الثَّالِثُ : تَنْفِيزُ آرَاءِ الْمُوظَّفِينَ الْمُضْطَلَعِينَ بِأَعْبَاءِ
الْعَمَلِ الْوُكَلَاءِ عَنِ الْوَزِيرِ ، وَمَوْقِفُهُ فِي هَذَا الْقِسْمِ أَنَّ
يُمْنِي لَهُمْ آرَاءُهُمْ فِي غَيْرِ مُصَادَرَةٍ لَهُمْ وَلَا تَعَقُّبٍ، إِلَّا
إِذَا تَأَكَّدَ خَطْلَ هَذِهِ الْآرَاءِ وَزَلَّ لَهُمْ فِيهَا، وَإِذْنُ فَهُمْ
الْمَأْخُذُونَ بِهَا وَالْمَسْئُولُونَ عَنْهَا .

وَإِنْ وَقَفُوا هَذِهِ الْآرَاءَ عَلَى تَنْفِيزِهِ « أَيْ الْوَزِيرِ »
فَعَلَيْهِ أَنْ يَسْتَوْعِبَ أَسْبَابَهَا وَمُلَابَسَاتِهَا، وَيَسْتَكْشِفَ
خَطَأَهَا وَصَوَابَهَا ، عَلَى أَنَّهُ لَا يَأْلُو جُهْدًا دَفْعًا لِلرَّيْبِ
عَنْهُمْ وَتَقْوِيَةً لِأَيْدِيهِمْ .

فَإِذَا خَلَتْ أَرَاؤُهُمْ فِي عَيْنِهِ مِنْ كُلِّ خَلَلٍ وَنَفَذَهَا
كَانَتْ مَسْئُولِيَّتَهَا عَلَيْهِمْ ، وَإِنْ وَقَفَهَا فِي هَذِهِ الْحَالَةِ
عَنِ الْإِمْضَاءِ وَالتَّنْفِيزِ ، كَانَ وَزَرُ وَقُوفِهَا عَائِدًا عَلَيْهِ ،
إِذَا الْمَفْرُوضُ أَنَّهُ يَتَحَدَّاهُمْ بِهَذَا الْوُقُوفِ .

تَنْفِيزُ أُمُورِ الرَّعَايَا عَلَى مَا صَرَفَهُمُ اللَّهُ إِلَيْهِ مِنْ
وُجُوهِ الْعَمَلِ مَثْرُوكٌ إِلَيْهِمْ ، لِأَنَّ فِطْرَةَ النَّاسِ اسْتِقْلَالُ
كُلِّ قَبِيلٍ بِنَوْعٍ مِنْ أَعْمَالِ الْحَيَاةِ حَتَّى يَتِمَّ مَعْنَى
مَدَنِيَّتِهِمْ بِالطَّبِيعِ ، وَكُلُّ مُيَسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ ، فَلِلزَّرَاعِ
حَقُّوهُمْ وَبَسَاتِينُهُمْ ، وَلِلصَّنَاعِ صِنَاعَاتُهُمْ الْمُخْتَلِفَةُ ،
وَلِلتَّجَارِ مَتَاجِرُهُمْ تَنْصَرِفُ إِلَيْهَا عَادَتُهُمْ ، وَعَلَى الْوَزِيرِ فِي
تَنْفِيزِ هَذِهِ الْأُمُورِ وَإِقْرَارِهَا ، أَلَّا يُعْرِقِلَ أَوْ يَعْتَرِضَ
أَيَّ قَبِيلٍ فِي مِهْنَتِهِ أَوْ يَشَارِكُهُ فِي مَكْسَبِهِ ، وَمُشَارَكَةُ

السُّلْطَانِ فَجَوَّةٌ بَيْنَ هُوَ لَا وَبَيْنَ نُظْمِ حَيَاتِهِمْ
 الْمَعِيشِيَّةِ ، إِذْ رُبَّمَا اخْتَصَّ مَيْلُهُ بِالتَّجَارَةِ مَثَلًا فَيَنْقُلُ
 إِلَيْهَا مَنْ لَا يَعْرِفُونَ عَنْهَا حَتَّى مَبَادِيهَا الْأَوَّلِيَّةَ
 مِنَ الزَّرَّاعِ أَوْ الصَّنَاعِ ، يَتَنَمَّاءُ يَنْقُلُ مَكَانَهُمْ بَعْضَ
 التُّجَّارِ وَهَذَا هُوَ الْإِضْطِرَابُ وَالِاخْتِلَالُ .

الْبُورَاءُ لِلْمَلِكِ تَنْحَطُّ فِيهِ نَفْسُ السُّلْطَانِ إِلَى دَرَكِ
 الْعَامَّةِ فِي مَكَاسِبِهِمْ ، فَإِذَا شَرِهَتْ نَفْسُ الْمَلِكِ فَضْنَ
 عَلَى شَعْبِهِ بِمَوَارِدِ رِزْقِهِ ، أَوْ شَارَكَهُ فِيهَا ، فَرَّاحَ
 يَتَجَرُّ مَعَ التُّجَّارِ ، أَوْ يَزْرَعُ مَعَ الزَّرَّاعِ . فَإِذَا رَغِبَ
 فِي التَّجَارَةِ مَثَلًا كَانَتْ حَوَائِثُهُ الْمُسْتَرَادَ وَالْمَذْهَبَ
 لِلزَّبَائِنِ ، لِأَنَّ فِي مُسْكِنِهِ أَنْ يَذْهَبَ بِهَا إِلَى الذَّرْوَةِ ،
 وَمَتَى وَسَمَتْ بِاسْمِهِ صَاقَتْ الْأَرْزَاقُ أَوْ قَلَّتْ عَلَى مَنْ

عَدَاهُ مِمَّنْ يُشَارِ كَوْنَهُ ، وَهُوَ بِحُكْمِ كَوْنِهِ تَاجِرًا
يَتَجَرَّدُ عَنْ عَاطِفَةِ الْحَنَانِ عَلَى الْمَصْلَحَةِ الْعَامَّةِ ، فَكُلُّ
هَمِّهِ أَنْ يَكْسِبَ وَلَوْ غُلِقَتْ دُونَ شَرِّهِ أَبْوَابُ
وَافْتَقَرَتْ نُفُوسٌ .

هَذَا عَلَى أَنَّ دَالَّتَهُ بِشَرَفِ تَاجِرِهِ تُمَحِّى فِي مِهْنَتِهِ
الطَّامِعَةِ وَمِحْنَتِهِ الْجَائِعَةِ . فَمَا يَنْبَغِي لِلْمُلُوكِ أَنْ يَتَعَدَّوْا
مَوَادَّ السُّلْطَنَةِ فِي مَكَاسِبِهِمْ فَإِنَّهَا أَشْرَفُ الْمَوَارِدِ
رِزْقًا وَأَنْبَلُهَا مَكْسَبًا .

عُقِدَ هَذَا الْفَصْلُ لِيُثْبِتَ أَنَّ الدِّفَاعَ مُهِمَّةٌ يَقُومُ
بِهَا الْوَزِيرُ ، وَقُسِّمَ الدِّفَاعُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ :
الْأَوَّلُ : الدِّفَاعُ عَنِ الْمَلِكِ مِنْ أَقَارِبِهِ ، وَهَذَا
الدِّفَاعُ ثَلَاثُ وَسَائِلَ (١) أَخْذُهُمْ بِالرَّعِيَّةِ فِي الزَّامِهِمْ

طَاعَةَ الْمَلِكِ ، وَبِالرَّهْبَةِ لِكِفِّهِمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ
 (ب) أَنْ يَحُولَ دُونَ نُفَرَتِهِمْ أَقْوِيَاءَ أَوْ تَقْرِيقِهِمْ ضُعَفَاءَ
 بِكِفَايَتِهِمْ (ح) أَنْ يَبَاعِدَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْإِغْوَاءِ
 وَالْإِغْرَاءِ مُتَتَبِعًا فِي هَذَا أَخْبَارُهُمْ ، فَيَعْلَمَ ظُرُوفَهُمْ الْخَاصَّةَ
 وَالْمُشْتَرَكَةَ ، وَعَامِلًا دَائِمًا عَلَى بُعْدِ الْمُفْسِدِينَ عَنْهُمْ .
 لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ بِالْمَلِكِ فِي دِفَاعِ الْوَزِيرِ عَنْهُ مِنْ
 أَوْلِيَائِهِ ، أَنْ يَتْرَكَ لَهُمْ فُرْجَةً إِلَى الْقُوَّةِ فَيُضْبِحُوا
 أَعْدَاءَ مُسَلِّطِينَ ، وَلَا أَنْ يَسْتَذِلَّهُمْ فَيُضْبِحُوا بِالضَّعْفِ
 عِزَّةً مُسْتَذَلِّينَ ، وَفِي غَفْلَةِ الْوَزِيرِ أَوْ مَهْلَةٍ فِي هَذَا
 النَّوْعِ مِنَ الدِّفَاعِ ، يَتَحَلَّى الْمَوْقِعُ إِمَّا رَائِعًا أَوْ رَائِقًا ،
 وَكِلَاهُمَا شَرٌّ مَخْشَى الْمَعْرَِّةِ .
 الدِّفَاعُ عَنِ الْمَمْلَكَةِ مِنْ أَكْفَاءِ مُمَائِلِينَ ، وَهُوَ لَاءُ

يُدْفَعُونَ بِالْمُجَالَبَةِ وَالْمُخَالَفَةِ ، وَمِنْ عُظَمَاءِ مُتَقَدِّمِينَ ،
وَأُولَئِكَ يُدْفَعُونَ بِالْمُلَاطَفَةِ وَالْمُلَايَنَةِ ، وَمِنْ
نَاجِمَةٍ مُنَافِسِينَ ، وَدِفَاعُ هَذَا الصَّنْفِ لَا يَكُونُ إِلَّا
بِالْعُنْفِ وَالْمُخَاشَنَةِ .

وَالْأَصْلُ فِي الدِّفَاعِ الرَّأْيُ لَا السَّيْفُ ، فَإِذَا نَجَحَ
فِي دِفَاعِهِ بِالْقَوْلِ ، وَكَفَى مُوْثُونَةَ الْحَرْبِ مَعَ الْجَمِيعِ
أَوْ مَعَ ضَعِيفٍ مِنْهُمْ ؛ كَانَ بِهِذَا مُضَاعَفَ النَّصْرِ
وَالنَّجَاحِ . فَقَدْ اسْتَطَاعَ الدِّفَاعَ ، وَاسْتَطَاعَ السَّلَامَ .
وَلَا يَحْسَبَنَّ فِي السَّلْمِ تَقْضَ لَبِنَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ صَرْحِ
هَيْبَةِ الدَّوْلَةِ وَكَرَامَتِهَا

عَلَى أَنَّهُ فِي السَّلْمِ يَحْظَى لِدَوْلَتِهِ بِالْأَشْيَاءِ
الرَّابِعَةِ الْمَذْكُورَةِ

لِيَكُنْ رَأْيُكَ الْحِيلَةَ مَا وَجَدْتَ لَهَا الْوَسِيلَةَ ،
وَإِذَا طَاوَلَ عَدُوُّكَ وَتَمَاهَلَ ، فَلَا تَسَامَنَّ وَلَا تَتَعَجَّلْهُ ،
فَإِنَّكَ فِي الْإِبْطَاءِ جَامِعُ نَفْسِكَ وَتَفْكِيرِكَ لِفُرْصَةٍ
تُنْتَهَزُ ، وَغَوْرَةٍ يُؤْخَذُ بِهَا خَصْمُكَ ، وَفِي الْمُلْحَمَةِ
أَخْطَارُ ، فَلَا تُرْجِ الظَّفَرَ فِي مُلَاقَاةٍ أَوْ اصْطِدَامٍ ،
وَإِذَا تَقَدَّمَ إِلَيْكَ عَدُوُّكَ بِطَاعَةٍ ، فَالْظَّفَرُ بِهَا دُونَ
الْغَنِيمَةِ الْمَرْجُوءَةِ بِالْحَرْبِ ، إِنَّكَ بِهَذَا تَحْقِنُ دِمَاءَ
أَصْحَابِكَ وَرَعِيَّتِكَ ، وَتَدَّخِرُ نَفُوسَ الْجُنُودِ لِحَرْبٍ
لَا رَيْبَ فِيهَا .

إِلْبَسِ الْحَذَرَ وَالْإِحْتِيَاظَ دِرْعًا سَابِغَةً . وَلَكَ
اخْتِيَارٌ وَلِلْقَدَرِ أَسْبَابُ ، فَلَا تَتَّكِلْ عَلَيْهِ فِي الْأُمُورِ ،
فَمَا أَحْرَزَ النَّصْرَ إِلَّا مُجَاهِدٌ غَالِبٌ ، وَلَا هُزِمَ إِلَّا

رَغِيدٌ خَائِبٌ . وَاجْعَلْ لَكَ فِي كُلِّ أَمْرٍ طَلِيعَةً
إِلَى ارْتِيَادِ مَجَاهِلِهِ حَتَّى تَكْشِفَ عُقْبَاهُ ، فَإِمَّا نَصْرُ
عَزِيزٍ قَتَمَضَى فِيهِ ، وَإِمَّا انْهِزَامٌ فَتَتَجَنَّبَ طَرِيقَهُ ،
وَإِذَا آذَنْتَ شَمْسُ السَّلَامِ وَأَنْتَهَتْ الْحَرْبُ ، فَشِيعُ
مَعَهَا غَضَبِكَ عَلَى خُصُومِكَ مَا دُمْتَ قَدْ ظَفَرْتَ
بِهِمْ ، لِأَنَّهُمْ وَهُمْ مُحَارِبُوكَ كَانُوا أَعْدَاءَ ، وَبَعْدَ ظُهُورِكَ
عَلَيْهِمْ أَصْبَحُوا أَتْبَاعًا وَخَوَلَا .

وَأَمَّا دِفَاعُ الْوَزِيرِ عَنْ نَفْسِهِ فَمِنْ أَكْفَائِهِ ، وَأَكْفَاؤُهُ
ثَلَاثَةٌ : وَاتَرٌ وَمَوْتُورٌ وَمُنَافِسٌ . .

فَأَمَّا الْوَاتِرُ فَقَدْ عَدَا عُدْوَانَهُ ، مُبْتَدِئًا بِشَرِّهِ
مُرْتَجِلًا بِحِدَّتِهِ ، وَعَلَى ظَهْرِهِ يُصَبُّ هَذَا السَّوْطُ الَّذِي
رَفَعَهُ . فَمَا فَعَلَ امْرُؤٌ خَيْرًا إِلَّا وَبِنَفْسِهِ بَدَأَ ، وَمَا فَعَلَ

شَرًّا إِلَّا وَعَلَى نَفْسِهِ جَنَى . وَلِلْوَزِيرِ فِي عَفْوِهِ
 شُكْرُ الْحَلِيمِ وَقَدْ قَدَرَ ، وَفِي مُقَابَلَتِهِ بِالْمِثْلِ عُذْرُ
 الْحَرِّ إِذَا انْتَصَرَ . وَلَكِنَّ لَذَّةَ الْعَفْوِ أَطْيَبُ مِنْ
 لَذَّةِ التَّشَقُّقِ .

وَلَكَ حَقُّكَ فِي اسْتِدْفَاعِ عَدَاوَةِ هَذَا الْوَاتِرِ ،
 وَدَفْعِكَ عَدَاوَتَهُ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ طِبَاعِهِ : فَقَدْ تُدْفَعُ
 بِالرَّغْبَةِ ، وَقَدْ تُدْفَعُ بِالرَّهْبَةِ . وَهَذَا الَّذِي عَادَاكَ فِي
 مَظَاهِرِهِ أَوْ هُنَّ الْأَعْدَاءُ كَيْدًا ، وَأَعْجَزُهُمْ فِي الْمُسَاجَلَةِ .
 وَيُعَوِّزُكَ دِفَاعُكَ الْمُنَافِسَ فِيهِ الْحُنْكَاءَ وَالْمُدَاوَرَةَ ،
 فَإِنَّهُ طَالِبُ رُتْبَةٍ يَنْفَسُ عَلَيْكَ فِي سُلْطَانِكَ . فَإِنْ نَالَ
 مِنْ رُتْبَتِهِ سَدَّ خَلَّتِهِ لَانَ وَانْقَادَ ، وَإِنْ قَامَتِ الْعُقَبَاتُ
 فِي مَذْهَبِهِ نَافَرَ وَخَاصَمَ ، وَحَقَّدَ وَحَسَدَ ، فَيَسْرُّ لَهُ

بِالِاسْتِنَابَةِ طَرِيقَ الْحَيَاةِ . وَلَا تُتَكَّنْهُ مِنْ فُرْصَةٍ
يَثْبُ مِنْهَا عَلَى سُلْطَانِكَ ، فَإِنَّهُ مُضْطَرٌّ ، وَالْمُضْطَرُّ
جَرِيُّ الشَّرِّ مُسْتَبَاحُ الْغَضَبَةِ .

وَإِنَّكَ لَتَصْطَنِعُهُ إِذَا أُمَكَّنْتَ لَهُ فِي الْعَيْشِ ، وَالذُّنْيَا
أَيَّامُهَا سِجَالٌ : يَوْمٌ فِيهِ الدَّوْلَةُ لَكَ ، وَيَوْمٌ فِيهِ الدَّوْلَةُ
عَلَيْكَ . فَاعْمَلْ فِي يَوْمِكَ الْأَوَّلِ ، مَا يَدْفَعُ عَنْكَ
عَادِيَاتِ يَوْمِكَ الثَّانِي . وَرُبَّمَا كَانَ لِهَذَا الْمُنَافِسِ
نَجْدَتُهُ لَكَ حِينَ تُنَاشِدُ النَّجْدَةَ ، وَتَسْتَغِيثُ التَّوْفِيقَ .
ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ :

مِنْ حُقُوقِكَ عَلَى الْمَلِكِ أَلَّا يُنْكِرَ بِلَاءَكَ
فَيَتَحَدَّكَ بِبَدِيلٍ ، وَأَنْتَ بَعْدُ مَا طَاشَ سَهْمُكَ ،
وَلَا خَبَتْ جَذْوَةُ نَشَاطِكَ ، إِنَّ فِي هَذَا بَتْرًا لِنَشَاطِكَ ،

وَاعْتِرَاضًا لِتِيَارِ جِهَادِكَ وَمُزَاولَتِكَ الْأَمْرِ بَعْدَ تَجَنُّبِهِ
جُهْدُ مُتَكَلِّفٍ وَخُطُواتُ أَعْمَى، وَلَيْسَ فِي الْمَمْلَكَةِ
مَنْ هُوَ زَعِيمٌ بِأَعْبَاءِ الْأَمْرِ سِوَاكَ فَحَقَّتْ لَكَ
الرَّعَايَةُ وَالتَّقْدِيرُ.

وَمِنْ حُقُوقِكَ عَلَيْهِ « الْمَلِكِ » أَلَّا يَغْمَزَ جَانِبَكَ
بِتَفْوِيتِ أَمْرٍ عَلَيْكَ لَيْسَ لَكَ فِيهِ اخْتِيَارٌ، بَلْ نَازِلًا
عَلَى حُكْمِ الْقَضَاءِ، وَلَيْسَ مَعْنَى هَذَا إِلَّا الْفُحْشَ فِي
التَّجَنُّبِ وَالتَّنَكُّرِ مِنَ الْمَلِكِ. فَاللَّهُ أَرَادَ وَقَدَّرَ فَمَا
ذَنْبُكَ؟ إِنَّهُ بِهَذَا يُكَلِّفُكَ فَوْقَ مُحِيطِ قُدْرَتِكَ،
وَوَرَاءَ طَاقَتِكَ، وَلَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا،
ثُمَّ يُهَيِّبُ بِهِ فِي حَذَرِهِ مِنَ الزَّمَانِ إِلَّا تَزْدَهِيهَ
النَّعْمَةَ وَالسُّلْطَانَ عَنِ الْعِظَةِ بِالْخُطُوبِ وَالْحَدَثَانِ،

وَأَنَّ دَوَامَ الْحَالِ مِنَ الْمُحَالِ ، وَلِكُلِّ دَوْلَةٍ زَوَالٌ ،
فَالدُّنْيَا تُفِيئُكَ الْيَوْمَ ظِلِّهَا ، وَتُدُلُّكَ فِي حِضْنِهَا
وَعَدًّا تَكْشِرُ لَكَ عَنْ نَابِ غُولٍ ، وَتَفْتَحُ لِكُلِّ
خُطْوَةٍ مِنْ خُطُواتِكَ زِينَةً لِاِقْتِنَاصِكَ ، وَتِلْكَ الْآيَامُ
نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ .

وَعَلَيْكَ لِحْذَرِكَ مِنَ الزَّمَانِ أَنْ تَجْتَلِبَ النَّاسَ
فِي يَوْمِ دَوْلَتِكَ بِاصْطِنَاعِهِمْ ، وَادِّخَارِ الْأَيْدِي عِنْدَهُمْ ،
وَاجْعَلْ مِنْ شَبَابِ يَوْمِكَ فَضْلَةً لِمَشْيَبِ غَدِكَ ، تَقْضِ
حَيَاتَكَ فِي أَمْنٍ مِنَ الْعَفَاءِ .

وَلْيَكُنْ شَأْنُكَ وَالنَّاسَ شَأْنُ الْمُسْتَرِيحِ مِنْ
مُغَاضَبَتِهِمْ وَتَعْدَادِ تِرَاتِيهِمْ عِنْدَهُ . فَقُدِّرْ لَكَ فِي يَوْمِكَ
مُتَلَاشِيَةً بِمَطْلَعِ غَدِكَ .

وَأَخِرْتُكَ . . . لِيَكُنْ لَكَ مِنْ بَعْثِهَا وَنُشُورِهَا
وَمِيزَانِهَا وَصِرَاطِهَا صُورُ الْعِظَةِ فِي يَوْمِ اسْتِجْمَامِكَ
مَعَ أَخَذِ حَظِّكَ مِنَ الدُّنْيَا وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنْهَا
النَّفْسُ طَمَاحَةٌ إِلَى الْعُلَا ، وَلَا تَصِلْ إِلَى غَرَضِهَا
الْأَسْمَى ، إِلَّا بَعْدَ تَحْمُلِ الْعَنَا ، مُصَاحَبَةِ الْأَخْيَارِ ،
وَمُدَاهَنَةِ الْأَشْرَارِ وَجَمَاعِ الْأَسْرَارِ نُبْلٌ . خَوْفُ
الرَّعِيَّةِ مِنَ الْعُمَالِ ، وَاضْطِرَابُ الْأَعْمَالِ مِنْ نَتَائِجِ
الْإِهْمَالِ . كِلَاهُمَا مِنْ سُوءِ السَّيْرِ وَفَسَادِ السِّيَاسَةِ .
وَأَنْتَ جَدِيرٌ أَيْهَا الْوَزِيرُ بِأَنْ تَرُدَّ الْأُمُورَ إِلَى
نِصَابِهَا وَتُجَرِّي الْمِيَاهَ إِلَى مَجَارِيهَا ، بِغَيْرِ شِدَّةٍ وَلَا
عُنْفٍ ، وَلَا قُوَّةٍ فِي غَيْرِ ضَعْفٍ ، « فَإِنَّكَ رَاعٍ
وَكُلُّ رَاعٍ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » الدُّنْيَا لَيْلٌ وَنَهَارٌ ،

وَأَقْبَالَ وَإِدْبَارُ ، نَعِيمُهَا زَائِلٌ ، وَدَوَامُ الْحَالِ فِيهَا
 مِنَ الْمُحَالِ ، فَكُنْ فِيهَا كَمَا قَالَ أَصْدَقُ قَائِلٍ
 « كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ »
 وَلْتَعْلَمَنَّ أَيُّهَا الْوَزِيرُ أَنَّ الدُّنْيَا إِنْ أَقْبَلَتْ أَذْبَرَتْ
 وَإِنْ أَضْحَكَتْ أَبْكَتْ ، وَإِنْ صَفَتْ كَدَّرَتْ ،
 فَعَلَامَ يَكُونُ الظُّلْمُ وَالْعُرُورُ ، وَالْفَسَادُ وَالشُّرُورُ ؟
 فَقَوِّمِ الْمُعْوجَّ ، وَمَنْ خَادَعَهُ الْأَمَلُ ، وَحَادَ عَنْ
 طَرِيقِ الْجَدِيدِ ، فَضَلَّ وَأَضَلَّ ، فَمَنْ اهْتَدَى فَقَدْ
 نَجَا ، وَفَارَ بِالرَّضَى ، وَكَانَتْ الْجَنَّةُ هِيَ الْمَأْوَى ،
 وَمَنْ غَلَبَتْ شِقْوَتُهُ فَقَدْ هَلَكَ ، وَبَاءَ بِالْخِزْيِ
 وَالْخُسْرَانِ ، وَالنَّارُ هِيَ الْمَأْوَى ، « فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ
 الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى . وَأَمَّا مَنْ خَافَ

مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ
الْمَأْوَى « فَقَلَّدَ الْأُمُورَ مَنْ هُوَ أَهْلُهَا وَجَدِيرٌ
بِهَا ، حَتَّى يَسُودَ النُّظَامُ وَيَلْتَمِمْ الْخَرْقُ وَيُرْتَقِ
الْفَتْقُ ، وَيَنْجِبِرَ الصَّدْعُ .

وَأَجْعَلَ الْقَاضِيَ مُنْصِيفًا ، وَبِالْأَمَانَةِ مُتَّصِفًا ،
وَبِالِدِّينِ مُتَمَسِّكًا حَتَّى يُوفَّى وَيَسْتَوْفَى ، وَمَنْ كَانَتْ
لَهُ جَوَارٍ وَخَدَمٌ فَأَحْسَنَ الْقِيَامَ عَلَيْهِمْ وَنَهَضَ
بِتَدْوِيرِ شُؤُونِهِمْ فَوَلَّاهُ قِيَادَةَ الْجُنْدِ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ
مَالٌ فَأَحْسَنَ التَّصَرُّفَ فِيهِ ، فَوَلَّاهُ الْخُرَاجَ ، وَهُنَالِكَ
يَكُونُ الشَّمْلُ مُجْتَمِعًا وَالشَّعْبُ مُلْتَمِمًا ، وَالزَّمَانُ بِوَجْهِ
النَّصْرِ مُقْبِلًا ، وَأَمْضِيَتْ الْحُكْمَ بِالْعَدْلِ ، وَالتَّدْوِيرَ
بِالْعَوَابِ ، وَأَبْرَمْتَ الْأُمُورَ بِالسَّدَادِ ، وَوَصَلْتَ

بِالْجِدِّ عَمَلَكَ ، وَعَلَيْكَ بِالْمَشُورَةِ فِي غُدُوكَ وَرَوَاحِكَ ،
 وَذَهَابِكَ وَإِيَابِكَ ، وَاسْتَعِنْ بِرَأْيِ عَاقِلٍ أَوْ مَشُورَةٍ
 حَازِمٍ ، فَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ « لَا خَابَ
 مَنْ اسْتَخَارَ ، وَلَا نَدِمَ مَنْ اسْتَشَارَ » .

وَلْتَكُنْ عَيْنَاكَ لِلْمَلِكِ نَازِرَةً وَأَذُنَاكَ صَاحِيَةً ،
 تُخْبِرُهُ بِمَا تَرَى ، وَتُورِدُهُ مَا سَمِعْتَ ، حَتَّى يَرَعَاكَ
 بِنَظَرِهِ ، وَيَشْمَلَكَ بِعَظْفِهِ ، وَيُعَمِّكَ إِحْسَانُهُ ، وَافْتِدَى
 رَاحَةَ الْمَلِكِ بِتَعَبِكَ ، وَدَعَتَهُ بِنَصَبِكَ ، وَكُنْ أَمَامَهُ
 إِذَا دُعِيَ ، وَتَحْتَ مَشِيَّتِهِ كَيْفَمَا أَرَادَ ، فَإِنَّكَ
 لِسَانُهُ إِذَا نَطَقَ ، وَفُؤَادُهُ إِذَا وَعَى ، وَعَقْلُهُ إِذَا فَكَّرَ ،
 وَعَيْنُهُ إِذَا رَمَقَ ، وَيَدُهُ إِذَا بَطَشَ ، فَلَا تَبْعُدْ عَنْ
 حَاشِيَتِهِ ، وَلَا تَضْجِرْ مِنْ نِدَائِهِ ، وَأَخْلِصْ لَهُ قَلْبَكَ ،

لِيُطِيعَكَ جَسَدُهُ ، وَأَحْسِنَ سَرِيرَتَكَ ، لِتَحْسُنَ لَكَ
عَلَانِيَتُهُ ، لِأَنَّ الْقُلُوبَ مُنْبِئَةٌ عَنِ الصَّمَائِرِ حَتَّى
قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِنَّ الْكَلَامَ لَنِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا

جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلًا
وَرَاقِبِ اللَّهِ فِي سِرِّكَ وَعَلَانِيَتِكَ ، وَظَاهِرِكَ
وَبَاطِنِكَ ، فِي يَوْمِكَ وَأَمْسِكَ ، حَاضِرِكَ وَمُسْتَقْبَلِكَ
لِتَفْزُ بِرِضَاهُ فِي عَاجِلِكَ وَأَجَلِكَ . فَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « الْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِعَمَلِهِ إِنْ خَيْرًا خَيْرٌ ،
وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ » . وَأَكْثَرُ مِنْ مُجَالَسَةِ الْعُلَمَاءِ ، وَابْعَدُ
عَنْ مُجَالَسَةِ السُّفَهَاءِ ، وَاسْمَعْ لِقَوْلِ أَهْلِ النُّهَى ،
وَتَوَدَّدْ إِلَيْهِمْ يُحِبُّوكَ ، وَتَوَاضَعْ لَهُمْ يَرْفَعُوكَ .

وَقَدْ حَانَ لَكَ أَنْ تَمْضِيَ مَعَنَا فِي انْتِهَالِنَا سَوِيًّا مِنْ
أَفْلَوِيْقِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ ، الْمُتَضَمِّنَةِ وَعْظًا قَاطِعًا ،
وَعِلْمًا جَامِعًا ، وَحُكْمًا رَادِعًا ، وَقَوْلًا مَانِعًا :
قَالَ الْمَآوَرِدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَبِهِ نَسْتَعِينُ ، قَالَ
الإِمَامُ : قَاضِي الْقُضَاةِ أَبُو الْحَسَنِ ، عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ
ابْنِ حَبِيبٍ الْمَآوَرِدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِرَحْمَتِهِ :
الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا هَدَى وَأَرْشَدَ ، وَلَهُ الشُّكْرُ عَلَى
مَا وَفَّقَ وَسَدَّدَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى رُسُلِهِ الطَّاهِرِينَ ،
وَأَوْلِيَائِهِ الْبَرَّةِ الْمُتَخَيِّينَ ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .
أَمَّا بَعْدُ : فَقَدْ اتَّزَمَ الطَّاعَةُ مَنْ دَعَا إِلَيْهَا ،
وَفَعَلَ الْخَيْرَ مَنْ أَرْشَدَ إِلَيْهِ ، وَلَتِنْ كَانَا فِي جَبَلَةٍ

ذَوِي الْفَضْلِ مَرْكُوزِينَ^(١) . فَمَا يَسْتَعْنِي الْفَطْنُ
 بِذِكَايِهِ عَنْ يَقْظَةِ مُنْبِهِ ، وَلَا يَكْتَفِي اللَّيْبُ بِحِزْمِهِ
 عَنْ عِظَةِ مُذَكِّرٍ ؛ لِأَنَّ الْهُوَى مُعْتَرِضٌ^(٢) يَخْدَعُ
 بِنِعَامِهِ ؛ وَأَنْتَ أَيُّهَا الْوَزِيرُ — أَمَدَكَ اللَّهُ بِتَوْفِيقِهِ —
 فِي مَنْصِبٍ^(٣) مُخْتَلِفِ الْأَطْرَافِ ؛ تُدَبِّرُ غَيْرَكَ مِنَ
 الرِّعَايَا ، وَتُدَبِّرُ غَيْرَكَ مِنَ الْمُلُوكِ ؛ فَأَنْتَ سَائِسُ
 مَسُوسٍ ، تَقُومُ بِسِيَاسَةِ رَعِيَّتِكَ ، وَتَنْقَادُ لِطَاعَةِ
 سُلْطَانِكَ ، فَتَجْمَعُ بَيْنَ سَطْوَةِ مُطَاعٍ وَانْقِيَادِ مُطِيعٍ ،
 فَشَطْرُ فِكْرِكَ جَاذِبٌ لِمَنْ تَسُوسُهُ ، وَشَطْرُهُ مُجَذِّبٌ
 لِمَنْ تُطِيعُهُ ، وَهُوَ أَثْقَلُ الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ مُحْمَلًا^(٤)

(١) مثبتين (٢) معترض الهوى ما يصيب القلب لأول وهلة

(٣) المنصب المرجع والأصل ومنصب الوزير بالذات مأموريته السياسية

(٤) الحمل مصور ميمى للحمل

وَأَصْعَبُهَا مَرْكَبًا ، لِأَنَّ النَّاسَ : مَا يَبْنِي سَائِسٍ ،
وَمَسُوسٍ ، وَجَامِعٍ بَيْنَهُمَا . وَلَكَ هَذِهِ الرُّتْبَةُ الْجَامِعَةُ .
فَأَنْتَ تَجْمَعُ مَا اخْتَلَفَ مِنْ أَحْكَامِهَا ، وَتَسْتَكْمِلُ
مَا تَبَيَّنَ مِنْ أَقْسَامِهَا ، وَبِيَدِكَ تَذْيِيرُ مَمْلَكَةٍ
صَالِحُهَا مَسْتَحَقٌّ عَلَيْكَ ، وَفَسَادُهَا مَنْسُوبٌ إِلَيْكَ .
تَوَّأخِذُ بِالْإِسَاءَةِ ، وَلَا يُعْتَدُّ لَكَ بِالْإِحْسَانِ ، ثَلَاثُ
لَكَ الْمُبَادِي بِالْإِرْغَابِ^(١) ؛ وَتَشَدُّدُ عَلَيْكَ الْغَايَاتُ
بِالْإِعْتَابِ ، مُسْتَظْهِرًا تَسْتَكْفِي^(٢) اعْتِدَادُ^(٣) الْإِحْسَانِ
إِلَيْكَ ، وَتَسْلَمُ مِنْ غِبٍّ^(٤) الْمُوَاخَذَةِ لَكَ ،
وَيَلْزَمُكَ ضِدُّهَا فِي حَقِّ سُلْطَانِكَ إِلَّا يُعْتَدَى عَلَيْهِ

(١) جعل الناس يقبلون في رغبة الاعتاب الانصراف عن الشيء

(٢) تطلب أن تكني « كذا » (٣) كونه معدوداً (٤) عاقبة

بِصَلَّاحٍ مُلْكِهِ ، لِأَنَّكَ لِلصَّلَاحِ مَنْدُوبٌ ، وَلَا تَعْتَذِرُ
إِلَيْهِ مِنْ اخْتِلَالِهِ ، لِأَنَّ الْاِخْتِلَالَ إِلَيْكَ مَنْسُوبٌ .
وَاجْعَلِ اعْتِذَارَكَ سَعْيِكَ وَاجْتِهَادَكَ ، فَلِسَانُ الْفَعَالِ
أَنْطَقُ مِنْ لِسَانِ الْمُقَالِ ، لِظُهُورِ شَوَاهِدِهِ ، فَإِنْ
عَارَضَتْكَ الْأَفْدَارُ عَذَرَتَكَ الْقُلُوبُ ، وَإِنْ لَمْ تَنْطِقْ
بِهِ الْأَفْوَاهُ ، لِعَجْزِ الْخَلْقِ عَنْ قَضَاءِ الْحَقِّ . وَقَدْ
رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :
لَا يُغْنِي حَذْرٌ عَنْ قَدَرٍ . وَقِيلَ فِي مَشُورِ الْحَكَمِ :
تَوَقَّ كُلَّ التَّوَقَّى وَلَا حَارِسَ مِنَ الْأَجَلِ . وَتَوَكَّلْ
كُلَّ التَّوَكَّلِ وَلَا عُذَرَ فِي التَّغْيِيرِ ^(١) ، وَاطْلُبْ كُلَّ
الطَّلَبِ وَلَا تَسْخَطْ لِمَا جَلَبَ الْمُتَقَدُّورُ . وَلَئِنْ تَكُونَ

— إِنَّ مَلَكَتْ اخْتِيَارَكَ — مُتَارِكًا^(١) فِي زَمَانِ
 الْكَدْرِ ، أَوْلَى مِنْ أَنْ تَكُونَ مُغَالِبًا لِلْقَدْرِ . وَقَدْ
 قِيلَ فِي مَشْهُورِ الْحُكْمِ : مَا كَانَ عَنْكَ مُعْرِضًا ،
 فَلَا تَكُنْ لَهُ مُتَعَرِّضًا . فَإِنْ دَعَاكَ الْأَضْطِرَارُّ إِلَى
 الْمُلَابَسَةِ^(٢) ، فَلَيْنَ لِلزَّمَانِ وَلَا تُخَاشِنُهُ . فَقَدْ قَالَ
 بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مِنْ سَعَادَةِ الْإِنْسَانِ أَلَّا يَكُونَ
 عِنْدَ فَسَادِ^(٣) الزَّمَانِ ، فَسَامِحٌ وَقَتِكَ إِنْ جَارَ ،
 وَغَالِطُهُ إِنْ ثَارَ . كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :
 فَاخْطُ^(٤) مَعَ الدَّهْرِ إِذَا مَا خَطَا

وَأَجِرْ مَعَ الدَّهْرِ كَمَا يَجْرِي

(١) مسألًا (٢) المخالطة (٣) أي ألا يكون على حال فيها
 فساد الزمان (٤) ألبس ظل الزمان فان مشى خطأً خطوت وإن
 أسرع أسرع

وَاللَّهُ تَعَالَى يَمُدُّ بِالْمُعُونَةِ مَنْ وَفَّقَهُ ، وَأَرْجُو
أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ .

وَاعْلَمْ أَيُّهَا الْوَزِيرُ أَنَّكَ مُبَاشِرٌ تَدِيرُ مُلْكٍ لَهُ
أُسٌّ ، هُوَ الدِّينُ الْمَشْرُوعُ ، وَنِظَامٌ هُوَ الْحَقُّ
الْمَتَّبَعُ . وَقَدْ قِيلَ : مُنَازِعُ الْحَقِّ مَخْصُومٌ ، فَاجْعَلْ
الدِّينَ قَائِدَكَ ، وَالْحَقَّ رَائِدَكَ ، يَذِلُّ^(١) لَكَ كُلُّ
صَعْبٍ ، وَيَتَسَهَّلُ عَلَيْكَ كُلُّ خَطْبٍ ؛ لِأَنَّ لِلدِّينِ
أَنْصَارًا ، وَلِلْحَقِّ أَغْوَانًا ؛ إِنْ قَعَدْتَ عَنْكَ أَجْسَادُهُمْ
لَمْ تَقْعُدْ عَنْكَ قُلُوبُهُمْ . وَحَسْبُكَ أَنْ تَكُونَ
الْقُلُوبُ مَعَكَ . وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : أَيُّ
الْجُنْدِ أَوْفَى ؟ قَالَ : الدِّينُ . قِيلَ : فَأَيُّ الْعُدَدِ

(١) يصير ذلولاً أو سهلاً

أَقْوَى ؟ قَالَ : الْعَدْلُ . وَلِلدِّينِ سُلْطَانٌ قَدْ انْقَادَتْ
إِلَيْهِ إِمَامَتُهُ ، وَاسْتَقَرَّتْ عَلَيْهِ دِعَامَتُهُ ^(١) ، فَاجْعَلْهُ
ظَهِيرًا لَكَ فِي أُمُورِكَ ، وَعَوْنًا لَكَ عَلَى تَذْيِيرِكَ ، تَجِدُ
مِنَ الْقُلُوبِ خُشُوعًا ، وَمِنَ النُّفُوسِ خُضُوعًا ^(٢) ،
فَمَا اعْتَرَّتْ مَمْلَكَةٌ إِلَّا إِلَيْهِ إِلَّا صَالَتْ ، وَلَا تَحَقَّقَتْ
بِشِعَارِهِ إِلَّا طَالَتْ ^(٣) . وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : مَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
أَعْظَمَ أَجْرًا مِنْ وَزِيرٍ صَالِحٍ مَعَ إِمَامٍ يُطِيعُهُ
وَيَأْمُرُهُ بِذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى »

وَاجْعَلْ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ فِي خَلَوَاتِكَ . رَقِيبِي
رَغَبٍ وَرَهَبٍ ، تَقُودُكَ الرَّغْبَةُ إِلَى طَاعَتِهِ ، وَتَصُدُّكَ

(١) عماده : الدعامة والدعام واحد (٢) ذلا واستخذاء . خضع
له أى خضع (٣) طالت وعزت «وأن أعزاء الرجال طيلها، أو طوالها»

الرَّهْبَةُ عَنْ مَعْصِيَتِهِ ، لِيَسْلَمَ بَاطِنُكَ مِنَ الْعُيُوبِ ،
وَيَخْلُصَ سِرُّكَ مِنَ الذُّنُوبِ . وَقَدْ نَفَسَكَ إِلَى الْعَدْلِ ،
يَنْقَدِ النَّاسُ بِهِ إِلَى طَاعَتِكَ ، وَيَكْفُوا بِهِ عَنْ
مَعْصِيَتِكَ ، وَيَقْتَصِرُوا عَلَيْهِ فِي مُطَالَبَتِكَ ، فَإِنْ
مَنْ جَازَفَ فِي الْأَخْذِ جُوزِفَ فِي الطَّلَبِ ، وَمَنْ
نَاصَفَ نُوصِفَ . وَالْعَرَبُ تَقُولُ فِي الْمُجَازَفَةِ مِنْ
أُمْبَاهَا : « دَخَلَ ^(١) يَبْتَأ مَا خَرَجَ مِنْهُ » . وَقَالَ
السَّيِّدُ الْمَسِيحُ : بِالْمِكْيَالِ الَّذِي تَكِيلُونَ يُكَالُ
لَكُمْ وَتُرَادُونَ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :
وَمَنْ ظَنَّ مِمَّنْ يُظْهِرُ السُّوءَ أَنَّهُ
يُجَازَى بِلَا سُوءٍ فَقَدْ ظَنَّ مُنْكَرًا

(١) مثل يضرب في عاقبة المجازفة المتهورة . ومعناه أنه جازف في دخول
البيت فهلك داخله وإذا فقد فهت ما قبل التل مما ينضوى تحت معناه يافتى
(٧)

وَأَعْلَمَ أَنَّكَ لَنْ تَسْتَفْزَرَ^(١) مَوَادَّكَ إِلَّا بِالْعَدْلِ
وَالْإِحْسَانِ ؛ وَلَنْ تَسْتَنْدِرَهَا بِمِثْلِ الْجَوْرِ وَالْإِسَاءَةِ ؛
لِأَنَّ الْعَدْلَ اسْتِمَارٌ دَائِمٌ ؛ وَالْجَوْرَ اسْتِنْصَالٌ مُنْقَطِعٌ .
وَقَدْ قِيلَ فِي مَشُورِ الْحَكَمِ : بِالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ
تَكُونُ مُدَّةُ الْإِئْتِلَافِ .

وَلَيْسَ يَخْتَصُّ الْعَدْلُ بِالْأَمْوَالِ دُونَ الْأَقْوَالِ
وَالْأَفْعَالِ . فَعَدْلُكَ بِالْأَمْوَالِ أَنْ تُؤْخَذَ بِحَقِّهَا ؛ وَتُدْفَعَ
إِلَى مُسْتَحِقِّهَا ؛ لِأَنَّكَ فِي الْحُقُوقِ سَفِيرٌ مُؤْتَمَنٌ ؛
وَكَفِيلٌ مُرْتَهَنٌ ، عَلَيْكَ غُرْمُهَا ، وَلِغَيْرِكَ غُنْمُهَا .
وَعَدْلُكَ فِي الْأَقْوَالِ إِلَّا تُخَاطَبَ الْفَاضِلَ بِخِطَابِ
الْمَفْضُولِ ، وَلَا الْعَالِمَ بِخِطَابِ الْجَاهُولِ ، وَتَقِفَ فِي

(١) السين والتاء هنا للصيرورة أى تجعل موادك غزيرة وكذلك تستندر

فالعدل والاحسان للغنى دعامتان

الْحَمْدِ وَالذَّمَّ عَلَى حَسَبِ الْإِحْسَانِ وَالْإِسَاءَةِ ، لِيَكُونَ
 إِرْغَابُكَ وَإِرْهَابُكَ عَلَى وَفْقِ أَسْبَابِهِمَا مِنْ غَيْرِ
 سَرَفٍ وَلَا تَقْصِيرٍ . فَلِسَانَكَ مِيزَانُكَ . فَاحْفَظْهُ مِنْ
 رُجْحَانٍ أَوْ تُقْصَانٍ . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ :
 جَعَلَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ أَفْضَلَ الْخَيَوَانِ ، وَصَيَّرَ أَفْضَلَ
 جَارِحَةٍ فِيهِ اللِّسَانَ ، فَجَعَلَهُ لِلضَّمَائِرِ تَرْجُمَانًا ، وَلِمَا
 جَمَعَتْهُ الْعُقُولُ وَالْبَصَائِرُ تَبْيَانًا ، وَبَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ
 فُرْقَانًا ، وَلَقَدْ قَالَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ : « النَّطْقُ
 مَسْفَرَةٌ ^(١) ، وَالصَّمْتُ مَسْتَرَةٌ » وَلِلْكَلامِ رَوِيَّةٌ
 تَتَقَدَّمُ عَلَى الْمَعَانِي دُونَ الْأَلْفَاظِ ، فَكُلِ الْمَعَانِي
 إِلَى رَوِيَّتِكَ ، وَفَوِّضِ الْأَلْفَاظَ إِلَى بَدِيهَتِكَ ، فَإِنَّ

ابْتِكَارَ الْمُتَعَانِي خَطَرُ^(١) ، وَالرَّوِيَّةَ فِي الْأَلْفَافِ
 لَكِنْ^(٢) . وَلَآنَ يَكُونُ الْكَلَامُ مَطْبُوعًا ، أَوَّلَى
 مِنْ أَنْ يَكُونَ مَصْنُوعًا إِلَّا أَنْ يَكِلَ الْخَاطِرُ بِشَوَائِبِ
 الْهَمُومِ ، وَيَكُونُ الْكَلَامُ مَعَ ذِي قَدَرٍ عَظِيمٍ ،
 فَيُرَوَّى فِي الْإِخْتِصَارِ ؛ فَفِي الْإِكْثَارِ عَثَارٌ ، يُفْضَى
 إِلَى ضَجَرٍ^(٣) إِنْ اسْتُرْذِلَ ، وَإِلَى مَلَلٍ^(٤) إِنْ اسْتَشْقِلَ .
 وَقَدْ قِيلَ : أَوَّلُ الْعَمَى الْإِخْتِلَاطُ^(٥) ، وَأَسْوَأُ الْقَوْلِ
 الْإِفْرَاطُ ، وَلِذَلِكَ قِيلَ : الْحَصَرُ^(٦) خَيْرٌ مِنَ الْهَذَرِ^(٧)
 لِأَنَّ الْحَصَرَ يُضْعِفُ الْحُجَّةَ ، وَالْهَذَرَ يُتْلِفُ الْمُهِجَّةَ .

(١) منزلة رفيعة ويطلق الخطر على السبق في الرهان (٢) ولكن

العمى (٣) التبرم والقلق (٤) السأم والضجر (٥) فساد العقل

(٦) ضيق الصدر ويراد به هنا عقل اللسان عن القول (٧) باطل

وَقَالَ عَبْدُ الْحَمِيدِ : الْعَاقِلُ لِلِّسَانِهِ عَاقِلٌ^(١) . وَقِيلَ
 فِي مَشْهُورِ الْحُكَمِ : إِذَا تَمَّ الْعَقْلُ نَقَصَ الْكَلَامُ .
 وَعَدْلُكَ فِي الْأَفْعَالِ إِلَّا تُعَاقِبَ إِلَّا عَلَى ذَنْبٍ ،
 وَلَا تَعْفُو إِلَّا عَنْ إِنْابَةٍ^(٢) ، وَلَا يَبْعَثُكَ السُّخْطُ عَلَى
 اطِّرَاحِ الْمَحَاسِنِ ، وَلَا يَحْمِلُكَ الرِّضَا عَلَى الْعَفْوِ عَنِ
 الْمَسَاوِي . حُكِيَ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا
 الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ : أُعْطِيتُ مَا أُعْطِيَ النَّاسُ
 وَمَا لَمْ يُعْطَوْا ؛ وَعَلِمْتُ مَا عَلِمَ النَّاسُ وَمَا لَمْ يَعْلَمُوا
 فَلَمْ أُعْطَ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ ،
 وَالْقَصْدِ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ ، وَخَشْيَةِ اللَّهِ فِي السِّرِّ
 وَالْعَلَانِيَةِ . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : « مِنْ

سَكَرَاتٍ^(١) السُّلْطَانِ الرِّضَا عَنْ بَعْضٍ مَنْ يَسْتَوْجِبُ
 السُّخْطَ ، وَالسُّخْطُ عَلَى مَنْ يَسْتَوْجِبُ الرِّضَا . «
 وَكَمَا لَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ؛ كَذَلِكَ
 لَا يَسْتَوِي الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ . وَقَدْ قِيلَ : أُخْبِثُ النَّاسَ
 الْمُسَاوِي^(٢) يَبْنِي الْمَحَاسِنَ وَالْمَسَاوِي . فَاجْتَذِبْ
 بِأَفْعَالِكَ مَا نَاسَبَهَا ، وَقَابِلْ بِمُجَازَاتِكَ مَا أَوْجَبَهَا ،
 وَاجْعَلْ جَزَاءَ الْأَفْعَالِ بِحَسَبِهَا مِنْ إِحْسَانٍ وَإِسَاءَةٍ ،
 يُسْتَوْجَبُ بِهِمَا ثَوَابٌ وَعِقَابٌ ؛ فَإِنَّ لِمَلِيكَ وَرِضَاكَ
 حُكْمًا سَوَاءً ، إِنْ وَصَلْتَ^(٣) عَلَيْهِ خَرَجْتَ عَنِ الْمُجَازَاةِ

(١) محن

تعليقات : العدل البريء في فعلك أن يكون استحقاقا من ثوابك أو عقابك
 للرعية هو أعمال الناس أما مظاهر نفسك من سخط ورضى وسوء ظن وثقة
 فيجب أن تحتجب عن قدسية العدل وعن محيط الحكم

(٢) الذي لا يفرق (٣) قدمت صلة

إِلَى التَّبَرُّعِ بِالصَّلَةِ ، وَأَنْتَ فِي تَبَرُّعِكَ مُخَيَّرٌ ، وَفِي
 مُجَازَاتِكَ مُضْطَرٌّ . وَقَدْ قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : الْمُؤْمِنُ
 لَا يَحِيفُ ^(١) عَلَى مَنْ يُبْغِضُ ، وَلَا يَأْتُمُّ فِيمَنْ يُحِبُّ .
 فَأَمَّا التَّقْرِيبُ وَالْإِبْعَادُ ؛ فَيَجُوزُ أَنْ يُعْتَبَرَ بِالسُّخْطِ
 وَالرِّضَا ؛ إِذَا لَمْ تُحِطْ بِهِمَا ذَوِي الْأَقْدَارِ ^(٢) ؛ وَتَرَفَّعَ
 بِهِمَا أَهْلُ الْخُمُولِ ؛ لِأَنَّ لَكَ خِيَارَكَ ، أَنْ تَبْتَدِيَّ
 بِتَقْرِيبِ مَنْ أَرَدْتَ ، وَإِبْعَادِ مَنْ كَرِهْتَ ، إِذَا سَلِمَ
 رَأْيُكَ مِنْ تَقْرِيبِ ذِي النَّقْصِ وَإِبْعَادِ ذِي الْفَضْلِ ؛
 فَتَسْتَطِرُّ ^(٣) بِتَقْرِيبِ النَّاقِصِ وَإِبْعَادِ الْفَاضِلِ ؛ وَإِنْ
 كَانَ التَّشَاكُلُ مَرَكُوزًا ^(٤) فِي الْغَرَائِزِ . وَقَدْ قَالَ
 بَعْضُ الْبُلْغَاءِ : لَا تَصْطَنِعْ مَنْ خَانَهُ الْأَصْلُ ؛

(١) لا يهيج (٢) الخاصة (٣) تكتسب (٤) ثابته متأصلا

وَلَا تَسْتَصِحِبْ مَنْ فَاتَهُ الْعَقْلُ ؛ لِأَنَّ مَنْ لَا أَصْلَ
لَهُ يَغْشَى مِنْ حَيْثُ يَنْصَحُ . وَمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ ؛
يُفْسِدُ مِنْ حَيْثُ يُصْلِحُ . وَذَلِكَ مِمَّا يَعْسُرُ تَوْقِيهِ ^(١) ،
وَيَقُوتُ تَدَارُكُهُ وَتَلَافِيهِ ، وَلِيَكُنْ وَفَاؤُكَ بِالْوَعْدِ
حَتْمًا ، وَبِالْوَعِيدِ حَزْمًا ؛ لِأَنَّ الْوَعْدَ حَقٌّ عَلَيْكَ ؛
وَالْوَعِيدَ حَقٌّ لَكَ عَلَى غَيْرِكَ ، فَكُنْتَ فِيهِ عَلَى خِيَارِكَ ،
فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ لَمْ يَجْزُ إِخْلَافُ الْوَعْدِ ؛ وَإِنْ جَازَ
إِخْلَافُ الْوَعِيدِ . وَقَدْ قَالَ أَحَدُ الشُّعَرَاءِ :

وَإِنِّي وَإِنْ أَوْعَدْتُهُ ^(٢) أَوْ وَعَدْتُهُ

لَمْخَلِفُ إِيعَادِي وَمُنْجِزُ مَوْعِدِي

(١) التحرز منه والتحاشي (٢) أوعد تستخدم للشر ومصدره الإيعاد

ووعد ضده ومصدره الوعد

لَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يَقْتَرِنَ بِخُلْفِ الْوَعِيدِ عُذْرٌ حَتَّى لَا يَهُونَ وَعِيدُكَ لِيَكُونَ نِظَامُ الْهَيْبَةِ بِهِ مَحْفُوظًا ، وَقَانُونُ السِّيَاسَةِ بِهِ مَضْبُوطًا ؛ فَأَظْهَرُهُ إِنْ خَفِيَ لَتَكُونَ بِإِخْلَافٍ وَعِيدِكَ مَعْذُورًا ؛ وَبِعَفْوِكَ عَنْهُ مَشْكُورًا ؛ وَقَدْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَا أَزْدَادَ أَحَدٌ بِالْعَفْوِ إِلَّا عِزًّا » . وَلِلْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ شَرْطَانِ : أَحَدُهُمَا ، أَنْ يَكُونَا مُسْتَحَقِّينِ مَا أُوجِبَهُمَا مِنْ إِحْسَانٍ وَإِسَاءَةٍ ، وَالثَّانِي أَنْ تَقْتَرِنَ بِتَقْدِيمِهِمَا عَلَى الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ مَصْلَحَةٌ فِي تَرْغِيبٍ وَتَرْهِيْبٍ ؛ فَإِنْ لَزِمَ تَقْدِيمُ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ عَلَى الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ ، كَانَ الْوَعْدُ تَقْصِيرًا ، وَالْوَعِيدُ عَجْزًا . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الْوَعْدُ مَرَضُ الْمَعْرُوفِ

وَالْإِنْجَازُ بُرْؤُهُ ، وَالْمَطْلُ تَلْفُهُ ، وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ :
 إِذَا أَحْسَنْتَ الْقَوْلَ فَأَحْسِنِ الْفِعْلَ ، لِيَجْتَمَعَ لَكَ
 مَزِيَّةُ اللِّسَانِ وَثَمَرَةُ الْإِحْسَانِ ، فَإِنَّكَ لَا تَخْلُو فِي
 خُلْفِهِ مِنْ ذَنْبٍ تَكْتَسِبُهُ أَوْ عَجْزٍ تَلْتَزِمُهُ . وَلَيْسَ
 فِعْلُكَ أَكْثَرَ مِنْ قَوْلِكَ ، فَإِنَّ زِيَادَةَ الْقَوْلِ عَلَى
 الْفِعْلِ دَنَاءَةٌ وَشَيْنٌ ^(١) ، وَزِيَادَةُ الْفِعْلِ عَلَى الْقَوْلِ
 مَكْرَمَةٌ وَزَيْنٌ ، وَلَا تَجْعَلْ لِعُضْبِكَ سُلْطَانًا عَلَى
 نَفْسِكَ ، يُخْرِجُكَ مِنَ الْإِعْتِدَالِ إِلَى الْإِخْتِلَافِ ؛
 فَلَنْ يَسْلَمَ بِالْعَضْبِ رَأْيٌ مِنْ زَلَلٍ ، وَكَلَامٌ مِنْ
 خَطَلٍ ^(٢) ، لِأَنَّ ثَوْرَتَهُ طَيْشٌ مُعِرٌّ ، وَفُفْرَتَهُ بَطْشٌ
 مُضِرٌّ ، لِأَنَّهُ يَخْرُجُ عَنِ التَّأْدِيبِ إِلَى الْإِنْتِقَامِ ، وَعَنْ

التَّقْوِيمِ إِلَى الْإِصْطِلَامِ^(١) . وَلِذَلِكَ قِيلَ : أَوَّلُ الْغَضَبِ
جُنُونٌ ، وَآخِرُهُ نَدَمٌ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لَمْ يَمِلْ إِلَى
الْغَضَبِ إِلَّا مَنْ أَعْيَاهُ سُلْطَانُ الْحُجَّةِ . وَقَالَ بَعْضُ
السَّلَفِ : إِيَّاكَ وَعِزَّةُ الْغَضَبِ ، فَإِنَّهَا تُفْضِي بِكَ
إِلَى ذَلِّ الْإِعْتِدَارِ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَنْ كَثُرَ
شَطَطُهُ كَثُرَ غَلَطُهُ . وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

وَلَمْ أَرَ لِلْأَعْدَاءِ حِينَ اخْتَبَرْتُهُمْ

عَدُوًّا لِعَقْلِ الْمَرْءِ أَعْدَى مِنَ الْغَضَبِ
وَلَيْكُنْ غَضَبُكَ تَغَاضِبًا ، تَمْلِكْ بِهِ عَزَمَكَ ، وَتُقَوِّمَ
بِهِ خَصَمَكَ . فَتَسْلَمْ مِنْ جَوْرِ غَضَبِكَ ، وَتَقِفَ عَلَى
اعْتِدَالِ تَغَاضِبِكَ . فَقَدْ قِيلَ فِي بَعْضِ صُحُفِ

بَنِي إِسْرَائِيلَ : إِذَا كَانَ الرَّجُلُ ذَا غَضَبٍ تَوَاتَرَتْ
عَلَيْهِ الْوَصَائِعُ^(١) ؛ فَكَلَّمَا اشْتَدَّ غَضَبُهُ ازْدَادَ بَلَاءٌ .
وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءَ : الْغَضَبُ يُصَدِّئُ الْعَقْلَ .
وَكَتَبَ كَسْرَى أَبْرَوِيزُ إِلَى ابْنِهِ شِيرَوِيهِ : إِنَّ كَلِمَةً
مِنْكَ تَسْفِكُ دَمًا ، وَإِنَّ أُخْرَى مِنْكَ تَحْقِنُ دَمًا ، وَإِنَّ
نَفَاذَ أَمْرِكَ مَعَ ظُهُورِ كَلَامِكَ ؛ فَاحْتَرَسْ فِي غَضَبِكَ
مِنْ قَوْلِكَ أَنْ يُخْطِئَ ، وَمِنْ لَوْنِكَ أَنْ يَتَغَيَّرَ ، وَمِنْ
جَسَدِكَ أَنْ يَخْفَ ، فَإِنَّ الْمُلُوكَ تُعَاقِبُ قُدْرَةً ، وَتَعْفُو
حِلْمًا . وَقَدْ يَقْتَرِنُ بِالْغَضَبِ لَجَاجٌ يُسَاوِيهِ فِي
مَعْرَتِهِ^(٢) ، وَيُشَارِكُهُ فِي مَضَرَّتِهِ ؛ لِأَنَّ اللَّجَاجَ التَّزَامُ
الْخَطَأَ وَاطِّرَاحَ الثَّوَابِ . فَدَعُ عَنْكَ لَجَاجَ الْأَلَدِ

(١) يطلق على الرهائن والمراد بها هنا النزوات الوضيعة (٢) أذاه وإساءته

الْخُصْمَ ، وَتَجَنَّبَ عَوَاقِبَ النَّذْلِ الْفَذَمِ ^(١) ، وَتَابَعَ
الرَّأْيَ فِيمَا اقْتَضَاهُ ، فَلَنْ يَقْبَحَ بِكَ الْعُدُولُ إِلَيْهِ بَعْدَ
لَجَاجِكَ ، وَلَآنَ تَنْتَفِعَ بِالرَّأْيِ أَوْلَى مِنْ أَنْ تَسْتَعِزَّ
بِاللَّجَاجِ ^(٢) . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَنْ اسْتَعَانَ
بِالرَّأْيِ مَلَكَ ، وَمَنْ كَابَدَ الْأُمُورَ هَلَكَ . وَقَالَ
ابْنُ الْمُثَنَّقِ : دَعِ اللَّجَاجَ فَإِنَّهُ يَكْسِرُ عِزَائِمَ الْعُقُولِ .
وَقِيلَ فِي مَثُورِ الْحَكَمِ : الظَّفَرُ لِمَنْ احْتَجَّ لَا لِمَنْ لَجَّ .
وَقِيلَ فِيهِ : اللَّجُوجُ يَدْخُلُ فِيمَا لَيْسَ مِنْهُ خُرُوجٌ .
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْجَدَّ وَالْهَزْلَ ضِدَّانِ مُتَسَاوِرَانِ ؛ لِأَنَّ
الْجَدَّ مِنْ قَوَاعِدِ الْحَقِّ الْبَاعِثِ عَلَى الصَّلَاحِ ، وَالْهَزْلَ
مِنْ مَرَجِ الْبَاطِلِ الدَّاعِي إِلَى الْفَسَادِ ، فَصَارَ فَرْقُ

مَا يَنْبَغُ الْجِدِّ وَالْهَزْلَ ، هُوَ فَرْقٌ مَا بَيْنَ الْحَقِّ
وَالْبَاطِلِ ، وَتَنَافُرُ الْأَصْدَادِ يَمْنَعُ مِنَ الْجُمُعِ يَنْبَغُهُمَا ،
فَإِذَا انْفَرَدَتْ بِأَحَدِهِمَا كُنْتَ لِلْآخِرِ تَارِكًا . وَقَدْ
قِيلَ : الْحَقُّ مَقْرُوضٌ ، وَالْبَاطِلُ مَرْفُوضٌ . وَقَالَ
عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ : الْعَقْلُ حُسَامٌ قَاصِعٌ وَالْحِلْمُ
غِطَاءٌ سَابِغٌ ؛ فَقَاتِلْ هَوَاكَ بِعَقْلِكَ ، وَاسْتُرْ خَلْلَ
خُلُقِكَ بِحِلْمِكَ ، وَاسْتَعْمِلِ الْجِدَّ يَنْقُدْ إِلَيْكَ الْحَقُّ ،
وَيُفَارِقَكَ الْبَاطِلُ ، وَلَا تَعْدِلْ إِلَى الْهَزْلِ فَيَتْبَعَكَ
الْبَاطِلُ ، وَيُنَافِرَكَ الْحَقُّ . وَلَقَامَا انْثَلَمَتْ ^(١) هَيْبَةُ
الْجِدِّ وَتَكَامَلَتْ هَيْبَةُ الْهَازِلِ ، وَالْهَيْبَةُ أَسُّ السُّلْطَةِ .
وَحَكَى عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ : أَنَّ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ

لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لِنَا ، فَقَدْ
 مَلَأَتْ قُلُوبَنَا هَيْبَةً ، فَقَالَ أَفِي ذَلِكَ ظُلْمٌ ؟ قَالَ :
 لَا . قَالَ : فَرَادَنِي اللَّهُ فِي صُدُورِكُمْ مَهَابَةً . وَقَالَ
 حَكِيمُ الْهِنْدِ : لِيَكُنْ فِيكَ مَعَ طَلَاqَتِكَ ^(١) تَشَدُّدٌ ،
 كَيْلًا يُجْتَرَأُ عَلَيْكَ بِالطَّلَاقَةِ وَيُنْفَرُ مِنْكَ بِالتَّشَدُّدِ ؛
 فَأَمَّا الْهَزْلُ فَيَكُونُ مِنْ سُخْفٍ ^(٢) أَوْ بَطَرٍ ^(٣) يَحِلُّ
 عَنْهُمَا مَنْ سَاسَ الرِّعَايَا ، وَدَبَّرَ الْمَمَالِكَ . قَالَ بُرْرُ جُمَهْرٍ :
 الْهَزْلُ آفَةٌ الْجَدِّ ، وَالْكَذِبُ عَدُوُّ الصِّدْقِ ، وَالْجَوْرُ
 مَفْسَدَةُ الْمُلْكِ . وَقَالَ مَلِكُ الْهِنْدِ لِلْإِسْكَانْدَرِ ، وَقَدْ
 دَخَلَ بِلَادَهُ : مَا عَلَامَةُ دَوَامِ الْمُلْكِ ؟ قَالَ : الْجَدُّ فِي
 كُلِّ الْأُمُورِ . قَالَ : فَمَا عَلَامَةُ زَوَالِهِ ؟ قَالَ : الْهَزْلُ

(١) اشراق وجهك وسيا الصلاح تتمثل في وجهه (٢) رقة عقل

(٣) التطاول على النعمة

فِيهِ . وَقَدْ قِيلَ : مَنْ أَبْطَرَتْهُ النُّعْمَةُ وَقَرَهُ ^(١) زَوَاهُهَا .
وَلَيْسَ الْكِبَرُ وَالْعُنْفُ جِدًّا ، وَلَا التَّوَاضُّعُ وَاللُّطْفُ
هَزْلًا ؛ وَرُبَّمَا تَدَلَّسَتْ هَذِهِ الْأَخْلَاقُ بِغِلْبَةِ الْهَوَى
وَنَازِعِ الْفِطْرَةِ ، فَمَزَجَ صَاحِبُهَا بِالْجِدِّ كِبَرًا وَعُنفًا ،
لِيَكُونَ بِهَيْبَةِ الْجِدِّ أَحَقَّ ، وَمِنْ سَخَفِ الْهَزْلِ أَبْعَدَ ؛
وَهَذَا غَيْرُ مُحْسُوسٍ ، لِأَنَّ الْكِبَرَ وَالتَّوَاضُّعَ مِنْ
شَيْمِ النُّفُوسِ كَالسَّخَاءِ وَالْبُخْلِ ، وَالْجِدُّ وَالْهَزْلُ مِنْ
أَفْعَالِهَا كَالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ؛ فَتَبَاعَدَا فِي السَّبَبِ وَاخْتَلَفَا
فِي الْمُسَبَّبِ . وَقَدْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَنَّهُ قَالَ : « إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ خَيْرٍ جَعَلَ لَهُ وَاعِظًا

مِنْ نَفْسِهِ » . وَقِيلَ فِي مَشْورِ الْحَكَمِ : إِذَا عَرَفْتَ
نَفْسَكَ لَمْ يَضُرَّكَ مَا قِيلَ فِيكَ .

وَرُبَّمَا اسْتَكْدَّ^(١) الْجَدُّ خَاطِرُ الْمُجِدِّ ، فَاسْتَرْوَحَ
بِبَعْضِ الْهَزْلِ لِيَسْتَعِينَ بِهِ عَلَى مُصَابَرَةِ الْجَدِّ . فَقَدْ
قِيلَ فِي مَشْورِ الْحَكَمِ : اَلْهَمُّ قَيْدُ الْخَوَاسِّ . وَحِكْمِي
عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّهُ قَالَ : إِنِّي لَا أُسْتَجِمُ^(٢) نَفْسِي
بِالشَّيْءِ مِنَ الْبَاطِلِ ، لِيَكُونَ أَقْوَى لَهَا عَلَى الْحَقِّ .
وَقِيلَ فِي مَشْورِ الْحَكَمِ : مَا أَكْثَرَ مَنْ نَهَى فَأَغْرَى ،
فَلَا بَأْسَ أَنْ يُسْتَسَرَّ^(٣) مِنْهُ فِي زَمَانٍ رَاحَتِهِ ، وَأَوْقَاتِ
خُلُوتِهِ ، بِمَقْدَارِ دَوَائِهِ مِنْ دَائِهِ ، فَإِنَّ الْكَلَالَ مَلَالٌ ،
وَلَيْسَ لِلْمَلُولِ حَزْمٌ وَلَا عَزْمٌ . وَلَيْسَ فِيهَا يَتَعَلَّلُ بِهِ

(١) جعله مكدوداً (٢) أستجمع قوتها (٣) يخفى استسرها منه أو عنه: اختفى

مِنَ الْهَزْلِ مُحَافِظًا عَلَى دِينِهِ وَصِيَانَةً لِمُرُوءَتِهِ وَيَخْرِجُ
هَذَا الْقَدْرُ عَنْ حُكْمِ مَا ذُمَّ مِنَ الْهَزْلِ ، لِأَنَّهُ عَوْنٌ
عَلَى مَا يُحْمَدُ مِنَ الْجِدِّ . كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :
أَفِذْ طَبْعَكَ الْمَسْكُودَ^(١) بِالْجِدِّ رَاحَةً

يَحْمُ وَعَلَّلَهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَزْحِ
وَلَكِنْ إِذَا أُعْطِيَتْهُ الْمَزْحُ فَلْيَكُنْ

بِمِقْدَارِ مَا يُعْطَى الطَّعَامُ مِنَ الْمِلْحِ
وَكَمَا تَنَافَرَ الْجِدُّ وَالْهَزْلُ ، كَذَلِكَ تَنَافَرَ الصِّدْقُ
وَالْكَذِبُ ، ضِدَّانِ مُتَنَافِرَانِ تَخْتَلِفُ عَلَيْهِمَا ،
وَتَفْتَرِقُ نَتَائِجُهُمَا . فَالصِّدْقُ مِنْ لَوَازِمِ الْعَقْلِ ، وَهُوَ
أَسُّ الدِّينِ ، وَقِيَامُ^(٢) الْحَقِّ . وَالْكَذِبُ مِنْ غَرَائِزِ
الْجَهْلِ ، وَهُوَ زُورٌ يَقْتَرِنُ بِغُرُورٍ ، إِنْ التَّبَسَّتْ

أَوَائِلُهُ انْتَهَكَتْ أَوَاخِرُهُ ، وَإِنْ جَرَّ التِّيَاسُهُ نَفْعًا ،
 عَادَ انْتِهَاجُكُمْ^(١) ضَرَرًا ، فَلَمْ يَسْلَمْ مِنْ مَعَرَّةِ زُورٍ ،
 وَمَضَرَّةِ غُرُورٍ . وَقَدْ رَوَى عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ عَنِ النَّبِيِّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « أَكْثَرُ أَلْطَافِ
 اللِّسَانِ الْكَذُوبُ » وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ
 اللَّهُ عَنْهُ^(٢) : لَأَنْ يَضَعَنِي الصِّدْقُ - وَقَلَمًا يَفْعَلُ -
 أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَرْفَعَنِي الْكَذِبُ - وَقَلَمًا
 يَفْعَلُ - . وَوَجَدْتُ لِسُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا
 الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي سِفْرِ حِكْمَتِهِ أَنَّهُ قَالَ : الَّذِي
 يَلِجُ^(٣) بِالْكَذِبِ يَرْغَى الرِّيَّاحَ . وَهَذَا مِنْ أَوْضَحِ
 الْأَمْثَالِ بَيَانًا وَعَيَانًا^(٤) .

(١) اختراق حرمة أي عدم المبالاة به (٢) وقد نس عن هذه الحكمة
 في بعض كتب الأخلاق منسوبة لعلي كرم الله وجهه (٣) يدخل الأمور
 (٤) وجاء في أقرب الموارد جزء ٢ تقول : لقيته عياناً ورأيت عياناً



كنه
الوزارة

وَإِذَا مَضَتْ هَذِهِ الْفُصُولُ فِي مُقَدَّمَاتِ الْوَزَارَةِ
فَأَسْمَهَا مُشْتَقٌّ مِنْ مَعْنَاهَا . وَاخْتَلَفَ فِيهِ عَلَى ثَلَاثَةِ
أَوْجُهٍ ، أَحَدُهَا : أَنَّهُ مِنَ الْوِزْرِ وَهُوَ الثَّقُلُ ، لِأَنَّهُ
يَحْمِلُ عَنِ الْمَلِكِ أَثْقَالَهُ . وَالثَّانِي : أَنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنَ
الْأَزْرِ وَهُوَ الظَّهْرُ ، لِأَنَّ الْمَلِكَ يَقْوَى بِوِزْرِ رِ
كَقْوَةِ الْبَدَنِ بِظَهْرِهِ . وَالثَّلَاثُ : أَنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنَ
الْوَزْرِ ^(١) وَهُوَ الْمَلْجَأُ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (كَلَّا
لَا وَزَرَ) أَيْ لَا مَلْجَأَ ، لِأَنَّ الْمَلِكَ يَلْجَأُ إِلَى رَأْيِهِ
وَمَعُونَتِهِ ، لِأَنَّ عَلَيْهِ مَدَارَ السِّيَاسَةِ وَإِلَيْهِ تُفَوَّضُ
الْأُمُورُ ^(٢) . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ مُلُوكِ الْفُرْسِ :

(١) وزر للسلطان وزارة صار وزيراً له (٢) وجاء في بعض الكتب
الأموال بدل الأمور

الْوُزَرَاءُ سَاسَةُ الْأَعْمَالِ ، وَحَازَةُ^(١) الْأَمْوَالِ .

وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَلِوَزَارَةٍ ضَرْبَانِ : وَزَارَةٌ
تَقْوِيضٍ تَجْمَعُ بَيْنَ كِفَايَتِي السَّيْفِ وَالْقَلَمِ . وَوَزَارَةٌ
تَنْفِيذٍ : تَخْتَصُّ بِالرَّأْيِ وَالْحَزْمِ . وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ
مِنْهُمَا حُقُوقٌ وَشُرُوطٌ .

فَأَمَّا وَزَارَةُ التَّقْوِيضِ الْجَامِعَةُ بَيْنَ كِفَايَتِي
السَّيْفِ وَالْقَلَمِ ، فَهِيَ أَعْمُ نَظَرًا . وَأَنْفَذُ أَمْرًا . وَقَدْ
رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :
« خَلَقَ اللَّهُ الدُّنْيَا لِلْسَّيْفِ وَالْقَلَمِ ، وَجَعَلَ السَّيْفَ
تَحْتَ الْقَلَمِ » وَهَذِهِ الْوَزَارَةُ هِيَ الْإِسْتِيلَاءُ عَلَى
التَّدْيِيرِ ، وَالْعَقْدِ ، وَالْحَلِّ ، وَالتَّقْلِيدِ ، وَالْعَزْلِ

(١) جمع حائر ووزن فعله بفتح العين

فَأَمَّا الْعَقْدُ ، فَيَشْتَمِلُ عَلَى شَرْطَيْنِ : تَنْفِيذٌ وَإِقْدَامٌ ،
وَأَمَّا الْحَلُّ فَيَشْتَمِلُ عَلَى شَرْطَيْنِ : دِفَاعٌ وَحَذَرٌ ،
فَصَارَ الْحَلُّ وَالْعَقْدُ هُنَا أَحَدَ شَرْطَيْ هَذِهِ الْوَزَارَةِ
يَشْتَمِلَانِ عَلَى أَرْبَعَةِ شُرُوطٍ : تَنْفِيذٌ ، وَدِفَاعٌ ،
وَإِقْدَامٌ ؛ وَحَذَرٌ . وَلِكُلِّ شَرْطٍ مِنْهَا فُصْلٌ يَشْتَمِلُ
عَلَى فُصُولٍ .

فَأَمَّا الْفُصْلُ الْأَوَّلُ ، وَهُوَ التَّنْفِيذُ ، فَهُوَ أَسُّ
الْوَزَارَةِ ، وَقَاعِدَةُ النِّيَابَةِ ، وَهُوَ الْأَخْصُ بِكِفَايَةِ
الْقَلَمِ فِي مَصَالِحِ الْمُلْكِ وَاسْتِقَامَةِ الْأَعْمَالِ ، وَيَشْتَمِلُ
عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ :

أَحَدُهَا تَنْفِيذُ مَا صَدَرَتْ بِهِ أَوْامِرُ الْمُلْكِ ، فَعَلَى
الْوَزِيرِ فِيهَا حَقٌّ أَنْ يَفْحَصَهَا^(١) مِنْ زَلَلٍ فِي

(١) ذكرت في بعض الكتب يتصفحها

ابْتِدَائِيهَا ، وَيَحْرُسَهَا مِنْ خَلَلٍ فِي أَثْنَائِهَا ^(١) ، لِيَرُدَّهُ عَنْ
 زَلَلِهَا بِاللُّطْفِ ، وَيَقْوَى عَزَمُهُ عَلَى صَوَابِهَا بِالْإِحْمَادِ ^(٢) .
 وَقَدْ قَالَ أَفْلَاطُونُ : أَوَّلُ رِيَاضَةِ الْوَزِيرِ أَنْ يَتَأَمَّلَ
 أَخْلَاقَ الْمَلِكِ وَمُعَامَلَتَهُ ، فَإِنْ كَانَتْ شَدِيدَةً فَظَّةً ^(٣) ،
 عَامَلَ النَّاسَ بِدُونِهَا ، وَإِنْ كَانَتْ لَيِّنَةً مُطْلَقَةً عَامَلَهُمْ
 بِأَقْوَى مِنْهَا ، لِيَقْرُبَ مِنَ الْعَدْلِ فِي سَعْيِهِ ، وَالثَّانِي
 تَعْجِيلُ إِمْضَائِهَا لِلْوَقْتِ الْمُقَدَّرِ لَهَا ، حَتَّى لَا يَقِفَ
 فَيُوحِشَ ، لِأَنَّ وَقُوفَ أَوَامِرِهِ يُوحِشُ ^(٤) ، وَهُوَ
 مَنْدُوبٌ لِلتَّفْهِيمِ دُونَ الْوُقُوفِ . وَقَدْ قَالَ حَكِيمُ الْهِنْدِ :
 الْعَجَلَةُ فِي الْأَمْرِ خُرْقٌ ^(٥) ، وَأَخْرَقُ مِنْ ذَلِكَ التَّفْرِيطُ

(١) جمع ثني وهو الوسط (٢) يقال أحمدت فلانا رضيت فعله
 ومذهبه ولم أنشره للناس (٣) اللفظ : السوء الخلق . الغليظ الجانب
 (٤) يصرف الناس عنه (٥) الخرق : ضعف الرأي

فِي الْأَمْرِ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ . وَقَالَ بَعْضُ حُكَمَاءِ
الْعَرَبِ : كَمْ مِنْ عَزِيزٍ أَذَلَّهُ خُرْقُهُ ! وَمِنْ ذَلِيلٍ
أَعَزَّهُ خُلُقُهُ ، وَدَرَكُ هَذَا التَّقْلِيدِ عَائِدٌ عَلَى الْمَلِكِ
دُونَ الْوَزِيرِ .

وَالْقِسْمُ الثَّانِي تَنْفِيزُ مَا اقْتَضَاهُ رَأْيُ الْوَزِيرِ مِنْ
تَدْبِيرِ الْمَمْلَكَةِ فَعَلَيْهِ فِي إِمْضَائِهِ حَقَّانٍ : أَحَدُهُمَا أَنْ
يُرَاعِيَ أَوْلَى الْأُمُورِ فِي اجْتِهَادِهِ وَأَصُوبَهَا فِي رَأْيِهِ ،
لِأَنَّهُ مَنْدُوبٌ لِأَصْلَحِهَا وَمَأْخُوذٌ بِأَصُوبِهَا . وَالثَّانِي أَنْ
يُطَالِعَ الْمَلِكَ بِهِ إِنْ جَلَّ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَطْوِيَهُ عَنْهُ
إِنْ قَلَّ ، لِيَخْرُجَ عَنِ الْإِسْتِبْدَادِ الْمُنْفَرِّ ، وَيَسْلَمَ مِنَ
الْحَقْدِ الْمُؤَثِّرِ . وَقَدْ قَالَ حَكِيمُ الْهِنْدِ : الْأَحْقَادُ
مُؤَثِّرَةٌ ، حَيْثُ كَانَتْ ، وَأَخُوفُهَا مَا كَانَ فِي أَنْفُسِ

الْمُلُوكِ ، لِأَنَّهُمْ يَدِينُونَ بِالْإِنْتِقَامِ ، وَيَرَوْنَ الطَّلَبَ
بِالْوِثَرِ ^(١) مَكْرُمَةً وَفَخْرًا ، فَإِنْ عَارَضَهُ الْمَلِكُ فِي رَأْيِهِ
بَعْدَ الْمُطَالَعَةِ بِهِ لَمْ يَسْتَوْحِشْ مِنْ مُعَارَضَتِهِ لِأَنَّهُ
مَلِكٌ مُسْتَنِيبٌ ^(٢) ، وَظَانٌ ^(٣) مُسْتَرِيبٌ ، وَقَابِلٌ يَنْ
رَأْيِهِ وَمُعَارَضَتِهِ فِيهِ ، وَاسْتَوْضَحَ مِنْهُ أَسْبَابَ الْمُعَارَضَةِ
بِلُطْفٍ ، إِنْ خَفِيَ . فَقَدْ قِيلَ : الْكَلَامُ اللَّيْنُ
مَصَائِدُ الْقُلُوبِ ، فَإِنْ وَضَحَ صَوَابُهَا ، تَوَقَّفَ عَنْ رَأْيِهِ
وَشَكَرَهُ عَلَى اسْتِدْرَاكِ زَلَلِهِ ، وَتَلَا فِي خَلَلِهِ ، وَقَدْ مَنْ
عَلَيْهِ إِذْ صَفَحَ وَلَمْ يُؤَنَّبْ ، وَإِنْ كَانَ الصَّوَابُ مَعَ
الْوَزِيرِ تَلَطَّفَ فِي إِيْضَاحِ صَوَابِهِ ، وَكَشَفَ عِلَلَهُ
وَأَسْبَابِهِ ، فَإِنْ سَاعَدَهُ عَلَى إِمْضَائِهِ أَمْضَاهُ ، وَكَانَ دَرَكُ

(١) الثَّارُ (٢) منيب ومستنيب أقام وكيلًا عنه في عمل ما والوكيل
مناب ومستناب (٣) اسم فاعل من ظن ومستريب شاك

تَنْفِيذِهِ عَائِدًا عَلَى الْوَزِيرِ دُونَ الْمَلِكِ ، وَإِنْ لَمْ يُسَاعِدْهُ
عَلَيْهِ تَوَقَّفَ عَنْهُ انْقِيَادًا لِطَاعَتِهِ . فَقَدْ قَالَ بَعْضُ
السَّلَفِ : مَنْ ضَنَّ بِعِرْضِهِ فَلْيَدْعِ الْمِرَاءَ^(١) . وَقَالَ :
خَلَّ الطَّرِيقَ لِمَنْ لَا يَفِيقُ ، وَيَكُونُ دَرَكُ وَقُوفِهِ
عَائِدًا عَلَى الْمَلِكِ دُونَ الْوَزِيرِ .

وَالْقِسْمُ الثَّالِثُ تَنْفِيذُ مَا صَدَرَ عَنْ خُلَفَائِهِ عَلَى
الْأَعْمَالِ الَّتِي فَوَّضَهَا إِلَى آرَائِهِمْ ، وَوَكَّلَهَا إِلَى
اجْتِهَادِهِمْ ، فَإِنْ تَفَرَّدُوا بِتَنْفِيذِهَا أَمْضَاهَا لَهُمْ ، وَلَمْ
يَتَعَقَّبْهَا مَا لَمْ يَتَحَقَّقْ زَلَلُهُمْ فِيهَا . وَكَانَ دَرَكُ
تَنْفِيذِهَا عَائِدًا عَلَى الْعُمَالِ دُونَ الْوَزِيرِ ، وَإِنْ وَقَفُوهَا
عَلَى تَنْفِيذِ الْوَزِيرِ ، فَعَلَيْهِ فِي تَنْفِيذِهَا حَقَّانِ :
أَحَدُهُمَا أَنْ يَسْتَكْشِفَ عَنْ أَسْبَابِهَا لِيَعْلَمَ خَطَأَهَا

(١) المراء : المجادلة والمنازعة

مِنْ صَوَابِهَا : وَالثَّانِي تَقْوِيَةُ أَيْدِيهِمْ وَتَفِيُّ الْأَرْتِيَابِ عَنْهُمْ ، فَإِنَّ ظُهُورَ الْأَرْتِيَابِ يَخْنِيهِمْ^(١) . وَقَدْ قَالَ حَكِيمُ الْفُرْسِ : لَيْسَ أَحَدٌ أَبْعَدَ مِنَ الْخَيْرِ مِنْ اثْنَيْنِ مَنَزَلَتُهُمَا وَاحِدَةٌ ، وَعِلْمُهُمَا مُخْتَلِفَةٌ ، أَحَدُهُمَا مَنْ لَا يَشِقُ بِأَحَدٍ ، وَالثَّانِي مَنْ لَا يَشِقُ بِهِ أَحَدٌ ، فَإِنَّ نَفَذَهَا لَهُمْ حِينَ لَمْ يَتَحَقَّقْ زِلَلُهُمْ فِيهَا ، كَانَ دَرَكُ تَنْفِيزِهَا عَائِدًا عَلَى الْعَمَالِ دُونَ الْوَزِيرِ ، وَإِنْ وَقَفَهَا كَانَ دَرَكُ وَقُوفِهَا عَائِدًا عَلَى الْوَزِيرِ دُونَ الْعَمَالِ وَالْقِسْمُ الرَّابِعُ تَنْفِيزُ أُمُورِ الرِّعَايَا عَلَى مَا أَلْفُوهُ مِنْ عَادَاتٍ وَمُعَامَلَاتٍ ، وَاخْتَلَفُوا فِيهَا حَتَّى اتَّخَلَفُوا^(٢) بِهَا ؛ لِأَنَّ النَّاسَ مَجْبُولُونَ عَلَى الْحَاجَةِ إِلَى أَنْوَاعِ

(١) يقطعهم عن تفتته (٢) كانت لهم أليفة أو مألوفة

لَا يَقْدِرُ الْوَاحِدُ أَنْ يَقُومَ بِجَمِيعِهَا ، فُخُولُفَ يَنْ هَمَمِهِمْ
لِيَنْفَرِدَ كُلُّ قَوْمٍ بِنَوْعٍ مِنْهَا ؛ فَيَأْتِلِفُوا بِهَا فَيَقُومَ
الزَّرَاعُ بِمَزَارِعِهِمْ ؛ وَيَتَشَاغَلُ الصَّنَاعُ بِصَنَائِعِهِمْ .
وَيَتَوَفَّرُ^(١) التَّجَارُ عَلَى مَتَاجِرِهِمْ . وَقَدْ قَالَ خَمِيرُ الْمَلِكِ
لَوْزِيرِهِ : النَّاسُ أَرْبَعُ طَبَقَاتٍ طَبَقَةُ^١ لِلْفُرُوسِيَّةِ الْحَقُّهُمْ
بِالشَّرَفِ ، وَطَبَقَةُ^٢ لِإِقَامَةِ الدِّيَانَةِ الْحَقُّهُمْ بِالْكَفَايَةِ ،
وَطَبَقَةُ^٣ لِلزَّرَاعَةِ وَالْعِمَارَةِ أَجْرِهِمْ عَلَى الْإِنْصَافِ ،
وَطَبَقَةُ^٤ لِلْمِهَنِ لَا تُخْلِهِمْ مِنَ الْإِحْسَانِ . وَعَلَيْهِ فِي
تَنْفِيزِهَا لَهُمْ حَقَّانِ : أَحَدُهُمَا أَلَّا يُعَارِضَ صِنْفًا مِنْهُمْ
فِي مَطْلَبِهِ ؛ وَالثَّانِي أَلَّا يُشَارِكُهُ فِي مَكْسِيهِ . وَرُبَّمَا
كَانَ لِلسُّلْطَانِ رَأْيٌ فِي الْإِسْتِثْنَاءِ^(٢) مِنْ أَحَدٍ

(١) يختصونها بعملهم (٢) الاختصاص

الْأَصْنَافِ فَيَنْقُلُ إِلَيْهِ مَنْ لَا يَأْلَفُهُ فَيَخْتَلِ النَّظَامُ
بِهِمْ فِيمَا نُقِلُوا عَنْهُ وَفِيمَا نُقِلُوا إِلَيْهِ ، لِأَنَّ
تَمْيِيزَهُمْ بِالْهَامِ الطَّبَاعِ أَعْدَلُ فِي اثْنَلَا فِيهِمْ مِنَ التَّصْنِيعِ
لَهَا ، وَرُبَّمَا ضَنَّ السُّلْطَانُ عَلَيْهِمْ بِمَكَاسِبِهِمْ فَتَعَرَّضَ
لَهَا أَوْ شَارَكَهُمْ فِيهَا ، فَاتَّجَرَ مَعَ التُّجَّارِ ، وَزَرَعَ
مَعَ الزُّرَّاعِ ، وَهَذَا وَهْنٌ فِي حُقُوقِ السِّيَاسَةِ ،
وَقَدْ حُ^(١) فِي شُرُوطِ الرِّيَاسَةِ مِنْ وَجْهَيْنِ : أَحَدُهُمَا
أَنَّهُ إِذَا تَعَرَّضَ لِأَمْرٍ قَصُرَتْ فِيهِ يَدُ مَنْ عَدَاهُ ؛
فَإِنْ ثَوْرَكَ عَلَيْهِ لَمْ يَنْهَضْ بِهِ ، وَإِنْ شُورَكَ فِيهِ
صَاقَ عَلَى أَهْلِهِ . وَقَدْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَا عَدَلَّ وَالِ اتَّجَرَ فِي رَعِيَّتِهِ »

وَالثَّانِي أَنَّ الْمُلُوكَ أَشْرَفُ النَّاسِ مَنْصِبًا ، فَخُصُّوا
بِمَوَادِّ السَّلْطَنَةِ لِأَنَّهَا أَشْرَفُ الْمَوَادِّ مَكْسَبًا ؛ فَإِنْ
زَاخَمُوا الْعَامَّةَ فِي دَرَكِ مَكْسِبِهِمْ أَوْهَنُوا الرَّعَايَا بِسُوءِ
الْمَمَالِكِ ، وَعَادَ وَهُمْ عَلَيْهَا فَاخْتَلَّ نِظَامُهَا ،
وَاعْتَلَّ^(١) مَرَامُهَا . وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِذَا اتَّجَرَ الرَّاعِي أَهْمَلَتِ
الرَّعِيَّةُ » . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِذَا لَمْ يَكُنْ
فِي سُلْطَانِ الْمَلِكِ سُرُورُ الرَّعِيَّةِ ، كَانَ مُلْكُهُ ظُلْمًا .
وَكَتَبَ حَكِيمُ الرُّومِ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِ : أَيُّ مَلِكٍ
تَطَلَّعَتْ نَفْسُهُ إِلَى الْمُحَقَّرَاتِ فَلَمَوْتُ أَكْرَمُ لَهُ .



(١) ضعف من العلة وهي المرض

فَأَمَّا الْفَصْلُ الثَّانِي وَهُوَ الدِّفَاعُ . وَيَشْتَمِلُ الدِّفَاعُ
 عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ : أَحَدُهَا الدِّفَاعُ عَنِ الْمَلِكِ مِنْ
 الْأَوْلِيَاءِ^(١) ، وَالثَّانِي الدِّفَاعُ عَنِ الْمَمْلَكَةِ مِنَ الْأَعْدَاءِ ،
 وَالثَّلَاثُ دِفَاعُ الْوَزِيرِ عَنْ نَفْسِهِ مِنَ الْأَكْفَاءِ^(٢) ،
 وَالرَّابِعُ دِفَاعُهُ عَنِ الرَّعِيَّةِ مِنْ خَوْفٍ وَاخْتِلَالٍ .
 فَأَمَّا الْقِسْمُ الْأَوَّلُ فِي دِفَاعِهِ عَنِ الْمَلِكِ مِنْ أَوْلِيَائِهِ ،
 فَيَكُونُ بِثَلَاثَةِ أَسْبَابٍ : أَحَدُهَا أَنْ يَقُودَهُمْ إِلَى طَاعَتِهِ
 بِالرَّغْبَةِ ؛ وَيَكْفَهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ بِالرَّهْبَةِ ؛ فَإِنَّ الرَّغْبَةَ
 وَالرَّهْبَةَ إِذَا تَوَالِيَا عَلَى النَّفْسِ ذَلَّتْ لَهُمَا وَانْقَادَتْ
 خَوْفًا وَطَمَعًا ، وَبِهِمَا تَعَبَّدَ اللَّهُ الْخَلْقَ فِي وَعْدِ اللَّهِ
 وَوَعِيدِهِ : وَالثَّانِي أَنْ يَقُومَ بِكَفَايَتِهِمْ حَتَّى لَا يَنْفِرُوا

(١) الْأَقْرَبُ وَيُطْلَقُ عَلَى الْأَشْيَاعِ وَالْأَنْصَارِ (٢) الْأُنْدَادِ

بِالْقُوَّةِ أَوْ يَتَفَرَّقُوا بِالضَّعْفِ ، وَكِلَاهُمَا قَدْحٌ فِي
 الْمُلْكِ ، لِأَنَّهُمْ بِالْقُوَّةِ أَعْدَاءُ مُسَلِّطُونَ ، وَبِالضَّعْفِ
 عَجْزَةٌ مُسْتَذَلُونَ^(١) . وَثَبَاتُ الْمُلْكِ يَكُونُ بِأَنْ تَكُونَ
 الْقُوَّةُ لِلْمُسَلِّطَانِ لِيَصِيرَ قَاهِرًا لَهُمْ ، وَلَا تَكُونَ الْقُوَّةُ
 لَهُمْ ، فَيَصِيرَ مَقْهُورًا بِهِمْ . بَلَغَ الْمُتَأْمُونَ أَنَّ الْجُنْدَ
 بِخُرَاسَانَ شَغِبُوا وَنَهَبُوا ، فَكُتِبَ إِلَى عَامِلِهِ بِهَا :
 لَوْ عَدَلْتَ لَمْ يَشْغَبُوا ، وَلَوْ قَوَّيْتَ لَمْ يَنْهَبُوا :
 وَالثَّلَاثُ أَنْ يَحْفَظَهُمْ مِنَ الْإِغْوَاءِ^(٢) وَيَحْرُسَهُمْ مِنَ
 الْإِغْرَاءِ ، وَذَلِكَ بِأَمْرَيْنِ : أَحَدُهُمَا بِالْبَحْثِ عَنْ
 أَخْبَارِهِمْ ، حَتَّى يَعْلَمَ سَلِيمُهُمْ مِنْ سَقِيمِهِمْ : وَالثَّانِي
 بِإِبْعَادِ الْمُفْسِدِينَ عَنْهُمْ حَتَّى لَا يَتَعَدَّى إِلَيْهِمْ فَسَادُهُمْ ،

(١) فِي بَعْضِ النُّسخِ مُسْتَبْدَلُونَ (٢) اتِّبَاعَ طَرِيقِ الضَّلَالِ أَغْوَاءُ

أَوْ قَعَهُ فِي الضَّلَالِ وَالْخِيْبَةِ

فَإِنَّ الْكَفَّ بِحَسَبِ الْكَشْفِ ، وَالْمَهْلُ ^(١) زَائِغٌ ^(٢)
 أَوْ رَائِغٌ ^(٣) وَلَا خَيْرَ فِي وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِضَلَالِ الزَّائِغِ
 وَمَخَاتَلَةِ الرَّائِغِ . وَقَدْ قِيلَ فِي مَشْهُورِ الْحَكَمِ :
 مِنْ عِلَامَةِ بَقَاءِ الدَّوْلَةِ قِلَّةُ الْغُفْلَةِ .

وَالْقِسْمُ الثَّانِي فِي دِفَاعِهِ عَنِ الْمَمْلَكَةِ مِنْ
 أَعْدَائِهَا ؛ وَأَعْدَاءُ الْمَمَالِكِ مَنْ انْقَرَدَ بِمُلْكٍ أَوْ امْتَنَعَ
 بِقُوَّةٍ . وَهُمْ ثَلَاثَةٌ أَصْنَافٍ : أَكْفَاءُ ^(٤) مُمَآثِلُونَ ،
 وَعُظَمَاءُ مُتَقَدِّمُونَ ، وَنَاجِمَةٌ مُنَافِسُونَ . فَأَمَّا الْأَكْفَاءُ
 الْمُمَآثِلُونَ فَيُدْفَعُونَ بِالْمُقَارَبَةِ وَالْمُسَالَمَةِ ، وَأَمَّا الْعُظَمَاءُ
 الْمُتَقَدِّمُونَ فَيُدْفَعُونَ بِالْمُلَاطَفَةِ وَالْمُلَايَنَةِ . وَأَمَّا

(١) التقدم في الخير ويسكون الهاء العمل في رفع وتوؤدة

(٢) مائل إلى الضلال (٣) من إروغان الثعلب فهو الخنائل (٤) أُنْدَاد

النَّاجِةُ^(١) الْمُنَافِسُونَ فَيُدْفَعُونَ بِالسَّطَوَةِ وَالْمُخَاشَنَةِ .
فَإِنَّ اخْتِلَافَ الرُّتَبِ يُوجِبُ تَبَايُنَ أَهْلِهَا وَتَنَافِي
أَحْوَالِهَا . فَإِنَّ انْقَادَ لِلْأَعْلَى انْقَادَ لَهُ الْأَدْنَى ، يَدِينُ
بِمَا ذَاتَ . كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
« كَمَا تَدِينُ تُدَانُ » . وَإِنْ نَاكَرَ نُوَكِّرَ وَكَانَ عَلَى
وَجَلٍّ مِنْ سَطَوَةِ الْعَالِي وَمُنَافَرَةٍ الدَّانِي . وَقَدْ قَالَ
بَعْضُ الْحُكَمَاءَ : مَنْ قَلَّتْ تَجَرِبَتُهُ خُدِعَ ، وَمَنْ
قَلَّتْ مُبَالَاتُهُ صُرِعَ . وَإِنْ اسْتَغْنَى عَنْ مُحَارَبَةٍ
أَحَدِهِمْ ، كَفَّ عَنْهَا وَهَوَّلَ بِهَا . وَلَمْ يَخْرِقْ حِجَابَ
الْهَيْبَةِ ؛ وَلَمْ يَقْطَعْ أَسْبَابَ الْمُرَاقَبَةِ ؛ لِيَحْظِيَ بِأَرْبَعَةِ
أَشْيَاءَ : دَعَا الْمُسَالَمَةَ ، وَالْأَمْنُ مِنْ خَطَرِ الْمُنَاجَزَةِ^(٢)

(١) الناجية النافعة : (٢) المقاتلة المبارزة

وَبَقَاءِ الْأَمْوَالِ ، وَرَاحَةِ الْأَجْنَادِ . وَقَدْ قَالَتِ الْقَدَمَاءُ :
 خُذْ بِالْأَنَانَةِ ^(١) مَا اسْتَقَامَتْ لَكَ ، وَاقْبَلِ الْعَاقِبَةَ
 مَا وَهَبَتْ لَكَ ، وَلَا تَعْجَلْ إِلَى مُنَاجَزَةِ الْعَدُوِّ ،
 مَا وَجَدْتَ إِلَى الْحِيلَةِ سَبِيلًا ، وَلَا تَسْأَمَنَّ مِنْ
 مُطَاوَلَةِ عَدُوِّكَ ، فَإِنَّ لَكَ فِي الْإِبْطَاءِ انْتِظَارًا لِفُرْصَةٍ ،
 وَظَفَرًا بِعَوْرَةٍ ، وَتَوَقَّ طَلَبَ الظَّفَرِ بِاللِّقَاءِ ، فَإِنَّهُ
 لَا يَكَادُ يُنَالُ إِلَّا بِالْأَخْطَارِ . وَلِتَكُنِ الرَّغْبَةُ مِنْكَ
 فِي طَاعَةِ عَدُوِّكَ لَكَ آثَرٌ عِنْدَكَ مِنَ الْغَنِيمَةِ ،
 تُصِيبُ بِهِ سَلَامَةَ أَصْحَابِكَ وَرَعِيَّتِكَ . وَقَدْ قَالَ
 عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : خُذْ عَلَى عَدُوِّكَ
 بِالْفَضْلِ ، فَإِنَّهُ أَحَدُ الظَّفَرَيْنِ . وَإِنْ دَعَتْ الضَّرُورَةُ

إِلَى الْمُنَاجَزَةِ بَعْدَ الْإِعْذَارِ^(١) وَالْإِنْذَارِ ، أَيْقَظَ لَهَا
عِزَّمَهُ وَاسْتَعْمَلَ فِيهَا حَزْمَهُ ؛ وَأَقْدَمَ عَلَيْهَا بَعْدَ
الِاسْتِخَارَةِ مُتَّبِعًا لِلدِّينِ ، وَمُسْتَعْمِلًا لِلْعَدْلِ ، فَلَنْ
يَعْدِلَ عَنْهُمَا إِلَّا بَاغٍ مَضْرُوعٌ ، وَقَدْ قَالَ بَعْضُ
الْحُكَمَاءِ : مَنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ أَثْمَدَ فِي رَأْسِهِ ،
وَمَنْ أَسَّسَ أَسَاسَ الشُّوْءِ أَسَّسَهُ عَلَى نَفْسِهِ . وَلَيْكُنْ
الْحَذَرُ جُنَّتَهُ^(٢) ، وَالِاسْتِظْهَارُ^(٣) عُدَّتَهُ . وَقَدْ قَالَ
حَكِيمُ الْفُرْسِ : احْذَرِ التَّفْرِيطَ فِي الْأُمُورِ اتِّكَالًا
عَلَى الْقَدَرِ ، فَإِنَّ لِكُلِّ قَدَرٍ سَبَبًا يَجْرِي إِلَيْهِ ؛
فَسَبَبُ النُّجْجِ الْعَمَلُ ، وَسَبَبُ الْخَيْبَةِ التَّفْرِيطُ . وَكَانَ
يُقَالُ : تَفَكَّرْ قَبْلَ أَنْ تَعِزَّمَ ، وَتَيَّنْ قَبْلَ أَنْ تَهْجَمَ ،

(١) اعذره وأعذره على ما صنع رفع ذنبه (٢) وقايته (٣) الاحتياط

وَشَاوِرُ قَبْلَ أَنْ تُقَدِّمَ . وَإِذَا وَضَعْتَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا
عَلَى ظَهْرٍ وَغَلَبَةٍ فَاصْفَحْ وَتَأَلَّفْ . فَقَدْ كَتَبَ حَكِيمُ
الرُّومِ إِلَى الْإِسْكَندَرِ : إِذَا ظَهَرَتْ الْغَلَبَةُ عَلَى قَوْمٍ
فَضَعْ مَعَ أَوْزَارِ الْحَرْبِ الْغَضَبَ ، لِأَنَّهُمْ فِي الْحَالِ
الْأُولَى أَعْدَاءُ ، وَهُمْ فِي هَذِهِ الْحَالِ خَوْلٌ ^(١) ، فَأَبْدِلْهُمْ
بِالْغَضَبِ رَحْمَةً ، وَبِالْأَذَى إِحْسَانًا .

وَالْقِسْمُ الثَّلَاثُ فِي دِفَاعِ الْوَزِيرِ عَنْ نَفْسِهِ مِنْ
أَكْفَائِهِ ، فَتَكُونُ بَعْدَ اسْتِصْلَاحِ الطَّرَفَيْنِ ، الْأَعْلَى
وَهُوَ الْمَلِكُ ، وَالْأَذَنَى وَهُمْ الْأَعْوَانُ . وَأَكْفَاؤُهُ
ثَلَاثَةٌ : وَاتَرُ ، وَمَوْتُورُ ، وَمُنَافِسُ .

فَأَمَّا الْوَاتَرُ ^(٢) : فَقَدْ بَدَأَ بِشَرِّهِ ، وَجَاهَرَ بِعَدَاوَتِهِ ؛

(١) الأصل فيهم الرعاة ويراد بهم هنا الخدم والأتباع

(٢) من تؤخذ منه الترة أى الثأر والموتور من له ترة عند غيره

وَكِلَاهُمَا بَغْيٌ مِنْهُ يُؤْنَسُ بِالنَّصْرِ عَلَيْهِ ، وَقَدْ قَالَ
سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : سَهْمُ
الظَّالِمِ يَرْجِعُ عَلَيْهِ ، لِأَنَّ عُقُوبَتَهُ تُسْرِعُ إِلَيْهِ .
وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَنْ فَعَلَ الْخَيْرَ فَبِنَفْسِهِ بَدَأَ ،
وَمَنْ فَعَلَ الشَّرَّ فَعَلَى نَفْسِهِ جَنَى . وَلَكَ فِي بَرِّهِ حَقَّانِ ،
حَقٌّ فِي مُقَابَلَتِهِ عَلَى مَا قَدَّمَ مِنْ بَرِّهِ ، وَحَقٌّ فِي اسْتِدْفَاعِ
مَا جَاهَرَ بِهِ مِنْ عَدَاوَتِهِ ، فَأَمَّا حَقُّكَ فِي الْمُقَابَلَةِ ، فَإِنْ
عَفَوْتَ عَنْهَا كُنْتَ بِالْفَضْلِ جَدِيرًا ؛ وَإِنْ قَابَلْتَ عَلَيْهَا
كُنْتَ فِي الْمُقَابَلَةِ مَعْذُورًا . وَقَدْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ « مَنْ أَرَادَ أَنْ يُشْرِفَ اللَّهُ لَهُ
الْبُنْيَانِ ، وَأَنْ يَرْفَعَ لَهُ الدَّرَجَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؛ فَلْيَعْفُ
عَمَّنْ ظَلَمَهُ ، وَيَصِلْ مَنْ قَطَعَهُ ، وَلْيُعْطِ مَنْ حَرَمَهُ ،

وَلِيَحْلُمَ عَمَّنْ جَهِلَ عَلَيْهِ « وَقَالَ الْمُنْتَصِرُ : لَذَّةُ الْعَفْوِ
أَطْيَبُ مِنْ لَذَّةِ التَّشْفِي ، لِأَنَّ لَذَّةَ الْعَفْوِ يَتَّبِعُهَا الْحَمْدُ ،
وَلَذَّةُ التَّشْفِي يَتَّبِعُهَا النَّدَمُ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَيْسَ اعْتِذَارِي مِنْ قَبِيحٍ بِنَافِعٍ
إِذَا قِيلَ لِي يَوْمًا وَصَدَّقَ قَائِلُهُ
فَإِنَّكَ تَلْقَى فَاعِلَ الشَّرِّ نَادِمًا
عَلَيْهِ وَلَمْ يَنْدَمْ عَلَى الْخَيْرِ فَاعِلُهُ
وَأَمَّا حَقُّكَ فِي اسْتِدْفَاعِ عَدَاوَتِهِ ، فَقَدْ أُيْقِظَكَ^(١)
بِمُجَاهَرَّتِهِ ، وَأَوْهَنَ كَيْدَهُ بِمُظَاهَرَّتِهِ^(٢) . وَقَدْ قِيلَ
فِي مَشْهُورِ الْحُكْمِ : أَوْهَنُ الْأَعْدَاءِ كَيْدًا أَظْهَرُهُمْ
بِعَدَاوَتِهِ ؛ فَاحْذَرْ بَادِرَتَهُ ، وَادْفَعْ عَدَاوَتَهُ . وَدَفَعُهَا

(١) نبه قلبك بمجهر عدوانه (٢) مطالعته الناس بكيده ظاهراً

مُخْتَلَفٌ بِاخْتِلَافِ طِبَاعِهِ فِي إِثْبَاتِهِ بِالرَّغْبَةِ، أَوْ تَقْوِيمِهَا
 بِالرَّهْبَةِ . وَقَدْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ اعْتَزِلِ
 الشَّرَّ يَعْتَزِلَكَ ، فَإِنَّ الشَّرَّ لِلشَّرِّ خُلُقٌ . وَقَدْ قِيلَ فِي
 الصُّحُفِ الْأُولَى : الشَّرُّ شَرُّهُ عَلَيْهِ . وَقَالَ الْحَسَنُ
 ابْنُ سَهْلٍ وَحَدَّثَ الْفَهْلَمَانُ : ثَلَاثَةٌ لَا يُصْلَحُ فَسَادُهَا
 بِشَيْءٍ مِنَ الْحِيلِ : الْعَدَاوَةُ بَيْنَ الْأَقَارِبِ ، وَتَحَاسُّدُ
 الْأَكْفَاءِ ، وَالرَّكَائِكَةُ^(١) فِي الْمُلُوكِ . وَثَلَاثَةٌ
 لَا يُسْتَفْسَدُ صَلَاحُهَا بِنَوْعٍ مِنَ الْمَكْرِ : الْعِبَادَةُ
 فِي الْعُلَمَاءِ ، وَالْقُنُوعُ فِي الْمُسْتَبْصِرِينَ ، وَالسَّخَاءُ
 فِي ذَوِي الْأَقْدَارِ . وَثَلَاثَةٌ لَا يُشْبَعُ مِنْهَا : الْحَيَاةُ
 وَالْمَالُ وَالْعَافِيَةُ .

وَأَمَّا الْمَوْتُورُ فَقَدْ بُودِيَ بِالْإِسَاءَةِ فَصَبَرَ ،
وَجُوهَرَ بِالْعَدَاوَةِ فَأَخْفَاهَا . فَلَهُ تَرَةٌ مَظْلُومٍ ، وَوَثْبَةٌ
مُخْتَلِسٍ ، فَتُتَوَقَّى تَرَةٌ ظِلَامَتِهِ بِالِاسْتِعْطَافِ ، وَتُتَوَقَّى
وَثْبَةٌ مُخَالَسَتِهِ بِالِاخْتِرَازِ . وَقَدْ رَوَى مُجَالِدٌ عَنِ الشَّعْبِيِّ
عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :
« إِيَّاكُمْ وَالْمُشَارَةَ فَإِنَّهَا تَذْفِنُ الْغِرَّةَ وَتُظْهِرُ الْغِرَّةَ ^(١) » .
وَقَدْ قِيلَ فِي أَمْثَالِ الْحَكَمِ : ثَلَاثَةٌ الْقَلِيلُ مِنْهَا كَثِيرٌ ،
النَّارُ وَالْعَدَاوَةُ وَالْمَرَضُ . قَالَ الشَّاعِرُ :

فَلَا تَأْمَنَنَّ الدَّهْرَ حُرًّا ظَلَمْتَهُ

فَمَا لَيْلُ مَظْلُومٍ كَرِيمٍ بِنَائِمٍ
وَأَمَّا الْمُنَافِسُ فَهُوَ طَالِبُ رُتْبَةٍ إِنْ نَالَ مِنْهَا

(١) ما في الرجل من مكروه أو هو الجنون

سَدَادًا مِنْ عَوَزٍ يَاسِرٍ ، وَإِنْ ضُويِقَ فِيهَا نَافِرٌ ،
فَارْخَ لَهُ عِنَانٌ ^(١) الْأَمَلِ ، وَاخْفِضْ جَنَاحَ ^(٢) مُنَافَسَتِهِ
بِالِاسْتِنَابَةِ ^(٣) وَالْعَمَلِ ، لِتَدْفَعَهُ بِالْمَيَاسِرَةِ عَنِ الْمُنَافَرَةِ ،
وَعَالِطٍ بِهِ الْأَيَّامُ فَإِنَّ السَّاعَاتِ تَهْدِمُ الْأَعْمَارَ . وَقَدْ
قِيلَ فِي مَنُشُورِ الْحَكَمِ : الْمَرْءُ بِسَاعَاتِهِ ، وَالذَّهْرُ
فِي مُسَاعَاتِهِ . وَلَا تَجْعَلْ لَهُ فَرَاغًا يَتَشَاغَلُ فِيهِ
بِمَسَاءَتِكَ ، وَيَجْعَلَكَ عُذْرًا فِي السَّعْيِ عَلَى مَنَزِلَتِكَ ،
فَإِنَّ الْمُضْطَرَّ جَسُورٌ . فَإِنْ سَاقَ الْقَضَاءُ إِلَيْهِ حَظًّا
كُنْتَ لَهُ مُصْطَنِعًا يَرَعَى لَكَ حُقُوقَ الْأَصْطِنَاعِ .
فَقَدْ قِيلَ : مِنْ عَلَامَةِ الْإِقْبَالِ اصْطِنَاعُ الرِّجَالِ .

(١) اجعل مدى أمله رحيماً (٢) كن متواضعاً في منافسته

(٣) جعله نائباً في عمل

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : اصْطَنِعَ الْخَيْرَ عِنْدَ امْكَانِهِ ؛
يَبْقَى لَكَ حَمْدُهُ بَعْدَ زَوَالِ أَيَّامِهِ ، وَأَحْسِنِ وَالِدَوْلَةَ
لَكَ ، يُحَسِّنُ إِلَيْكَ وَالِدَوْلَةَ عَلَيْكَ ، وَاجْعَلْ زَمَانَ
رَحَائِكَ عُدَّةً لَزَمَانَ بِلَائِكَ . وَإِنْ صَدَّ الْقَضَاءُ عَنْ
إِرَادَتِهِ وَحَجَزَهُ الْقَدَرُ عَنْ صَلَاتِهِ ، كَفَيْتَ مَا خِفْتَهُ ،
وَقَدْ أَحْسَنْتَ وَوَصَلْتَ إِلَى مَا أَرَدْتَهُ ، وَقَدْ أَجَمْتَ ^(١) ،
فَقَدْ قِيلَ فِي مَثُورِ الْحَكَمِ : الْخَوَائِجُ تُطَلَّبُ بِالْعَنَاءِ ،
وَتُدْرَكُ بِالْقَضَاءِ ، ثُمَّ قَدْ أُوجِبْتَ بِإِحْسَانِكَ شُكْرًا ،
وَأَقَمْتَ بِإِجَامِكَ عُذْرًا اجْتَذَبَتْ بِهِمَا قِيَادَ مُنَافِسِكَ
إِلَى طَاعَتِكَ ، وَصَرَفْتَهُ بِهِمَا عَنِ التَّعَرُّضِ لِمُنَافَسَتِكَ ،
فَسَيَجْعَلُكَ قِبْلَةً رَجَائِهِ ، إِذْ لَمْ يَحْظَ بِخَيْرٍ إِلَّا مِنْكَ ،

وَلَمْ يَقْضِ مِنْ زَمَانِهِ وَطَرًا^(١) إِلَّا بِكَ . وَقَدْ قِيلَ
 فِي مَنْشُورِ الْحَكَمِ : مَنْ اسْتَصْلَحَ الْأَضْدَادَ بَلَغَ الْمُرَادَ .
 وَقَدْ قِيلَ فِي مَنْشُورِ الْحَكَمِ : قِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ
 مَا التَّيْبُلُ ؟ قَالَ مُوْأَخَاةُ الْأَكْفَاءِ ، وَمُذَاهَنَةُ^(٢) الْأَعْدَاءِ
 وَرُبَّمَا تَعَرَّضَ لِعِدَاوَتِكَ مَنْ قَصَرَ عَنْ رُتْبَةٍ مُنَافَسَتِكَ ،
 فَأَعْطَاهُ مِنْ رَجَائِهِ طَرَفًا ، وَاقْبَضَ مِنْ زِمَامِهِ طَرَفًا ،
 وَاخْتَبَرَهُمَا فِيهِ فَسَتَقِفُ بِهِ الْغَايَةَ عَلَى صَلَاحٍ أَوْ فَسَادٍ ،
 فَإِنْ صَلَحَ سُوعِدَ ، وَإِنْ فَسَدَ تُوُعِدَ وَقَدْ قَالَ
 اَزْدَشِيرُ بْنُ بَابِكَ : اخْذَرُوا صَوْلَةَ الْكَرِيمِ إِذَا
 جَاعَ ؛ وَاللَّيْمِ إِذَا شَبِعَ ، وَقَدْ قِيلَ فِي مَنْشُورِ الْحَكَمِ :
 عِلَّةُ الْمُعَادَاةِ ، قِلَّةُ الْمُبَالَاةِ .

(١) مَأْرَبًا (٢) مَصَانَعَةُ الْأَعْدَاءِ

وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
لِابْنِهِ : لَا تَسْتَكْثِرُ أَنْ يَكُونَ لَكَ أَلْفُ صَدِيقٍ
فَأَلْفُ قَلِيلٍ ، وَلَا تَسْتَقِيلَ أَنْ يَكُونَ لَكَ عَدُوٌّ
وَاحِدٌ ، فَالْوَاحِدُ كَثِيرٌ . وَالسَّلَامَةُ مِنَ الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ
مِنْ كَذِبِ الْأَمَانِي ، فَأَقْلِلْ وَلَا تَسْتَكْثِرْ ؛ فَقَدْ
رَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :
« لَوْ لَمْ يُصَبِّ ابْنُ آدَمَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا الْأَمْنُ
وَالسَّلَامَةُ لَكَفَى بِهِمَا دَاءٌ قَاتِلًا » . وَقِيلَ فِي
مَشْهُورِ الْحِكْمِ : النَّاسُ عَوْنٌ عَلَى الصَّبْرِ . وَقَالَ
إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهْدِي :

وَاللِّثْفُوسِ وَإِنْ كَانَتْ عَلَى وَجَلٍ

مِنَ الْمَنِيَّةِ آمَالٌ تُقْوِيهَا

فَالْمَرْءُ يَنْسُطُهَا وَالذَّهْرُ يَقْبِضُهَا
وَالنَّفْسُ تَنْشُرُهَا وَالْمَوْتُ يَطْوِيهَا
وَالْقِسْمُ الرَّابِعُ فِي الدِّفَاعِ عَنِ الرَّعِيَّةِ مِنْ
خَوْفٍ وَاخْتِلَالٍ مِنْ نَتَائِجِ الْإِهْمَالِ ، وَكِلَاهُمَا
مِنْ سُوءِ السَّيَرَةِ وَفَسَادِ السِّيَاسَةِ ، لِتَرَدُّدِهَا بَيْنَ
تَقْرِيطٍ^(١) وَإِفْرَاطٍ^(٢) ، وَخُرُوجِهَا عَنِ الْعَدْلِ إِلَى
تَقْصِيرٍ أَوْ إِسْرَافٍ ؛ وَهُمْ قَوَامُ الْمَلِكِ الْمُسْتَعِدِّ ،
وَذَخِيرَةُ الْمُسْتَعِدِّ ، إِنْ أَهْمَلُوا فَسَدُوا وَأَفْسَدُوا . وَإِنْ
حَيفَ عَلَيْهِمْ هَلَكُوا وَأَهْلَكُوا ، فَلَنْ يَسْتَقِيمَ مُلْكُ
فَسَدَتْ فِيهِ أَحْوَالُ الرِّعَايَا ، لِأَنَّهُ مِنْهُمْ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ
مِنَ الْجَسَدِ ، لَا يُنْهَضُ إِلَّا بِقُوَّتِهِ ، وَلَا يُسْتَقَلُّ إِلَّا

بِعَمَلِهِ ، وَعَلَيْكَ لَهُمْ ثَلَاثَةُ حُقُوقٍ : أَحَدُهَا أَنْ
تُعِينَهُمْ عَلَى صَلَاحِ مَعَاشِهِمْ ، وَوُفُورِ مَكَاسِبِهِمْ ،
لِتَتَوَفَّرَ بِهِمْ مَوَادُّكَ وَتَعْمُرَ بِهِمْ بِلَادُكَ . وَقَدْ رَوَى
عَطَاءٌ عَنْ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :
« خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ » وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ : إِنَّ
أَحْسَنَ النَّاسِ عَيْشًا مَنْ حَسُنَ عَيْشُ النَّاسِ فِي عَيْشِهِ :
وَالثَّانِي أَنْ تَقْتَصِرَ مِنْهُمْ عَلَى حُقُوقِكَ ، وَتَحْمِلَهُمْ فِيهَا
عَلَى إِنْصَافِكَ ، لِيَكُونُوا عَلَى الْإِسْتِكْثَارِ أَحْرَصَ ، وَفِي
الطَّاعَةِ أَخْلَصَ ، وَقَدْ قِيلَ : مَنْ خَافَ إِسَاءَتَكَ اعْتَقَدَ
مَسَاءَتَكَ ^(١) . وَلَا تِكَلِّمْهُمْ فِي مَقَادِيرِ الْحُقُوقِ إِلَى غَيْرِكَ ،
فَيَكُونُوا لَهُ أَرْجَى ، وَعَلَيْهِ أَخْنَى ^(٢) . فَقَدْ قِيلَ فِي سَالِفِ

(١) التقيح من القول والعمل (٢) أشفق

الْحَكَمَ : إِنَّمَا يَسْتَخْرِجُ مَا عِنْدَ الرَّعِيَّةِ وَوَلَاتَهَا ، وَمَا
عِنْدَ الْجُنْدِ قَادَتَهَا ، وَمَا فِي الدِّينِ وَالتَّأْوِيلِ عُلَمَاؤُهُ :
وَالثَّالِثُ أَنْ تَحُوطَهُمْ بِكَفِّ الْأَذَى وَمَنْعِ الْأَيْدِي
الْعَالِيَةِ مِنْهُمْ ، لِتَكُونَ لَهُمْ كَالْأَبِ الرَّؤُوفِ ، وَيَكُونُوا
لَكَ كَالْأَوْلَادِ الْبَرَّةِ : فَإِنَّكَ كَافِلٌ ^(١) مُسْتَرَعَى ^(٢) ،
وَمَسْئُولٌ مُوَاخِذٌ ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : « كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ »
فَلِلَّهِ عَلَيْكَ فِيهِمْ حَقٌّ ، وَلِلسُّلْطَانِ عَلَيْكَ فِيهِمْ
تَبَعَةٌ ، فَأَعْتَمِ بِهِمْ شُكْرَ إِحْسَانِكَ ، وَجَمَّلْ بِهِمْ
آثَارَ سُلْطَانِكَ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا ظِلُّ النِّعَامِ وَحِلْمُ النَّيَامِ .
وَقَدْ قِيلَ : مِنَ الدُّنْيَا عَلَى الدُّنْيَا دَلِيلٌ . وَرَوَى عَنْ

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « كُنْ فِي الدُّنْيَا
كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ » . وَقِيلَ فِي مَنْشُورِ
الْحُكْمِ : عَوْدُ الْحَيَاةِ فِي كُلِّ يَوْمٍ يُعْتَصَرُ ، وَقَالَ
بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : كُلُّ يَوْمٍ يَسُوقُ إِلَى غَدِهِ ،
وَكُلُّ أَمْرٍ مَأْخُودٌ بِجِنَايَةِ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، فَانْتَمِ
غَفْلَةُ الزَّمَانِ ، وَانْتَهَزْ فُرْصَةَ الْإِمْكَانِ ، وَخُذْ مِنْ
نَفْسِكَ لِنَفْسِكَ ، وَتَزَوَّدْ مِنْ يَوْمِكَ لِغَدِكَ .
وَكَتَبَ حَكِيمُ الرُّومِ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِ : لَا تَكَلَبْ ^(١)
عَلَى الدُّنْيَا فَإِنَّكَ قَلِيلُ الْبَقَاءِ فِيهَا . وَمِنْ أَحْكَمِ
مَا قِيلَ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ الشَّاعِرِ :

هُمُومُكَ بِالْعَيْشِ مَقْرُونَةٌ

فَمَا تَقْطَعُ الْعَيْشَ إِلَّا بِهِمْ

(١) لا يشتد حرصك عليها

وَحُلُوتُهُ دُنْيَاكَ مَسْمُومَةٌ

فَمَا تَأْكُلُ الشَّهْدَ إِلَّا بِسْمِ

إِذَا تَمَّ أَمْرُهُ بَدَأَ تَقْصُّهُ

تَوَقَّعْ زَوَالًا إِذَا قِيلَ تَمَّ

وَلَمَّا تَابَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا

الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَرُدَّ عَلَيْهِ مُلْكُهُ ، كَتَبَ عَلَى

كُرْسِيِّهِ : إِذَا صَحَّتِ الْعَافِيَةُ نَزَلَ الْبَلَاءُ ، وَإِذَا تَمَّتِ

السَّلَامَةُ نَجَّمَ الْعَطَبُ ، وَإِذَا تَمَّ الْأَمْنُ عَلَا الْخَوْفُ .

فَإِنَّمَا الْفَصْلُ الثَّالِثُ وَهُوَ الْإِقْدَامُ . فَهُوَ فِي

السِّيَاسَةِ أَوْ فِي شَرْطِهَا ، وَفِي الْوَزَارَةِ أَكْفَى نَظَرِيهَا

بِظَفَرِ الْإِقْدَامِ وَخَيْبَةِ الْإِحْجَامِ . وَقَدْ قِيلَ فِي

مَشْهُورِ الْحُكْمِ : بِالْإِقْدَامِ تَرْتَفِعُ الْأَقْدَامُ ؛ وَإِنَّمَا

إِقْدَامُ
الْوَزِيرِ
وَأَقْسَامُهُ

يَجِبُ الْإِقْدَامُ إِذَا ظَهَرَتْ أَسْبَابُهُ مِنْ فُرْصَةٍ تَنْتَهِزُهَا
أَوْ قُوَّةٍ تَجِدُهَا ، وَقَصَدْتَ أَبْوَابَهُ فِي إِبَانِهِ وَعِنْدَ
إِمْكَانِهِ . كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا مَا أَتَيْتَ الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ بَابِهِ
ضَلَلْتَ وَإِنْ تَقَصِدَ إِلَى الْبَابِ تَهْتَدُ

ثُمَّ تَجْمَعُ بَيْنَهُمَا ، بَيْنَ حَزْمِكَ وَعَزْمِكَ ، فَالْحَزْمُ
تَدْبِيرُ الْأُمُورِ بِمُوجِبِ الرَّأْيِ ؛ وَالْعَزْمُ تَنْفِيذُهَا
لِلْوَقْتِ الْمُقَدَّرِ لَهَا ؛ فَإِذَا تَكَامَلَتْ شُرُوطُ الْإِقْدَامِ
مِنْ هَذِهِ الْوُجُوهِ الْأَرْبَعَةِ ، لَمْ يَمْنَعْ مِنَ الظَّفَرِ إِلَّا
عَوَائِقُ الْقَدَرِ . وَقَدْ قِيلَ فِي قَدِيمِ الْحُكْمِ : إِذَا طَلَبَ
إِثْنَانِ حَظًّا ^(١) ، ظَفَرَ بِهِ أَفْضَلُهُمَا دِينًا ، فَإِنْ اسْتَوَيَا فِي

الدين، ظَفِرَ بِهِ أَفْضَلُهُمَا مُرُوءَةً، فَإِنْ اسْتَوَيَا فِي الْمُرُوءَةِ،
 ظَفِرَ بِهِ أَكْثَرُهُمَا أَعْوَانًا، فَإِنْ اسْتَوَيَا فِي الْأَعْوَانِ،
 ظَفِرَ بِهِ أَسْعَدُهُمَا جَدًّا^(١)، فَإِنْ انْتَلَمَ^(٢) مِنْ شُرُوطِ
 الْأَقْدَامِ أَحَدُهَا، صَارَ الْأَقْدَامُ تَغَرِيرًا يَمْنَعُ مِنْ حَزْمِ
 ذِي اللَّبِّ، وَيَصُدُّ عَنِ الظَّفَرِ مَا لَمْ يَغْلِبْ قَدْرُ. فَمَا
 الْأَقْدَارُ بِقِيَّاسٍ مُعْتَبَرٍ. وَقَدْ قَالَ حَكِيمُ الْهِنْدِ:
 السَّبَبُ الَّذِي يُدْرِكُ بِهِ الْعَاجِزُ حَاجَتَهُ، هُوَ الَّذِي
 يَحُولُ بَيْنَ الْحَازِمِ وَطَلِبَتِهِ^(٣)، وَقِيلَ «لَبَزَ جَمَهْرٌ»
 مَا أَعْجَبُ الْأَشْيَاءُ؟ قَالَ: نُجْحُ الْجَاهِلِ، وَإِكْدَاءُ^(٤)
 الْعَاقِلِ. وَدَخَلَ رَجُلٌ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ فَقَالَ لَهُ:

(١) الجَدُّ هُوَ الْحَفْظُ (٢) فَقَدَ (٣) حَاجَتُهُ — مَأْرِبُهُ (٤) اخْفَقَ

الْعَاقِلُ وَأَكْدَى الشَّاعِرُ إِذَا عَمِيَ عَنِ الشَّعْرِ

أَيُّهَا الْأَمِيرُ مَا الَّذِي لَا يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى عَزْمٍ وَلَا حَزْمٍ؟
 فَاسْتَمَهَلَهُ فِي جَوَابِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ . فَعَادَ إِلَيْهِ بَعْدَهَا
 وَسَأَلَهُ . فَقَالَ لَهُ : الدَّوْلَةُ . فَقَالَ : صَدَقْتَ وَمَا أَخْرَجَ
 هَذِهِ الْكَلِمَةَ مِنْكَ إِلَّا الدَّوْلَةُ ، وَلِذَلِكَ قِيلَ فِي مَشْهُورِ
 الْحِكْمِ : الْحِظُّ يَأْتِي مَنْ لَا يَأْتِيهِ .

وَالْإِقْدَامُ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ : أَحَدُهُمَا الْإِقْدَامُ عَلَى
 اجْتِلَابِ الْمَنَافِعِ . وَالثَّانِي الْإِقْدَامُ عَلَى دَفْعِ الْمَضَارِّ .
 فَأَمَّا الْإِقْدَامُ عَلَى اجْتِلَابِ الْمَنَافِعِ ، فَضَرْبَانِ .
 أَحَدُهُمَا اسْتِضَافَةٌ ^(١) مُلْكٍ . وَالثَّانِي اسْتِزَادَةُ مَوَادٍّ ،
 فَأَمَّا اسْتِضَافَةُ الْمُلْكِ ، فَتَكُونُ بِالْحَزْمِ وَالْعَزْمِ .
 إِذَا اقْتَرْنَا بَرَغْبَةً وَرَهْبَةً ، وَلَآنَ تَكُونُ بِالْإِغْتِيَالِ

وَالْإِخْتِيَالِ ، أَوْلَى مِنْ أَنْ تَكُونَ بِالْقِتَالِ ، وَلِذَلِكَ
 قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْحَرْبُ خُدْعَةٌ »
 وَقِيلَ فِي أَمْثَالِ الْحَكَمِ : أَرْبَعَةٌ لَا يَرْكَبُهَا إِلَّا
 أَهْوَجُ^(١) ، وَلَا يَسْلَمُ مِنْهَا إِلَّا الْقَلِيلُ . مُنَاجَزَةُ
 الْحَرْبِ ، وَرُكُوبُ الْبَحْرِ ، وَشُرْبُ السُّمِّ لِلتَّجَرِبَةِ ،
 وَائْتِمَانُ النِّسَاءِ عَلَى السَّرِّ . وَأَمَّا اسْتِرَادَةُ الْمَوَادِّ
 فَيَكُونُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ، إِذَا اقْتَرَنَا بِرَفِيقٍ
 وَمِيَّاسَرَةٍ ، لَتَكْثُرَ بِهِمَا الْعِمَارَةُ ، وَتَتَوَفَّرَ بِهِمَا
 الزَّرَاعَةُ ، فَإِنَّ الْأَرْضَ كُنُوزُ الْمَلِكِ ، يَسْتَخْرِجُهَا
 أَغْوَانٌ مُتَطَوِّعُونَ ، يُقْنِعُهُمُ الْكَفُّ عَنْهُمْ ، وَيَقْطَعُهُمُ
 الْعَسْفُ بِهِمْ ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« التَّمِسُوا الرِّزْقَ فِي خَبَايَا الْأَرْضِ » . يَعْنِي الزَّرْعَ
وَلَا أَنْ تَسْتَمِدَّ فَرْعًا دَارًا يَعْثُ خَيْرُهُ ؛ أَوَّلَى مِنْ أَنْ
تَجْتَثَّ أَصْلًا مُنْقَطِعًا يَعْثُ ضَرَرُهُ ، فَلَا نَفَادَ لِدَارٍ ^(١) ،
وَلَا لُبُّثَ لِمُنْقَطِعٍ ، وَمَا يُفْسِدُهُ إِلَّا الْمُبَادَرَةُ قَبْلَ
أَوَانِهِ ، وَالْعَجَلَةُ قَبْلَ زَمَانِهِ ، وَقَدْ قِيلَ فِي أَمْثَالِ
الْحَكَمِ : الْحُظُوظُ مَرَاتِبُ ، فَلَا تَعْجَلْ عَلَى ثَمَرَةٍ
لَمْ تُدْرِكْ ، فَإِنَّكَ تَنَاهَا فِي أَوَانِهَا عَذْبَةً ، وَالْمُدَبِّرُ
لَكَ أَعْلَمُ بِالْوَقْتِ الَّذِي تَصْلُحُ فِيهِ ، فَثِقْ بِخَيْرَتِهِ
لَكَ ، وَلَا تَحْمِلْ حَوَائِجَ عُمْرِكَ كُلِّهِ ، عَلَى يَوْمِكَ
الَّذِي أَنْتَ فِيهِ ؛ فَيَضِيقَ عَلَيْكَ ، وَيَشْغَلَكَ الْقُنُوطُ
عَنْ تَذْيِيرِكَ ، فَلْيَحْذَرِ الْعَجَلَةَ ، فَيَرَاهُ النَّاسُ مُسِيئًا ،

(١) الذي يجود ويدر

وَقَدْ قِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : مَنْ شَرُّ النَّاسِ ؟ فَقَالَ :
مَنْ لَا يُبَالِي أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ مُسِيئًا .

وَأَمَّا الْإِقْدَامُ عَلَى دَفْعِ الْمَضَارِّ ، فَضَرْبَانِ : دَفْعُ
مَا اخْتَلَّ مِنَ الْمُلْكِ ، وَلَهُ سَبَبَانِ : نُفُورُ وَجُورٍ ، فَادْفَعُ
ضَرَرَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِالضِّدِّ مِنْ سَبَبِهِ ، فَإِنَّ عِلَاجَ
كُلِّ دَاءٍ بِضِدِّهِ مِنَ الدَّوَاءِ . فَإِنْ كَانَ اخْتِلَالُ الْمُلْكِ
مِنَ الْإِهْمَالِ ، أُيْقِظَتْ لَهُ عَزْمُكَ ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنَ
الْعَجْزِ ، اسْتَعْمَلْتَ فِيهِ حَزْمَكَ ، وَإِنْ كَانَ نَقْصُ
الْمَوَادِّ مِنَ النُّفُورِ ، اسْتَحْدَثْتَ فِيهِ رَهْبَتَكَ ، وَإِنْ كَانَ
مِنَ الْجُورِ ، أَظْهَرْتَ فِيهِ مَعْدَلَتَكَ ^(١) . فَإِنْ كَانَ
حُدُوثُ ذَلِكَ فِي الْمُلْكِ صَادِرًا عَنْكَ ، كُنْتَ مُوَآخِذًا

بِتَفْرِيطِكَ فِي الْإِبْتِدَاءِ ، وَمُسْتَدْرِكًا لِتَقْصِيرِكَ فِي
 الْإِنْتِهَاءِ ، فَجَبَرْتَ إِسَاءَتَكَ بِإِحْسَانِكَ ، وَمَحَوْتَ
 قَبِيحَكَ بِجَمِيلِكَ ، وَإِنْ كَانَ حُدُوثُهُ مِنْ غَيْرِكَ ،
 كَانَتْ جَرِيرَةٌ ^(١) الْإِسَاءَةِ عَلَيْهِ ، وَكَانَ حَمْدُ الْإِحْسَانِ
 لَكَ ، وَبَانَ بِكَ سُوءُ أَثَرِهِ ، وَبَانَ بِهِ جَمِيلُ أَثَرِكَ .
 وَقَدْ رَوَى عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنِ
 النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « الْخَيْرُ كَثِيرٌ ،
 وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ » فَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : خَيْرٌ مِنَ الْخَيْرِ
 فَاعِلُهُ ، وَشَرٌّ مِنَ الشَّرِّ فَاعِلُهُ .

وَأَمَّا الْفَصْلُ الرَّابِعُ : ^{*}^{*} وَهُوَ الْحَذَرُ ، فَإِنَّ الدَّهْرَ ^{الحذر}
 وَأَنْوَاعَهُ ^{وأنواعه} ثَارَتْ بِطَوَارِقِهِ ^(٢) ، وَمُنَافِرِهِ ^(٣) بِنَوَائِبِهِ ، يَغْدُرُ إِنْ

(١) جناية (٢) أحداته ونوبه (٣) بجانب نفور

وَفِي ، وَيَقْتُلُ إِنْ هَفَا . وَلِذَلِكَ قِيلَ فِي مَنْشُورِ
 الْحَكَمِ : الدُّنْيَا مُرْتَجَعَةٌ^(١) الْهَبَةِ ، وَالذَّهْرُ حَسُودٌ
 لَا يَأْتِي عَلَى شَيْءٍ إِلَّا غَيْرَهُ . وَقَالَ عَبْدُ الْحَمِيدِ :
 أَصَابَ الدُّنْيَا مَنْ حَذَرَهَا ، وَأَصَابَتْ الدُّنْيَا مَنْ أَمِنَهَا .
 وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ : احْذَرُوا الْجَدِيدِينَ ،
 فَلِلْأَقْدَارِ أَوْقَاتٌ تُغْضِي عَنْهَا الْأَبْصَارُ ، فَإِذَا صَادَقَتْ
 طَوَارِقُهُ غَرًّا مُسْتَرْسِلًا ، صَارَ هَدَفًا لِسِهَامِهَا الصَّوَائِبِ ،
 وَغَرَضًا لِمُنَافَرَةِ الْحَوَادِثِ وَالنَّوَائِبِ . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ
 الْحُكَمَاءِ : مَنْ أَعْرَضَ عَنِ الْحَذَرِ وَالِاخْتِرَاسِ ،
 وَبَنَى أَمْرَهُ عَلَى غَيْرِ أُسَاسٍ ، زَالَ عَنْهُ الْعِزُّ ، وَاسْتَوَلَى
 عَلَيْهِ الْعَجْزُ ، وَإِنْ قَدَّمَ لَطَوَارِقِهِ حَذَرَ الْمُتَيَقِّظِ ،

(١) الهبة المستردة بعد صيرورتها في قبضة الموهوب له

وَتَلَقَّاهَا بَعْدَ الْمُتَحَفِّظِ ، رَدَّ بِإِدْرَتِهَا بِعَزْمِ ذِي
حَزْمٍ ، قَدْ حَلَبَ أَشْطَرَ دَهْرِهِ ، وَقَامَ بِوَاصِحِ عُذْرِهِ .
وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

إِنَّ لِلدَّهْرِ صَوْلَةً فَاحْذَرْنَهَا

لَا تَبَيَّتَ قَدْ أَمِنْتَ ^(١) الدُّهُورَا

ثُمَّ هُوَ بَعْدَ حَذَرِهِ مُسْتَسْلِمٌ لِقَضَاءِ لَا يُرَدُّ ، وَقَدَرٍ
لَا يُصَدُّ . وَقَدْ رَوَى أَبُو الدَّرْدَاءِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « احْذَرُوا الدُّنْيَا فَإِنَّهَا أَسْحَرُ
مِنْ هَارُوتَ وَمَارُوتَ » . وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ :
مَنْ السَّعِيدُ ؟ ، قَالَ : مَنْ اعْتَبَرَ بِأَمْسِهِ ، وَاسْتَظْهَرَ
لِنَفْسِهِ . وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

(١) جملة قد أمنت الدهورا حال من الضمير في تبيت

وَحَذَرْتُ مِنْ أَمْرِ فَرَّ بِجَانِبِي

لَمْ يَبْكِنِي وَلَقِيتُ مَا لَمْ أَحْذَرْ

وَلِلْحَذَرِ حَدٌّ يَقِفُ عِنْدَهُ ، إِنَّ زَادَ عَلَيْهِ صَارَ

خَوْرًا^(١) ، كَمَا أَنَّ لِلْإِقْدَامِ حَدًّا ، إِنَّ زَادَ عَلَيْهِ صَارَ

تَهْوُرًا ، وَالزِّيَادَةُ عَلَى الْحُدُودِ نَقْصٌ فِي الْمَحْدُودِ ،

وَلَهُمَا زَمَانٌ ، إِنَّ خَرَجَا عَنْهُ صَارَ الْحَذَرُ فَشَلًّا ؛ وَالْإِقْدَامُ

خُرْقًا ، وَعَارُهُمَا مُعْتَبَرٌ بِحَزْمِ الْعَاقِلِ ، وَيَقْظَةُ الْفَطِنِ .

وَقَدْ قِيلَ فِي مَشُورِ الْحُكْمِ : أَيْدِي الْعُقُولِ تُمْسِكُ

أَعْنَةَ الْأَنْفُسِ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : لِيَعْرِفَكَ

السُّلْطَانُ عِنْدَ افْتِتَاحِ التَّدْيِيرِ بِالْحَذَرِ ، وَعِنْدَ وُقُوعِ

الْأَمْرِ بِالْجِدِّ . وَالْحَذَرُ يُلْزَمُ مِنْ أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ :

(١) ضعفاً وجبناً

أَحَدَهَا الْحَذَرُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِيمَا فَرَضَ ، وَالثَّانِي
الْحَذَرُ مِنَ السُّلْطَانِ فِيمَا فَوَّضَ ، وَالثَّالِثُ الْحَذَرُ مِنَ
الزَّمَانِ فِيمَا اغْتَرَضَ ، وَالرَّابِعُ الْحَذَرُ مِنْ غَلْبَةِ
الْأَعْدَاءِ وَمَكْرِ الدُّهَاءِ^(١) .

فَأَمَّا الْحَذَرُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، فَهُوَ عِمَادُ الدِّينِ ،
الْبَائِثُ عَلَى الطَّاعَةِ . وَالْحَذَرُ مِنْهُ ، هُوَ الْوُقُوفُ
عَلَى أَوْامِرِهِ ، وَالْإِنْتِهَاءُ مِنْ زَوَاجِرِهِ ، فَيَعْمَلُ بِطَاعَتِهِ
فِيمَا أَمَرَ ، وَيَنْتَهِي عَنْ مَعْصِيَتِهِ فِيمَا حَظَرَ ، فَلَنْ
تَرَى قَلِيلَ الْحَذَرِ إِلَّا مُتَجَوِّزًا فِي دِينِهِ ، طَاحِمًا فِي
غُلُوبَائِهِ^(٢) ، لَا يَرَى رُشْدًا فِي الْعَاجِلِ ، وَهُوَ عَلَى
وَعِيدٍ فِي الْآجِلِ ، مَعَ تَفُورِ النَّفْسِ مِنْهُ ، وَسِرَايَةِ

(١) جمع داهية وهو الرجل الماكر كثير الدهاء (٢) مغالاته

الذَّمَّ فِيهِ . وَقَدْ قِيلَ فِي بَعْضِ الصُّحُفِ الْأُولَى :
 الْعِزَّةُ وَالْقُوَّةُ يُعْظَمَانِ الْقَلْبَ ، وَأَفْضَلُ مِنْهُمَا خَوْفُ
 اللَّهِ تَعَالَى ، لِأَنَّ مَنْ لَمْ تَرُدَّعْهُ خَشْيَةُ اللَّهِ ، لَمْ يَخَفِ
 الْوَضِيعَةَ ، وَلَمْ يَحْتَجْ إِلَى نَاصِرٍ . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَنْ حَاوَلَ أَمْرًا بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ كَانَ
 أَبْعَدَ لِمَا رَجَا ، وَأَقْرَبَ لِمَجِيءِ مَا اتَّقَى . وَقَالَ بَعْضُ
 الْحُكَمَاءِ : خَيْرُ الْأَخْلَاقِ أَعْوَنُهَا عَلَى الْوَرَعِ . وَقَالَ
 بَعْضُ السَّلَفِ : إِنَّمَا لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَصْلَحْتَ بِهِ
 مَشْوَكَ . وَقَالَ الْبُخْتَرِيُّ :

يَا جَامِعًا مَا نِعَاً وَالْدَّهْرُ يَرْمُقُهُ

مَفَكَّرًا أَيْ بَابٍ فِيهِ يَطْرُقُهُ

جَمَعْتَ مَا لَا فَكْرَ هَلْ جَمَعْتَ لَهُ

يَا جَامِعَ الْمَالِ أَيَّامًا تُفَرِّقُهُ

وَأَمَّا الْحَذَرُ مِنَ السُّلْطَانِ ، فَهُوَ وَثَابٌ بِقُدْرَتِهِ ،
مُتَحَكِّمٌ بِسَطَوَاتِهِ ، يَمِيلُ بِهِ الْهَوَى فَيَقْطَعُ بِالظَّنِّ
وَيُؤَاخِذُ بِالْإِرْتِيَابِ ، فَالثَّقَةُ بِهِ عَجْزٌ ، وَالِاسْتِرْسَالُ^(١)
مَعَهُ خَطَرٌ . وَقَدْ قِيلَ : ثَلَاثَةٌ لَا أَمَانَ لَهُمْ ؛
السُّلْطَانُ وَالْبَحْرُ وَالزَّمَانُ . وَقِيلَ : إِذَا تَغَيَّرَ السُّلْطَانُ
تَغَيَّرَ الزَّمَانُ ، وَالْحَذَرُ مِنْهُ فِي حَالَتِي السُّخْطِ وَالرِّضَا
أَسْلَمَ ، لِأَنَّهُ يَسْتَدْنِبُ إِذَا مَلَ حَتَّى يَصِيرَ الْمُحْسِنُ

(١) اطلاق العنان للنفس في معاشرته أو مكلته وما أحسن ما قيل :

ومعاشر السلطان شبه سفينة في البحر ترجف دائماً من خوفه
لأن أدخلت من مائه في جوفها أدخلها وماءها في جوفه

عِنْدَهُ كَالْمُسِيءِ ، فَاسْتَخْلَصَ رَأْيَهُ بِالنُّصْحِ وَاسْتَدْفَعَ^(١)
 تَنْكِرُهُ^(٢) بِالْحَذَرِ . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ :
 اصْحَبِ السُّلْطَانَ بِثَلَاثٍ ؛ الْحَذَرِ ، وَرَفْضِ الدَّوْلَةِ ،
 وَالِاجْتِهَادِ فِي النُّصْحِ ، وَحَذَرِكَ مِنْهُ يَكُونُ ثَلَاثَةُ أُمُورٍ :
 أَحَدُهَا : أَلَّا تُعَوَّلَ عَلَى الثِّقَةِ فِي إِذْلَالِ وَاسْتِرْسَالِ ،
 فَمَا جَرَّتِ الثِّقَةُ إِلَّا نَدَمًا كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

مَا زِلْتُ أَسْمَعُ كَمٍ مِنْ وَائِقٍ خَجَلٍ
 حَتَّى ابْتُلَيْتُ فَصِرْتُ الْوَائِقَ الْخَجَلَا
 وَقَدْ قِيلَ : الْخُرْقُ . الدَّلَالَةُ^(٣) عَلَى السُّلْطَانِ ، وَالْوَيْبَةُ
 قَبْلَ الْإِمْكَانِ . فَاقْبِضْ نَفْسَكَ إِذَا قَدَّمَكَ ، وَتَوَاضَعْ
 لَهُ إِذَا عَظَّمَكَ ، وَاحْتَشِمْهُ إِذَا آتَسَكَ ، وَلِنْ لَهُ إِذَا

(١) اِدْفَع (٢) تَغْيِرْهُ عَلَيْكَ (٣) الْاجْتِرَاءُ فِي ثِقَةٍ

خَاشَنَكَ ، وَاصْبِرْ عَلَى تَجَنُّيهِ إِذَا غَالَظَكَ . فَهُوَ عَلَى
التَّجَنُّيِ ^(١) أَقْدَرُ ، فَكُنْ عَلَى احْتِمَالِهِ أَصْبَرَ ، فَرُبَّمَا
كَانَتْ مُجَامَلَتُهُ لَكَ مَكْرًا ، وَتَجَنُّيهِ عَلَيْكَ عُذْرًا ، فَقَدْ
قِيلَ فِي بَعْضِ الصُّحُفِ الْأُولَى : حُبُّ الْمَلِكِ وَهَوَاهُ ،
يُشْبِهُ الطَّلَّ الَّذِي يَنْزِلُ عَلَى الْعُشْبِ . وَقَدْ قَالَتْ
حُكَمَاءُ الْهِنْدِ : مَثَلُ السُّلْطَانِ فِي قِلَّةِ وَفَائِهِ لِلْأَصْحَابِ ،
وَسَخَاءِ نَفْسِهِ عَنْهُمْ مَثَلُ الْبَغِيِّ ^(٢) ، وَالْمُكْتَبِ ^(٣) ،
كُلَّمَا ذَهَبَ وَاحِدٌ جَاءَ آخَرُ . وَالْعَرَبُ تَقُولُ :
السُّلْطَانُ ذُو عُذْوَانٍ وَبُدْوَانٍ ، فَلَا تَجْعَلْ لَهُ فِي إِظْهَارِ
تَنَكُّرِهِ عَلَيْكَ عُذْرًا . فَرُبَّمَا اعْتَرَفَ بِالْحَقِّ فَوْفَى ،

(١) ادعاء ذنب لم يفعله المدعى عليه (٢) المومس — المرأة الساقطة

(٣) معلم الكتاب

وَرَقَّ بِالصَّبْرِ فَكَفَّ ، وَلِذَلِكَ قِيلَ فِي أَمْثَالِ
 كَلِيلَةِ وَدِمْنَةَ : صَاحِبُ السُّلْطَانِ كَرَائِبِ الْأَسَدِ
 يَخَافُهُ النَّاسُ ؛ وَهُوَ لِمَرِّ كُوبِهِ أَشَدُّ خَوْفًا . وَقَدْ
 رَوَى مُصْعَبُ بْنُ مَنْصُورٍ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ عَنْ
 النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « السَّعِيدُ مَنْ
 وُعِظَ بِغَيْرِهِ » . وَقَالَ شَاعِرُهُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ :
 وَلَا تَأْمَنِ الدَّهْرَ الْفُتُونُ فَإِنِّي

بِرَأْيِ الَّذِي لَا يَأْمَنُ الدَّهْرَ مُقْتَدِي
 وَالثَّانِي : فِي حِذْرِكَ مِنْهُ ؛ أَنْ تُسَاعِدَهُ عَلَى
 مَطَالِبِهِ ، وَتُؤَافِقَهُ عَلَى مُحَابَاهِهِ وَمَشَارِبِهِ ، وَلَا تُصَدِّهِ
 عَنْ غَرَضٍ ، إِذَا لَمْ يَقْدَحْ^(١) فِي دِينٍ وَلَا عِرْضٍ ،

وَلَا تَتَوَقَّفُ عَنْ إِجَابَتِهِ ، وَإِنْ شَغَلَكَ مَا هُوَ أَهَمُّ ،
فَمَا يُقِيمُ لَكَ عُذْرًا إِذَا وَجَدَكَ فِي أَغْرَاضِهِ مُقَصِّرًا ،
وَإِنْ كُنْتَ عَلَى مَصَالِحِ مُلْكِهِ مُتَوَفِّرًا ؛ فَإِنَّهُ
اتَّخَذَكَ لِنَفْسِهِ ثُمَّ لِمُلْكِهِ ؛ وَقَدْ يُقَدِّمُ حَظَّ نَفْسِهِ
عَلَى مَصْلَحَةِ مُلْكِهِ ؛ لِغَلَبَةِ الْهَوَى ؛ وَنَازِعٍ ^(١)
الشَّهْوَةِ ، وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« حُبُّكَ الشَّيْءِ يُعْمِي وَيُصِمُّ » أَيْ يُعْمِي عَنِ الرَّشْدِ
وَيُصِمُّ عَنِ الْمَوْعِظَةِ . فَكُنْ مُتَوَفِّرًا عَلَى مُرَادِهِ ؛
لَيْسَلَمْ اعْتِقَادُهُ لَكَ ، فَإِنْ قَدَحْتَ أَغْرَاضَهُ فِي دِينٍ
أَوْ عَرَضٍ ، سَلَّمْتَ ^(٢) نَفْسَكَ مِنْ وَزْرِهَا ، وَتَحَفَّظْتَ
مِنْ شَيْنِهَا ، بِالتَّلَطُّفِ فِي عِفَّةٍ عَنْهَا بِمَا يَعْتَاضُهُ بَدَلًا

(١) وازع (٢) سالت : وخلصت

مِنْهَا . لَيْسَ سَهْلَ عَلَيْهِ إِقْلَاعُهُ عَنْهَا ؛ فَإِنْ سَاعَدَكَ
 عَلَيْهِ ، سَلِمَ دِينُكَ ؛ وَزَالَ شَيْنُكَ . وَقَدْ رَوَى
 أَبُو حَازِمٍ : عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « لِلَّهِ خَزَائِنُ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ
 مَفَاتِيحُهَا الرَّجَالُ ؛ فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَهُ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ
 مِغْلَاقًا لِلشَّرِّ وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَهُ مِفْتَاحًا لِلشَّرِّ مِغْلَاقًا
 لِلْخَيْرِ » . وَقَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ :

سَتَلْقَى الَّذِي قَدِمْتَ لِلْخَيْرِ مُحْضَرًا

وَأَنْتَ بِمَا تَأْتِي مِنَ الْخَيْرِ أَسْعَدُ
 وَإِنْ أَصَرَ عَلَيْهَا لَنْتَ فِي مُتَارَكْتِهِ ^(١) ، وَأُحْجِمْتَ
 عَنْ مُسَاعَدَتِهِ ، وَهُوَ خَدَّاعٌ يَتَدَلَّسُ ^(٢) بِالْمُغَالَطَةِ ،

(١) مخالفته في رأيه (٢) يعتد التدليس

وَيَخْفَى بِالْحَزْمِ ، فَاسْتَنْجِدَ فِيهِ عَقْلَكَ ، وَاسْتَعْمَلَ فِيهِ
 حَزْمَكَ ؛ لِتَسْلَمَ مِنْ تَنْكُرِهِ ؛ وَتَخْلُصَ مِنْ وَزْرِهِ .
 فَقَدْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :
 « إِنَّ مِنْ شَرِّ أَرْوَاحِ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَبْدًا أَذْهَبَ
 آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ » .

وَالثَّالِثُ : فِي حِذْرِكَ مِنْهُ أَنْ تَذُبَّ^(١) عَنْ نَفْسِهِ
 وَمُلْكِهِ بِمَا اسْتَطَعْتَ مِنْ مَالٍ وَنَفْسٍ ، فَإِنَّكَ عَنْ
 نَفْسِكَ تَذُبُّ وَلَهَا تَرَبُّ ، لِأَنَّهُ لَا يَصْلُحُ حَالُكَ ؛
 مَعَ فَسَادِ حَالِهِ ، وَأَنْتَ فَرَعٌ مِنْ أَصْلِهِ ؛ وَهُوَ يَسْتَرْسِلُ
 لِثِقَتِهِ بِكَ ، وَيَسْتَسْلِمُ لِتَعْوِيلِهِ عَلَيْكَ ، فَقَابِلْ ثِقَتَهُ
 بِأَمَانَتِكَ ، وَاسْتِسْلَامَهُ بِكِفَايَتِكَ ، وَلَا تُلْجِئْهُ أَنْ

يُبَاشِرَ دَفَعَ الْخَوْفِ وَالْحَذَرِ ، فَيَلْجِئَكَ إِلَى مَا هُوَ
 أَخَوْفُ وَأَحْذَرُ ؛ لِأَنَّكَ تَخَافُهُ وَتَخَافُ مَا يَخَافُهُ ؛
 فَيَتَوَالَى عَلَيْكَ خَوْفَانِ ، وَيَتِمَالَأُ^(١) عَلَيْكَ خَطَرَانِ .
 وَقَالَ الشَّاعِرُ :

إِنَّ الْبَلَاءَ يُطَاقُ غَيْرَ مُضَاعَفٍ

فَإِذَا تَضَاعَفَ صَارَ غَيْرَ مُطَاقٍ

فَادْفَعْ خَوْفَكَ مِنْهُ بِدِفَاعِكَ عَنْهُ ، تَكُنْ مِنْ
 الْخَوْفَيْنِ آمِنًا ؛ وَمِنْ الْخَطَرَيْنِ سَالِمًا . وَقَدْ قَالَ
 عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا :
 كَأَنَّكَ لَمْ تَنْصَبْ^(٢) وَلَمْ تَلْقَ شِدَّةً

إِذَا أَنْتَ أَدْرَكْتَ . الَّذِي كُنْتَ تَطْلُبُ

وَأَعْلَمَ أَنَّ لِسُلْطَانِكَ عَلَيْكَ حُقُوقًا لَكَ عَلَيْهِ مِثْلُهَا ؛
فَحُقُوقُهُ عَلَيْكَ ثَلَاثَةٌ : أَحَدُهَا قِيَامُكَ بِمَصَالِحِ
مُلْكِهِ . وَهِيَ أَرْبَعٌ : عِمَارَةُ بِلَادِهِ ؛ وَتَقْوِيمُ أَجْنَادِهِ
وَتَشْمِيرُ مَوَادِّهِ ؛ وَحِيَاطَةُ رَعِيَّتِهِ . وَالثَّانِي مِنْ حُقُوقِهِ
عَلَيْكَ قِيَامُكَ بِمَصَالِحِ نَفْسِهِ وَهِيَ أَرْبَعٌ إِذْرَاكَ
كَفَايَتِهِ ؛ وَتَحْمَلُ عَوَارِضِهِ ؛ وَتَهْدِيبُ حَاشِيَتِهِ ، وَاسْتِعْدَادُ
مَا يَدْفَعُ بِهِ النَّوَائِبَ . وَالثَّالِثُ مِنْ حُقُوقِهِ عَلَيْكَ ،
قِيَامُكَ بِمُقَاوَمَةِ أَعْدَائِهِ ، وَذَلِكَ بِأَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ :
تَحْصِينُ الثُّغُورِ ، وَاسْتِكْمَالُ الْعُدَّةِ ، وَتَرْتِيبُ
الْعَسَاكِرِ ، وَتَقْدِيرُ الْخُدُودِ ، فَأَدِّ حُقُوقَ سُلْطَانِهِ ،
وَوَفِّ شُرُوطَ ائْتِمَانِهِ ، وَاحْذَرِ بَادِرَةَ مُوَاخَذَتِهِ إِنْ
قَصَرْتَ ، وَسَطْوَةَ ائْتِقَامِهِ إِنْ فَرَطْتَ ، فَقَدْ قِيلَ فِي

مَنْشُورِ الْحُكْمِ : مَنْ فَعَلَ مَا شَاءَ ، لَقِيَ مَا لَمْ يَشَأْ .
 وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : مَنْ أُولِعَ ^(١) بِقُبْحِ الْمُعَامَلَةِ ،
 أُوجِعَ بِقُبْحِ الْمُقَابَلَةِ . وَاعْلَمْ أَنَّ بَادِرَةَ الْإِنْتِقَامِ ،
 أَسْرَعُ مِنْ ظُهُورِ الْإِنْعَامِ ، لِأَنَّ الْإِنْتِقَامَ يَصْدُرُ عَنْ
 طَيْشِ الْغَضَبِ ؛ وَالْإِنْعَامَ يَصْدُرُ عَنْ أَنَاةِ الْكِرَمِ ،
 فَرُبَّمَا هَجَمَ الْإِنْتِقَامُ قَبْلَ الْحَذَرِ إِنْ تَمَّ عَلَى مُدَاوِمَةِ
 الْحَذَرِ . وَلِذَلِكَ قَالَ أَبُو زَيْدٍ الطَّائِيُّ :

وَالْخَيْرُ لَا يَأْتِيكَ مُجْتَمِعًا

وَالشَّرُّ يَسْبِقُ سَيْلَهُ ^(٢) مَطْرُهُ

وَقَدْ قِيلَ فِي حِكْمِ الْفُرْسِ : مَا أَوْعَفَ طَمَعِ
 صَاحِبِ السُّلْطَانِ فِي السَّلَامَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِنْ عَفَّ

(١) مال ميلا شديداً (٢) المطر الغزير

جَنَى عَلَيْهِ الْعُفَافُ عَدَاوَةَ الْخَاصَّةِ ، وَإِنْ بَسَطَ يَدَهُ ،
 جَنَى عَلَيْهِ الْبَسْطُ السِّنَةَ الْمُتَنَصِّحِينَ ، فَلَزِمَكَ
 بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ حَذَرُكَ أَغْلَبَ مِنْ رَجَائِكَ ، وَخَوْفُكَ
 أَكْثَرَ مِنْ أَمْنِكَ ، وَلَئِنْ تَكَدَّرَ بِهِمَا الْعَيْشُ لَهْمَا
 إِلَى السَّلَامَةِ أَدْعَى . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ :
 بِالصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ ، تَنَالُ مَا تُحِبُّ ؛ وَبِالصَّبْرِ عَلَى
 مَا تُحِبُّ تَنَجُّو مِمَّا تَكْرَهُ .

فَأَمَّا مَا يُقَابِلُهَا مِنْ حُقُوقِكَ عَلَى سُلْطَانِهِ فَثَلَاثَةٌ .
 أَحَدُهَا : مَعُونَتُكَ عَلَى نَظَرِكَ ؛ وَذَلِكَ بِأَرْبَعَةِ
 أَشْيَاءَ : تَقْوِيَةُ يَدِكَ ؛ وَتَنْفِيذُ أَمْرِكَ ، وَإِطْلَاقُ
 كِفَايَتِكَ ، وَالْأَلَا يَجْعَلُ لِنَعِيرِكَ عَلَيْكَ أَمْرًا . وَقَدْ
 قَالَ سَابُورُ بْنُ أَرْدَشِيرَ فِي عَهْدِهِ إِلَى ابْنِهِ هُرْمُزَ :

يَنْبَغِي لِلْوَزِيرِ أَنْ يَكُونَ قَوِيَّ الْأَمْرِ : مَقْبُولَ
الْقَوْلِ ؛ يَمْنَعُهُ مَكَانُهُ مِنْكَ مِنَ الضَّرَاعَةِ لِغَيْرِكَ ،
وَتَبَعُهُ الثَّقَةُ بِكَ عَلَى بَذْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ ، وَيُسَجِّعُهُ
مَا يَعْرِفُ مِنْ رَأْيِكَ عَلَى مُقَاوَمَةِ أَعْدَائِكَ ، وَاحْذَرُكَ
أَنْ تَنْزِلَ بِهِذِهِ الْمَنْزِلَةَ مِنْ سِوَاهُ مِنْ خَدَمِكَ .
وَالثَّانِي مِنْ حُقُوقِكَ عَلَيْهِ : أَنْ تَتَّقَ مِنْهُ بِأَرْبَعَةِ
أَشْيَاءَ . أَلَّا يُؤَاخِذَكَ بِغَيْرِ ذَنْبٍ ؛ وَلَا يَطْمَعَ فِي
مَالِكَ مِنْ غَيْرِ خِيَانَةٍ ، وَأَلَّا يُقَدِّمَ عَلَيْكَ مَنْ دُونَكَ .
وَلَا يُمَكِّنُ مِنْكَ عَدُوًّا . عَهْدَ مَلِكٍ إِلَى ابْنِهِ فَقَالَ :
إِنَّكَ لَنْ تَصِلَ إِلَى إِحْكَامِ مَا تُرِيدُهُ مِنْ تَدْبِيرِ
مُلْكِكَ إِلَّا بِمَعُونَةِ وُزَرَائِكَ وَأَعْوَانِكَ ، فَأَعْنِهِمْ عَلَى

طَاعَتِكَ بِمُبَاشَرَتِكَ^(١) ، وَعَلَى مَعُونَتِكَ بِمُسَاعَدَتِكَ ،
وَالثَّالِثُ مِنْ حُقُوقِكَ عَلَيْهِ : أَنْ يُحَفِّظَكَ فِي
مَنْزِلَتِكَ فِي أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ : أَلَّا يَرْتَابَ بِبَاطِنِكَ ،
وَزَاهِرِكَ سَلِيمٌ ، فَيُؤَاخِذَكَ بِالظَّنِّ ، وَيَعْجِزَ عَنْ
دَفْعِهِ بِالْيَقِينِ ، فَلَيْسَ يُؤَاخِذُ بِضَمَائِرِ الْقُلُوبِ
إِلَّا عَلَامُ الْغُيُوبِ . قِيلَ لِكِسْرَى بْنِ قَبَادَ :
إِنَّ قَوْمًا مِنْ خَوَاصِّكَ قَدْ فَسَدَتْ سَرَائِرُهُمْ ،
فَوَقَعَ : أَنَا أُمْلِكُ الْأَجْسَادَ دُونَ النِّيَّاتِ ، وَأَحْكُمُ
بِالْعَدْلِ لَا بِالرَّضَى ، وَأَفْحَصُ^(٢) عَنِ الْأَعْمَالِ لَا عَنِ
السَّرَائِرِ . وَالثَّانِي أَلَّا يَسْتَبْدِلَ بِكَ وَنَظْرَكَ مُسْتَقِيمٌ ،
فَتَقِلَّ ثِقَّتُكَ ، وَيَضْعُفَ نَشَاطُكَ ، وَلَا تَجِدَ مِنْ

(١) المزاولة من غير واسطة (٢) افتش واثب

نَفْسِكَ نُهُوضًا بِمَا كَلَّفَكَ ؛ فَإِنَّ دَوَاعِيَ^(١) الطَّيْعِ
 أَبْلَغُ مِنْ مَصْنُوعِ التَّكْلُفِ ؛ وَقَدْ اتَّخَذَكَ لِاسْتِقَامَةٍ
 وَجَدَهَا بِكَ ، فَإِذَا أَضَاعَ حَقَّكَ بِالْأُسْتِبْدَالِ ظَلَمَ
 نَفْسَهُ وَكَانَ مِنْ غَيْرِكَ عَلَى خَطَرٍ . وَقَدْ قَالَ كِسْرَى :
 الْوَزَارَةُ أَبْعَدُ الْأُمُورِ مِنْ أَنْ تَحْتَمِلَ غَيْرَ أَهْلِهَا ،
 لِأَنَّ الْوَزِيرَ مِنَ الْمَلِكِ ، بِمَنْزِلَةِ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَلِسَانِهِ
 وَقَلْبِهِ ، لِأَنَّهُ مُغْلَقُ الْأَبْوَابِ ، مَسْتَوْرٌ عَنِ الْأَبْصَارِ
 لِيَحْفَظَهُ فِي أَمْوَالِهِ ، وَيَسْتَرُ خَلْلَهُ فِي أَعْمَالِهِ ،
 وَحَقِيقُ بَيْتٍ كَانَ بِهِدِهِ الْمَنْزِلَةُ أَنْ يَكُونَ مُحْفُوظًا
 وَمَلْحُوظًا^(٢) . وَالثَّالِثُ أَنْ لَا يُؤْخِذَكَ بِدَرْكِ
 مَا جَرَّهُ الْقَضَاءُ وَسَاقَهُ الْقَدَرُ ؛ فَيَجْعَلَكَ غَرَضًا فِي

مُعَارَضَةٍ خَالِقِهِ ، وَهَلْ أَنْتَ فِيهِ إِلَّا كَمِثْلِهِ فَكَيْفَ
تَكُونُ أَفْعَالُ اللَّهِ دُنُوبًا لِعِبَادِهِ . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ
الْحُكَمَاءِ : الْأُمُورُ تُطْلَبُ بِالْعَنَاءِ وَتُدْرَكُ بِالْقَضَاءِ .
وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا أَرَادَ
اللَّهُ تَعَالَى إِنْقَازَ قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ سَلَبَ ذَوِي الْعُقُولِ
عُقُولَهُمْ ، حَتَّى يَنْفُذَ فِيهِمْ قَضَاؤُهُ وَقَدَرُهُ » . وَالرَّابِعُ :
أَنْ لَا يُحْمَلَ مَا لَيْسَ فِي قُدْرَتِكَ ؛ وَالْأَيُّ يُكَلِّفُكَ
مَا لَيْسَ فِي طَاقَتِكَ ؛ فَلَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ،
وَمَا ذَلِكَ إِلَّا مِنْ دَوَاعِي التَّجَنُّيِّ وَمَبَادِي الشُّكْرِ .
قَالَ حَكِيمُ الرُّومِ : أَوَّلُ مَا يَبْتَدِئُ تَغْيِيرُ الْمَلِكِ فِي
الْعَيْنِ ، فَإِذَا ازْدَادَ خَرَجَ إِلَى اللِّسَانِ ، فَإِذَا ازْدَادَ
خَرَجَ إِلَى الْيَدِ . فَقَدْ وَضَحَ بِهِذِهِ الْجُمْلَةَ مُقَابَلَةً

حُقُوقَكَ عَلَيْهِ بِحُقُوقِهِ عَلَيْكَ . وَقَدْ قَالَ الْمُعْتَصِمُ :
 مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ بِمَا عَلَيْهِ أَدْرَكَهُ ، غَيْرَ أَنَّ حُقُوقَكَ
 عَلَيْهِ مَوْضُوعَةٌ عَلَى الْمُواخَذَةِ بِأَقْلَبِهَا ، لِاسْتِطَالَتِهِ ^(١)
 عَلَيْكَ بِالْقُدْرَةِ ، وَقُصُورِكَ عَنْهُ بِالنِّيَابَةِ ؛ فَكُنْ
 عَلَى مَا اقْتَضَاهُ مِنْابُ الْوَزَارَةِ ، وَاعْطِهِ مَا اسْتَحَقَّهُ
 بِسُلْطَانِ الْمُلْكِ ، فَيَنْجَحَ سَعْيُكَ لَهُ إِكْدَاءً ^(٢) سَعْيِهِ
 عَلَيْكَ . وَقَدْ وَصَفَ مُوبِدَانُ مُوبِدًا فِي كِتَابِ الْمُلُوكِ
 فَقَالَ : هُمْ ، أَعْيُنُهُمُ الْمَصُونَةُ عِنْدَهُمْ ، وَأَذَانُهُمُ
 الْوَاعِيَةُ ؛ وَالسِّنَّتُهُمُ الشَّاهِدَةُ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ
 أَسْعَدَ مِنْ وَزَرَاءِ الْمُلُوكِ ، إِذَا سَعِدَتِ الْمُلُوكُ ، وَلَا
 أَقْرَبَ إِلَى الْهَلَكَةِ مِنْ وَزَرَاءِ الْمُلُوكِ ، إِذَا هَلَكَتِ

الْمُلُوكُ ، فَتُرْفَعُ التَّهْمَةُ عَنْ الْوُزَرَاءِ إِذَا صَارَتْ
نَصَائِحُهُمْ لِلْمُلُوكِ نَصَائِحَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ ؛ وَيَعْظُمُ الْيَقِينُ
بِهِمْ حِينَ صَارَ اجْتِهَادُهُمْ لِلْمُلُوكِ اجْتِهَادَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ ،
فَلَا تُتَّهَمُ رُوحٌ عَلَى جَسَدٍ وَلَا يُتَّهَمُ جَسَدٌ عَلَى رُوحٍ ،
لَأنَّ زَوَالَ الْإِفْهِمَا ^(١) زَوَالُ نِعْمَتَيْهِمَا ، وَالْتِسَامُ الْإِفْهِمَا
صَلَاحُ صَاحِبَيْهِمَا .

وَأَمَّا حَذْرُكَ مِنَ الزَّمَانِ : فَإِنَّهُ يَتَقَلَّبُ بِالْوَانِهِ ^(٢)
وَيَخْشَنُ بَعْدَ لَيَانِهِ ، فَيَسْلُبُ مَا أُعْطِيَ ، وَيُفَرِّقُ
مَا جَمَعَ . وَقَدْ رَوَى أَبُو حَازِمٍ عَنْ أَبِي بَكْرٍ
رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَنَّهُ قَالَ : « انْظُرُوا دُورَ مَنْ تَسْكُنُونَ ، وَأَرْضَ

(١) اتفاهما (٢) حوادثه

مَنْ تَزَرُّعُونَ ، وَفِي طُرُقٍ مَنْ تَمْشُونَ » . وَقَالَ
 بَعْضُ الْحُكَمَاءَ : الدُّنْيَا إِنْ بَقِيَتْ لَكَ لَمْ تَبْقَ لَهَا
 وَقِيلَ فِي مَثُورِ الْحُكْمِ : مَنْ عَتَبَ عَلَى الزَّمَانِ
 طَالَتْ مَعْتَبَتُهُ ، وَمَنْ لَمْ يَتَعَرَّضْ لِلنَّوَائِبِ تَعَرَّضَتْ
 لَهُ . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : إِنْ الدُّنْيَا تُقْبِلُ إِفْبَالَ
 الطَّالِبِ ؛ وَتُذْبِرُ إِذْبَارَ الْهَارِبِ ؛ لَا تَبْقَى عَلَى حَالَةٍ
 وَلَا تَخْلُو مِنْ اسْتِحَالَةٍ ^(١) ؛ تُصْلِحُ جَانِبًا بِإِفْسَادِ
 جَانِبٍ ، وَتَسْرُ صَاحِبًا بِمَسَاءَةِ صَاحِبٍ ؛ فَالْكَوْنُ ^(٢)
 فِيهَا خَطَرٌ ، وَالثَّقَّةُ بِهَا غَرَرٌ ^(٣) . وَقَدْ قَالَ قَيْسُ
 ابْنِ الْخَطِيمِ :

(١) تغير (٢) الوجود فيها والعيش (٣) الغررُ التعرض للهلكة

وَمِنْ عَادَةِ الْيَّامِ أَنَّ صُرُوفَهَا
 إِذَا سَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ سَاءَ جَانِبُ
 وَحَذْرُكَ مِنْ زَمَانِكَ يَكُونُ مِنْ أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ :
 أَحَدُهَا : أَلَّا تَثِقَ بِمُسَاعَدَتِهِ ، وَلَا تَرْكَنَ إِلَى
 مَيَاسَرَتِهِ ، فَتَغْفَلَ عَنِ الْحَذَرِ وَالِاسْتِعْدَادِ ، فَرُبَّمَا
 انْعَكَسَ فَافْتَرَسَ ، وَخَافَضَ ^(١) فَاخْتَلَسَ . وَقَدْ
 قِيلَ لِلدَّهْرِ صُرُوفٌ ، لَسْتُ عَنْهَا بِمَصْرُوفٍ . قَالَ
 أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

إِنَّ الزَّمَانَ وَإِنَّ الْأَنَ لَأَهْلُهُ لِمُخَاشِنُ
 فَخُطُوبُهُ الْمُتَحَرِّكَاتُ كَأَنَّهِنَّ سَوَاكِنُ
 وَالْوَجْهَ الثَّانِي : أَنْ تَنْتَهَزَ فُرْصَةَ مُكْتَنِكَ .

بِفِعْلِ الْجَمِيلِ وَغَرْسِ الصَّنَائِعِ ، وَإِسْدَاءِ الْعَوَارِفِ ^(١)
لِتَكُونَ لَكَ ذُخْرًا فِي النَّوَائِبِ ، وَخَلْفًا فِي الْعَوَاقِبِ
وَلَا يُلْهِيكَ اسْتِكْفَاؤُكَ عَنِ الْإِسْتِظْهَارِ ، وَلَا يَمْنَعُكَ
اسْتِغْنَاؤُكَ عَنِ الْإِسْتِكْثَارِ . فَقَدْ قِيلَ : الْمَرْءُ ابْنُ
يَوْمِهِ ، فَلْيَتَنَبَّهُ مِنْ نَوْمِهِ . وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ .
شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ ، وَغِنَاكَ
قَبْلَ عُدْمِكَ ^(٢) ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ ، وَحَيَاتَكَ
قَبْلَ مَوْتِكَ » . وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ سَلَمٍ :

إِنَّمَا الدُّنْيَا هِبَاتٌ وَعَوَارٍ مُسْتَرَدَّةٌ
شِدَّةٌ بَعْدَ رَخَاءٍ وَرَخَاءٌ بَعْدَ شِدَّةٍ

وَالْوَجْهَ الثَّالِثُ : أَنْ تَكْفَ نَفْسَكَ عَنِ الْقَبِيحِ
وَتَقْبِضَ يَدَكَ عَنِ الْإِسَاءَةِ ؛ لِتُكْفِيَ رَصَدَ التَّرَاتِ^(١)
وَعَوَائِلَ الْهَفَوَاتِ ، فَتَأْمَنَ مِنْ وَجَلِكَ ؛ وَتَسَلَّمَ مِنْ
زَلِّكَ . وَلَا تَتَطَاوَلْ بِالْقُدْرَةِ ، فَتَغْفَلَ وَأَنْتَ مَطْلُوبٌ ،
وَتَأْمَنَ وَأَنْتَ مَسْلُوبٌ . رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « أَتَبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا »
وَقِيلَ فِي بَعْضِ الصُّحُفِ الْأُولَى : وَيَلُ لِلْأَثْمَةِ
لِأَنَّ الشَّقَاءَ لَا زِمَ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ وَفَاتِهِمْ ، وَالْأَبُ
الْأَثِيمُ يَلْعَنُهُ بَنُوهُ إِذَا كَانُوا صَالِحِينَ ، لِأَنَّهُمْ يُعَيِّرُونَ
بِهِ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : بِاعْتِرَالِكَ الشَّرِّ يَعْتَزِلُكَ
وَبِالنَّصْفَةِ^(٢) يَكْثُرُ الْوَاصِلُونَ . وَقَالَ مُضَرَّسُ بْنُ رَبْعِي :
وَهُوَ مِنَ الْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ :

(١) التارات ج ترة وهي الثأر (٢) العدل

وَخَيْرُ أَتَقَى وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ
 وَالشَّرُّ أَخْبَثُ مَا أُوْعِيَتْ مِنْ زَادٍ
 وَالْوَجْهَ الرَّابِعُ : أَنْ تَسْتَعِدَّ لِآخِرَتِكَ ،
 وَتَسْتَظْهِرَ لِمَعَادِكَ ^(١) ، وَلَا تَغْتَرَّ بِالْأَمَلِ فَيَجِيئَكَ
 الْفَوْتُ ، وَلَا تُتْلِهَكَ الدُّنْيَا فَتَضُدَّكَ عَنِ الْآخِرَةِ ،
 فَقَلَّ مَنْ لَابَسَهَا ^(٢) فَسَلِمَ مِنْ تَبِعَاتِهَا لَهْفَوَاتِ
 غُرُورِهَا ، وَعَوَاقِبِ شُرُورِهَا . رَوَى عَنِ النَّبِيِّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « يَا عَجَبًا كُلُّ الْعَجَبِ
 لِلْمُصَدِّقِ بَدَارِ الْخُلُودِ وَهُوَ يَسْعَى لِدَارِ الْغُرُورِ » .
 وَقِيلَ فِي مَشْوَرِ الْحَكَمِ : طَلَاقُ الدُّنْيَا مَهْرُ الْجَنَّةِ ،
 فَكَفَرُ مَعَاصِيهَا بِالتَّوْبَةِ ، وَاجْبُرُ مَسَاوِيهَا بِالطَّاعَةِ ،

(١) آخرتك (٢) صاحبها أو وجد بها

وَلَا تُضِيعُ حَظَّكَ فِيهَا ، وَلَا تَتَسَرَ نَصِيبَكَ مِنْهَا ،
وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ . رَوَى عَنِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « النَّاسُ غَادِيَانِ ،
فَغَادٍ نَفْسُهُ فَمُعْتِقُهَا ، وَمُوثِقٌ نَفْسُهُ فَمُؤَبِّقُهَا » .
رَوَى أَبُو مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَنَّهُ قَالَ : « عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ . قَالُوا : فَإِنْ
لَمْ يَجِدْ . قَالَ : يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ . قَالُوا :
فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ . قَالَ : يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ
الْمُنْكَرِ . قَالُوا : فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ : قَالَ . يُمْسِكُ
عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ »

وَأَمَّا الْحَذَرُ مِنْ أَهْلِ الزَّمَانِ : فَلِإِنَّ الْإِنْسَانَ

مَحْسُودٌ بِالنِّعْمَةِ ، مَغْبُوطٌ^(١) بِالسَّلَامَةِ ، وَالنَّاسُ عَلَى
أَرْبَعَةِ أَطْوَارٍ مُتَبَايِنَةٍ .

أَحَدُهَا : خَيْرٌ^(٢) عَاقِلٌ يُسَالِمُ بِخَيْرِهِ ، وَيُسَاعِدُ
بِعَقْلِهِ ، فَالظَّفَرُ بِهِ سَعَادَةٌ ، وَالِاسْتِعَانَةُ بِهِ تَوْفِيقٌ ،
فَاجْتَهِدْ أَلَّا يَفُوتَكَ — وَإِنْ كَانَ قَلِيلَ الْوُجُودِ —
لِتَحْظِيَ بِخَيْرِهِ وَتَسْعَدَ بِعَقْلِهِ . وَقَدْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « اسْتَرْشِدُوا الْعَاقِلُ
تُرْشِدُوا ، وَلَا تَعْصُوهُ فَتَنْدَمُوا » . وَقَالَ بَعْضُ
الْحُكَمَاءَ : مِنْ خَيْرِ الْإِخْتِيَارِ صُحْبَةُ الْأَخْيَارِ ،
وَمِنْ شَرِّ الْإِخْتِيَارِ صُحْبَةُ الْأَشْرَارِ ، وَقَلَّ أَنْ يَكُونَ
الْعَاقِلُ اخَيْرٌ إِلَّا مُتَحَلِّيًا بِالْعِلْمِ ، مُتَزَيِّنًا بِالْأَدَبِ .

(١) الغبطة تمنى مثل ما للغير والحسد تمنى زوال نعمة الغير (٢) خير
كثير الخير للناس

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : لَا أَدَبَ إِلَّا بِعَقْلٍ ، وَلَا
 عَقْلَ إِلَّا بِأَدَبٍ ، وَمَثَلُهُمَا كَمَثَلِ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ ،
 فَلِجَسَدٍ بَغَيْرِ رُوحٍ صُورَةٌ ، وَلِرُوحٍ بَغَيْرِ جَسَدٍ
 رِيحٌ ، فَإِذَا اجْتَمَعَا قَوِيًّا فَهَيَّضَا وَأَنْهَضَا ، فَإِذَا أَظْفَرَكَ^(١)
 الزَّمَانُ بَيْنَ تَكَامَلَتْ فَضَائِلُهُ ، وَتَهَذَّبَتْ خَصَائِلُهُ ،
 فَاتَّخِذْهُ ذَخِيرَةً نَوَائِبِكَ ، وَعُدَّةَ شِدَائِدِكَ ، تَجِدْ
 كَفِيلَ صَلَاحِهَا ، وَزَعِيمَ^(٢) نَجَاحِهَا . قَالَ الْخَوَارِثُونَ
 لِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَنْ نُبْجَالِسُ ؟
 قَالَ : مَنْ يَزِيدُ فِي عِلْمِكُمْ مَنْطِقُهُ ، وَيُذَكِّرُكُمْ
 اللَّهُ رُؤْيَيْتُهُ ، وَيُرَغِّبُكُمْ فِي الْآخِرَةِ عَمَلُهُ

وَالطَّوَرُ الثَّانِي : شَرِّيرُ جَاهِلٍ يَضُرُّ بِشَرِّهِ وَيُضِلُّ

(١) أَنَالِكَ الظَّفَرَ (٢) خَلِيقٌ بِنَجَاحِهَا وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ

بِجَهْلِهِ ، فَاحْذَرُ مُخَالَطَتَهُ فَهِيَ أَعَمُّ مِنَ السَّمِّ ، وَأَنْفَذُ
 مِنَ السَّهْمِ . فَشَرُّهُ بِجَهْلِهِ مُنْتَشِرٌ ، يَضَعُفُ إِنْ تُورِكَ ،
 وَيَقْوَى إِنْ شُورِكَ ؛ فَاكْفُفْ شَرَّهُ بِالْإِبْعَادِ ،
 وَلَا تُقِرَّهُ بِالتَّقْرِيبِ ، فَيَلْحَقَكَ بِضَرَرِي شَرِّهِ
 وَجَهْلِهِ . وَقَدْ قِيلَ فِي مَثُورِ الْحَكَمِ : مِنَ الْجَهْلِ
 صُحْبَةُ ذَوِي الْجَهْلِ . وَقِيلَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِ
 بَنِي إِسْرَائِيلَ : ابْعُدْ عَنِ الْجَاهِلِ لِتَجِدَ الرَّاحَةَ ،
 فَإِنَّ حَمَلَ الرَّمْلِ وَالْمِلْحِ وَالْحَدِيدِ أَسْهَلُ مِنْ
 الْمَشْوَى مَعَ الرَّجُلِ الْجَاهِلِ ؛ وَضَرَرُ الْجَهْلِ أَعَمُّ
 مِنْ ضَرَرِ الشَّرِّ ؛ لِأَنَّ قَانُونَ الشَّرِّ مَعْلُومٌ . وَقَانُونَ
 الْجَهْلِ غَيْرُ مَعْلُومٍ . وَقَدْ قِيلَ : الْجَاهِلُ مُفَرِّطٌ
 أَوْ مُفَرِّطٌ .

وَالطَّوْرُ الثَّالِثُ : خَيْرٌ جَاهِلٌ يُسَالِمُ بِخَيْرِهِ
وَيُضِلُّ بِجَهْلِهِ ، فَقَارْنَاهُ إِنْ شِئْتَ لِخَيْرِهِ وَلَا
تَسْتَعْمِلْهُ لِجَهْلِهِ ، لَتَكُونَ بِخَيْرِهِ مَوْسُومًا ^(١) ،
وَمِنْ جَهْلِهِ سَلِيمًا . فَقَدْ قَالَ عَبْدُ الْحَمِيدِ : لِكُلِّ
شَيْءٍ لُبَابٌ ، وَلِبَابُ النُّفُوسِ الْأَلْبَابُ .

وَالطَّوْرُ الرَّابِعُ : شَرِيرٌ عَاقِلٌ وَهُوَ الدَّاهِيَةُ
الْمَكْرُ ، يُسْتَعْمَلُ فِي الْخُطُوبِ إِذَا حَزَبَتْ عَلَى
حَذَرٍ مِنْ مَكْرِهِ وَيُتَارَكُ فِي الدَّعَةِ عَلَى اسْتِدْفَاعِ
شَرِّهِ . وَقَدْ رَوَى عَاصِمٌ عَنْ ذَرٍّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ »

وَمِثْلُ هَذَا يُسْتَكْفَى بِمَوْثِقَةٍ تَمُدُّهُ ؛ وَمُرَاعَاةِ
 تَرْضِيهِ ، فَإِنَّهُ كَالسَّبْعِ الضَّارِي ، إِنْ أَجْمَعْتَهُ هَاجَ ؛ وَإِنْ
 أَشْبَعْتَهُ لَانَ ، لِيَكُونَ مَذْخُورًا ^(١) لِلْحَاجَةِ . فَإِنْ لِلزَّمَانِ
 خُطُوبًا ^(٢) لَا تُدْفَعُ إِلَّا بِشِرَارِ أَهْلِهِ . كَمَا قَالَ حُذَيْفَةُ
 ابْنُ الْيَمَانِ لِرَجُلٍ : أَيَسْرُكَ أَنْ تَغْلِبَ شَرَّ النَّاسِ ؟
 قَالَ : نَعَمْ ! قَالَ : إِنَّكَ لَنْ تَغْلِبَهُ حَتَّى تَكُونَ شَرًّا مِنْهُ .
 فَتُعِدُّهُ لِحُطُوبِ الشَّرِّ إِذَا طَرَقَتْ ، فَإِنَّهُ بِهَا أُخْبِرُ ؛
 وَعَلَى دَفْعِهَا أَقْدَرُ ؛ وَلِأَهْلِهَا أَقْهَرُ ؛ فَإِنَّ الْحَدِيدَ بِالْحَدِيدِ
 يُفْلَحُ ^(٣) . وَيُسْتَكْفَى إِلَى جَنْبِهَا بِمَا يَدْفَعُ بَادِيَةَ شَرِّهِ ؛
 وَيَقْطَعُ غَائِلَةَ مَكْرِهِ ؛ وَإِنْ كَانَتْ ضَرَاوَةً ^(٤) الشَّرِّ

(١) المذخور : المدخر لنوائب الدهر (٢) خطوب : جمع خطب
 وهو الشأن صغر أو عظم (٣) يفلح : أى يشق (٤) ضراوة
 الشر : اعتياده

أَجْذَبَ ، فَطِبَاعُ النُّفُوسِ أَغْلَبُ . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ
 الْحُكَمَاءِ : مُخَالَطَةُ الْأَشْرَارِ خَطَرٌ ، وَالصَّبْرُ عَلَى صُحْبَتِهِمْ
 كَرُّ كُوبِ الْبَحْرِ الَّذِي مَنْ سَلِمَ يَدَنِهِ مِنْ التَّلَفِ فِيهِ ،
 لَمْ يَسَلَمْ بِقَلْبِهِ مِنَ الْحَذَرِ ^(١) مِنْهُ . فَإِنْ وَجَدْتَ مِنْ
 هَذَا الدَّاهِيَةِ فُتُورًا فِي هِمَّتِهِ ، وَقُصُورًا فِي مَنَّتِهِ ؛
 كَانَتْ سَرَايَةُ مَكْرِهِ أَنْزَرَ ؛ وَتَأْثِيرُهُ فِي الْخُطُوبِ أَيْسَرَ .
 وَإِنْ كَانَ عَلَى الْهِمَّةِ قَوَى الْمُنَّةِ ، يَتَطَاوَلُ إِلَى مَعَالِي
 الْأُمُورِ ، كَانَتْ سَرَايَةُ مَكْرِهِ أَوْفَرَ ، وَتَأْثِيرُهُ فِي
 الْخُطُوبِ أَكْثَرَ . فَأَعْطِهِ فِي كُلِّ حَالٍ مِنْ أَمْرِيهِ مِنْ
 الْحَذَرِ وَالشُّكُونِ ؛ بِحَسَبِ مَا تَقْتَضِيهِ هِمَّتُهُ ، وَتَبَعَتْ
 عَلَيْهِ مَنَّتُهُ ، لِيَكُونَ قَانُونُكَ مُسْتَقِيمًا ؛ وَمِنْ دَهَاءِ

(١) الحذر : الخوف

مَكْرِهِ سَلِيماً ؛ لَا يَنَالُكَ خَوَرٌ ^(١) مِنْ سَرَفٍ ^(٢) ، وَلَا
اسْتِرْسَالٌ مِنْ تَقْصِيرٍ ، قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا .
فَهَذَا تَفْصِيلُ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ الْعَقْدُ وَالْحُلُّ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .



وَأَمَّا تَفْصِيلُ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ التَّقْلِيدُ وَالْعَزْلُ ؛
وَهُوَ الشَّطْرُ الثَّانِي . فَالتَّقْلِيدُ عَلَى ضَرْبَيْنِ : تَقْلِيدُ
تَقْرِيرٍ ؛ وَتَقْلِيدُ تَذْيِيرٍ . فَأَمَّا تَقْلِيدُ التَّقْرِيرِ فَهُوَ
فِيمَا يَسْتَأْنِفُ إِنشَاءً قَوَاعِدِهِ ، وَيَبْتَدِئُ تَقْرِيرَ رُسُومِهِ ،
وَهُوَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ :

أَحَدُهَا : أَنْ يَكُونَ فِي خَاصِّ يَقْدِرُ الْوَزِيرُ عَلَى
مُبَاشَرَتِهِ ، فَالْوَزِيرُ أَخْصُ بِتَقْرِيرِهِ وَأَحَقُّ بِتَنْفِيذِهِ .

(١) الخور : ضعف الغزيمة
وتجاوز الحد

لأنَّهَا أُصُولٌ مُؤَبَّدَةٌ مِنْ خَوَاصِّ نَظَرِهِ ، فَإِنْ قُلِدَّ
عَلَيْهَا وَاسْتَنَابَ فِيهَا كَانَ تَقْصِيرًا مِنْهُ فِيمَا جَلَّ (١) .
وَمَعْذُورًا فِيهِ إِنْ قَلَّ . وَلَمْ يَكُنْ لِمَنْ قَلَّدَهُ تَنْفِيدُ
تَقْرِيرِهِ إِلَّا عَنْ إِذْنِهِ ، وَإِلَّا كَانَ عَزْلًا خَفِيًّا . لِأَنَّهُ
يَصِيرُ مُلْتَزِمًا وَقَدْ كَانَ مُلْزِمًا ، وَمُحْكَمًا وَقَدْ
كَانَ حَاكِمًا

وَالْقِسْمُ الثَّانِي : أَنْ يَكُونَ التَّقْلِيدُ فِيمَا بَعْدَ عَنْهُ
وَيُمْكِنُ اسْتِمَارُهُ فِيهِ فَيَجُوزُ أَنْ يَسْتَنِيْبَ فِي تَقْرِيرِهِ
وَيَكُونَ مَوْقُوفًا عَلَى إِمْضَاءِ الْوَزِيرِ وَتَنْفِيدِهِ . وَلَا يَجْمَعُ
الْمُسْتَنَابُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ لِيَكُونَ التَّقْلِيدُ مَقْصُورًا عَلَى
التَّقْرِيرِ وَالتَّنْفِيدِ ؛ كَانَ فِيهِ مُتَجَوِّزًا إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ

(١) جل أى عظم

بِهِ فَيَصِيرُ الْأَمْرُ مُتَجَوِّزًا إِلَّا عَنِ اضْطِرَارٍ يَزُولُ
مَعَهُ حُكْمُ الْإِخْتِيَارِ .

وَالْقِسْمُ الثَّالِثُ : أَنْ يَكُونَ التَّقْلِيدُ فِيمَا بَعْدَ

عَنْهُ وَيَتَعَذَّرُ اسْتِمَارُهُ فِيهِ ، فَيَجُوزُ أَنْ يَسْتَتِيبَ فِيهِ

مَنْ يَجْمَعُ بَيْنَ تَقْرِيرِهِ وَتَنْفِيزِهِ ، إِذَا تَكَامَلَتْ فِيهِ

ثَلَاثَةُ شُرُوطٍ : أَحَدُهَا الْكِفَايَةُ الَّتِي تَهْضُ بِمَا فِي

التَّقْرِيرِ . وَالثَّانِي : الْمَهِيَّةُ الَّتِي يُطَاعُ بِهَا فِي التَّنْفِيزِ .

وَالثَّالِثُ : الْأَمَانَةُ الَّتِي تَكْفُ^(١) عَنْ الْإِسْتِرْشَاءِ^(٢)

وَالْخِيَانَةِ . بَعْدَ تَكَامُلِ الشُّرُوطِ الْمُعْتَبَرَةِ فِي جَمِيعِ

الْوَلَايَاتِ وَهِيَ ثَلَاثَةٌ : الْعَقْلُ وَالذِّيَانَةُ وَالْمُرُوءَةُ .

فَلَا فُسْحَةَ فِي تَقْلِيدِ مَنْ أَخْلَ بِأَحَدِهَا لِقُصُورِهِ

(١) تكف : أى تمنع (٢) الاسترشاء : طلب الرشوة

عَنْ حَقِّهَا وَخُرُوجِهِ مِنْ أَهْلِهَا . وَإِنَّمَا يَخْتَلِفُ
مَا سِوَاهَا بِاخْتِلَافِ الْوَلَايَاتِ وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ
مُسْتَحَقَّةً فِي جَمِيعِهَا . وَقَدْ قَالَ كَسْرَى إِبْرَوِيزُ :
مَنْ اعْتَمَدَ عَلَى كُفَاةِ السُّوءِ ، لَمْ يَخْلُ مِنْ رَأْيِ
فَاسِدٍ ، وَظَنَّ كَاذِبٍ ، وَعَدَّوْ غَالِبٍ . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ
الْحُكَمَاءِ : لَا تَسْتَكْفِينِ مَخْدُوعًا عَنْ عَقْلِهِ ،
وَالْمَخْدُوعُ مَنْ بَلَغَ بِهِ قَدْرٌ لَا يَسْتَحِقُّهُ ، وَائْتِيبَ
ثَوَابًا لَا يَسْتَوْجِبُهُ

وَأَمَّا تَقْلِيدُ التَّدْيِيرِ : فَهُوَ النَّظَرُ فِيمَا اسْتَقَرَّتْ^(١)
رُسُومُهُ ، وَتَمَهَّدَتْ^(٢) قَوَاعِدُهُ وَهُوَ مُشْتَرِكٌ بَيْنَ
الْوَزِيرِ وَبَيْنَ النَّاطِرِ فِيهِ : لَكِنْ يَخْتَصُّ الْوَزِيرُ

(١) استقرت : أى ثبتت (٢) تمهدت : تنقلت

بِمُرَاعَاتِهِ ، وَالنَّظَرُ بِمُبَاشَرَتِهِ . وَهُوَ ضَرْبَانِ : أَحَدُهُمَا
تَذْيِيرُ الْأَجْنَادِ ، وَالثَّانِي تَذْيِيرُ الْأَمْوَالِ .

فَأَمَّا تَذْيِيرُ الْأَجْنَادِ فَلَا يَسْتَعْنِي الْوَزِيرُ عَنْ تَقْلِيدِ
سَفِيرٍ^(١) فِيهِ ؛ وَإِنْ كَانُوا يُبْلِقُونَهُ لِيَحْفَظَ بِالسَّفِيرِ
حِشْمَةَ وَزَارَتِهِ ؛ وَلَا يَقِفَ أَغْرَاضَ أَجْنَادِهِ وَقَدْ
انْصَانَ^(٢) عَنْ لَغَطِ كَلَامِهِمْ وَجَفَوَةَ^(٣) صِبَاعِهِمْ .
وَالْأَغْلَبُ عَلَى تَذْيِيرِهِمْ ، الرَّأْيُ وَالسِّيَاسَةُ فَيُعْتَبَرُ فِي
الْمُخْتَارِ لِهَذَا التَّقْلِيدِ سِتَّةُ شُرُوطٍ : أَحَدُهَا الْهَيْبَةُ^(٤) ؛
الَّتِي تَقُودُهُمْ إِلَى طَاعَتِهِ ؛ لِأَنَّهُ يَقُومُ بِتَذْيِيرِ ذَوِي
سَطْوَةٍ^(٥) فَاحْتَاجَ مَعَهُمْ إِلَى قُوَّةِ الْهَيْبَةِ : وَالثَّانِي

(١) السفير : الرسول (٢) حفظ (٣) الجفوة : شدة الطبع
وخشوته (٤) الهيبة : الجلال والوقار (٥) السطوة : الحول والقوة

أَنْ يَكُونَ مِنْ ذَوِي الرَّأْيِ وَالسِّيَاسَةِ ؛ لِيَقُودَهُمْ
 بِرَأْيِهِ إِلَى الصَّوَابِ وَتَقْفَهُمْ سِيَاسَتُهُ عَلَى الْإِسْتِقَامَةِ :
 وَالثَّالِثُ أَنْ يَكُونَ مُتَوَصِّلًا إِلَى اسْتِعْطَافِ الْقُلُوبِ
 وَاجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ ؛ لِيَسْلَمُوا مِنْ اخْتِلَافٍ أَوْ مُنَافَرَةٍ :
 وَالرَّابِعُ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَجْنَادِ ، مُنَاسَبَةٌ فِي
 الطَّبَاعِ وَمُشَاكَلَةٌ فِي الْأَخْلَاقِ ، يَمْتَرِجُونَ بِهَا فِي
 الْمُوَافَقَةِ ، وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهَا بِالْمُبَايَنَةِ : وَالْخَامِسُ أَنْ
 يَكُونَ سَلِيمَ الْبَاطِنِ صَحِيحَ الْمُعْتَقَدِ ، لِأَنَّهُ يَصِيرُ
 أَخْصَّ بِهِمْ ، وَيَصِيرُونَ أَطْوَعَ لَهُ : وَالسَّادِسُ مَا اخْتَلَفَ
 بِاخْتِلَافِ الْحَالِ ، فَإِنْ كَانَ فِي زَمَانِ السَّلَامِ اعْتَبَرَ فِيهِ
 الْأَنَاءَةُ^(١) وَالشُّكُونُ ، وَإِنْ كَانَ فِي زَمَانِ الْحَرْبِ

(١) الْأَنَاءَةُ : التَّروِي وَالطَّمَأْنِينَةُ

واعتبر فيه الإقدام^(١) والسطوة؛ ليكون مطبوعاً^(٢)
على ما يضاهاى حال زمانه . فقد قيل : خير
السجايأ^(٣) ما وافق الحاجة . فإذا ظفر بمن
استكملها - وبعيد أن يظفر به إلا أن يعان
بالتوفيق - وجب تقليده؛ ولزم من مناصفته^(٤)
في الحقوق التي له وعليه ليدوم ويستقيم .
وقد قيل في منشور الحكم : من قضيت واجبه
أمنت جانبه . وقيل : أغن من وليته عن الخيانة ،
فليس يكفيك من لم تكفه

وأما تدبير الأموال : فالوزير يوصان عن مباشرتها

(١) الإقدام : عدم التفهر والمراد الشجاعة (٢) المطبوع :
المصقول والمراد المشاكلة (٣) السجايأ جمع سجية : وهي الصفة أو الخلة
(٤) المناصفة : المساعدة والمشاركة

وَإِنَّمَا يَحْفَظُ دَخْلَهَا بِالْهَيْبَةِ وَالِاسْتِظْهَارِ ؛ وَيَضْبُطُ
خُرُوجَهَا بِالْحَاجَةِ وَالِاضْطِرَارِ . وَلِلتَّقْلِيدِ عَلَى كُلِّ
وَاحِدٍ مِنْهُمَا شُرُوطٌ

فَأَمَّا شُرُوطُ التَّقْلِيدِ عَلَى مُبَاشَرَةٍ دَخْلَهَا ؛ فَخَمْسَةٌ
شُرُوطٌ : أَحَدُهَا أَنْ يَكُونَ مَطْبُوعًا عَلَى الْعَدْلِ ،
لِيُنْصِفَ وَيَنْتَصِفَ : وَالثَّانِي أَنْ يَكُونَ مُتَدَيِّنًا بِالْأَمَانَةِ
لِيَسْتَوْفِيَ وَيُؤَوِّفَ : وَالثَّالِثُ أَنْ يَكُونَ كَافِيًا ، لِيَضْبُطَ
بِكِفَايَتِهِ وَلَا يَضِيعَ بِعَجْزِهِ : وَالرَّابِعُ أَنْ يَكُونَ
خَبِيرًا بِعَمَلِهِ ؛ يَعْرِفُ وَجُوهَ مَوَارِدِهِ ، وَأَسْبَابَ
زِيَادَتِهِ : وَالْخَامِسُ أَنْ يَكُونَ رَفِيقًا بِمُعَامَلَتِهِ غَيْرَ
عَسُوفٍ ^(١) وَلَا أَخْرَقَ ^(٢) . حُكِيَ أَنَّ الْإِسْكَنَدَرَ

(١) العسف : الظلم . والعسوف من بلغ من الظلم غايته

(٢) الأخرق : الأحمق ومن لا يحسن التصرف

كُتِبَ إِلَى مُعَلِّمِهِ لِيَسْتَشِيرَهُ فِي عُمَالِهِ . فَكُتِبَ
إِلَيْهِ : مَنْ كَانَ لَهُ عَيْدٌ فَأَحْسَنَ سِيَّاسَتَهُمْ فَوَلَّهِ
الْجُنْدَ . وَمَنْ كَانَتْ لَهُ ضِيعَةٌ ^(١) فَأَحْسَنَ تَدْيِيرَهَا
فَوَلَّهِ الْخَرَاجَ . وَوَصَفَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ زِيَادًا
فَقَالَ : كَانَ يَجْمَعُ جَمْعَ الذَّرَّةِ ^(٢) ، وَيَحْنُو حُنُوَّ الْأُمِّ
الْبَرَّةِ ^(٣) . وَهَذِهِ أَحْسَنُ سِيرَةٍ لِعَامِلٍ ، وَالْأَطْفَ حَالَةٍ
لِلْعَامِلِ ، يَحْظَى بِهِ مَنْ وَلَّاهُ وَيَسْعَدُ بِهِ مَنْ وُلِّيَ
عَلَيْهِ ، وَيُمَثِّلُهَا يَعْمُ الصَّلَاحُ وَتَتِمُّ الْإِسْتِقَامَةُ .

وَأَمَّا شُرُوطُ التَّقْلِيدِ عَلَى مُبَاشَرَةٍ خَرَجَهَا بَعْدَ
الْأَمَانَةِ الَّتِي هِيَ مَشْرُوطَةٌ فِي كُلِّ وَلَايَةٍ ، فَمُعْتَبَرَةٌ

(١) الضيعة : العقار والأرض المغلة (٢) الذرة : النملة الصغيرة

(٣) البرة : الرحمة التي تعطف وتشفق على أولادها

بأحوال الخرج . وَيَنْقَسِمُ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ : أَحَدُهَا
مَا كَانَ رَاتِبًا عَنْ رُسُومٍ مُسْتَقَرَّةٍ كَأَرْزَاقِ الْجُيُوشِ ؛
فَلِلتَّقْلِيدِ عَلَيْهِ شَرْطَانِ ، مَعْرِفَةُ مَقَادِيرِهَا ، وَمَعْرِفَةُ
مُسْتَحَقِّيَّهَا : وَالْقِسْمُ الثَّانِي مَا كَانَ عَارِضًا عَنْ أُمُورٍ
تَقَدَّمَتْهَا ، وَالنَّاظِرُ مَأْمُورٌ بِهَا كَالصَّلَاتِ وَحَوَادِثِ
النَّفَقَاتِ ، فَلِلتَّقْلِيدِ عَلَيْهِ شَرْطَانِ ، وَكُفُوفُهَا عَلَى
الْأَوَامِرِ ؛ وَمَعْرِفَةُ أَغْرَاضِ الْأَمْرِ : وَالْقِسْمُ الثَّلَاثُ
مَا كَانَ عَارِضًا فَوْضَ إِلَى رَأْيِ النََّاظِرِ وَوُكِّلَ إِلَى
تَقْرِيرِهِ ، كَالْمَصَارِحِ وَالنَّفَقَاتِ ، وَالتَّقْلِيدُ عَلَيْهِ أَوْفَى
شُرُوطِهَا ، لِوُكُوفِهَا عَلَى اجْتِهَادِهِ وَتَقْدِيرِهِ ، فَيَحْتَاجُ
مَعَ الْأَمَانَةِ إِلَى ثَلَاثَةِ شُرُوطٍ ، أَحَدُهَا مَعْرِفَةُ وَجْهِهِ
الْخَرْجِ حَتَّى لَا يُصْرَفَ فِي غَيْرِ حَقٍّ ، وَالثَّانِي الْإِقْتِصَادُ

فِيهِ حَتَّى لَا يُفْضِيَ إِلَى سَرَفٍ وَلَا تَقْصِيرٍ ، وَالثَّالِثُ
 اسْتِصْلَاحُ الْأَثْمَانِ وَالْأُجُورِ فِي غَيْرِ تَحْيِيفٍ ^(١)
 وَلَا غَبْنٍ ^(٢) .



وَأَمَّا الْعَزْلُ فَضَرْبَانِ :

العزل

أَحَدُهُمَا : مَا كَانَ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ فَهُوَ خَارِجٌ
 عَنِ السِّيَاسَةِ . لِأَنَّ لِلْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ أَسْبَابًا إِذَا
 تَجَرَّدَتْ عَنْهَا كَانَ الْفِعْلُ عَبَثًا ^(٣) ، وَالْكَلَامُ لَفْوًا ^(٤)
 لَا يَقْتَضِيهِ رَأْيٌ حَصِيفٌ ^(٥) ، وَلَا تُوجِبُهُ سِيَاسَةٌ
 لَيْبٍ . وَقَدْ قِيلَ : الْعَزْلُ أَحَدُ الطَّلَاقَيْنِ . فَكَمَا

(١) التحيف : الجور (٢) الغبن : الظلم (٣) البعث :

الخطأ (٤) اللغو : عديم الفائدة (٥) الحصيف : المستحکم

أَنَّهُ لَا يَحْسُنُ الطَّلَاقُ لِغَيْرِ سَبَبٍ كَذَلِكَ لَا يَحْسُنُ
 الْعَزْلُ لِغَيْرِ سَبَبٍ . وَإِذَا لَمْ يَثِقِ النَّازِرُ بِاسْتِدَامَةِ
 نَظَرِهِ مَعَ الْإِسْتِقَامَةِ ، عَدَلَ عَنْهَا إِلَى النَّظَرِ لِنَفْسِهِ ،
 فَعَادَ الْوَهْنُ ^(١) عَلَى عَمَلِهِ ، وَمَا يَكُونُ هَذَا الْعَزْلُ
 إِلَّا عَنْ فَشَلٍ أَوْ مَلَلٍ ^(٢) . وَقِيلَ : لَيْسَ جَزَاءُ مَنْ
 سَرَّكَ أَنْ تَسُوَّهُ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءَ : مَنْ حَسُنَ
 وَدَادُهُ قَبِحَ اسْتِفْسَادُهُ .

وَالضَّرْبُ الثَّانِي : أَنْ يَكُونَ الْعَزْلُ لِسَبَبٍ دَعَا
 إِلَيْهِ . وَأَسْبَابُهُ تَكُونُ مِنْ ثَمَانِيَةِ أَوْجُهٍ أَحَدُهَا
 أَنْ يَكُونَ سَبَبُهُ خِيَانَةً ظَهَرَتْ مِنْهُ ، فَالْعَزْلُ مِنْ
 حُقُوقِ السِّيَاسَةِ مَعَ اسْتِرْجَاعِ الْخِيَانَةِ وَالْمُقَابَلَةِ عَلَيْهَا

(١) الوهن : الضعف (٢) الملل : الضجر والسآمة

بِالزَّوْاجِرِ الْمُتَقَوِّمَةِ ، وَلَا يُؤَاخَذُ فِيهَا بِالظُّنُونِ وَالتَّهْمِ .
 فَقَدْ قِيلَ : مَنْ يَخُنْ يَهْنُ . وَالْوَجْهُ الثَّانِي أَنْ يَكُونَ
 سَبَبُهُ عَجْزُهُ وَقُصُورَ كِفَايَتِهِ ، فَالْعَمَلُ بِالْعَجْزِ مُضَاعٌ .
 وَقَدْ قِيلَ : الْعَجْزُ نَائِمٌ وَالْحَزْمُ يَقْظَانُ . وَهُوَ تَقْصُّ
 فِي الْعَاجِزِ . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَنْبًا فَلَا يَحُوزُ فِي السِّيَاسَةِ
 إِقْرَارُهُ عَلَى الْعَمَلِ الَّذِي عَجَزَ عَنْهُ ، ثُمَّ رُوِيَ عَجْزُهُ
 بَعْدَ عَزْلِهِ . فَإِنْ كَانَ لِثِقَلِ مَا تَقَلَّدَهُ مِنَ الْعَمَلِ ، جَازَ
 أَنْ يُقَلَّدَ مَا هُوَ أَسْهَلُ . وَإِنْ كَانَ لِقُصُورِ مُنْتَهَى
 وَضْعِهِ حَزْمِهِ ، لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لِتَقْلِيدِ وَلَا عَمَلِ .
 وَقَدْ رَوَى عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ
 أَنَّهُ قَالَ : لَا تُلْزِمُوا أَنْفُسَكُمْ حَقَّ مَنْ لَمْ يُلْزِمْ
 نَفْسَهُ حَقَّكُمْ . وَالْوَجْهُ الثَّلَاثُ أَنْ يَكُونَ سَبَبُ اخْتِلَالِ

الْعَمَلِ مِنْ عَسْفِهِ أَوْ مِنْ خُرْقِهِ ؛ فَهَذَا الْعَمَلُ زَائِدٌ
 عَلَى الْكَفَايَةِ وَخَارِجٌ عَنِ السِّيَاسَةِ ، وَالْوَزِيرُ الْمُتَقَلِّدُ
 فِيهِ بَيْنَ خِيَارَيْنِ : إِمَّا أَنْ يَعْزِلَهُ بِغَيْرِهِ ، وَإِمَّا أَنْ
 يَكْفُهُ عَنْ عَسْفِهِ وَخُرْقِهِ إِنْ كَفَّ^(١) ؛ وَيُحْوزُ أَنْ
 يَكُونَ مَرَصِدُ^(٢) التَّقْلِيدِ مَا تَدْعُو السِّيَاسَةُ فِيهِ إِلَى
 الْعُسُوفِ لِمَنْ شَاقَّ^(٣) وَنَافَرَ . فَقَدْ قِيلَ : لِكُلِّ
 بِنَاءٍ أَسْ^(٤) ، وَلِكُلِّ تَرْبَةٍ غَرْسٌ . وَالْوَجْهُ الرَّابِعُ
 أَنْ يَكُونَ سَبَبُهُ انْتِشَارَ الْعَمَلِ بِهِ مِنْ لِيْنِهِ وَقَلَّةِ
 هَيْئَتِهِ ، فَهَذَا السَّبَبُ مُوْهِنٌ لِّلْسِّيَاسَةِ . وَالْوَزِيرُ
 فِيهِ بَيْنَ خِيَارَيْنِ . إِمَّا أَنْ يَعْزِلَهُ بِمَنْ هُوَ أَقْوَى
 وَأَهْيَبُ ، وَإِمَّا أَنْ يَضُمَّ إِلَيْهِ مَنْ تَتَكَامَلُ بِهِ

(١) أى إن قدر (٢) المرصد الطريق . والمكان الذى يرصد فيه

العدو (٣) الشاق : المخالف والعاصى (٤) أصل وأساس

الْقُوَّةُ وَالْهَيْبَةُ ، وَخِيَارُهُ فِيهِ مُعْتَبَرٌ بِالْأَصْلَحِ .
وَيَحُوزُ أَنْ يُقْلَدَ بَعْدَ صَرْفِهِ مَا لَا يَسْتَضِرُّ فِيهِ
بِضَعْفِهِ . وَقَدْ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ
وَجْهَهُ : لَا خَيْرَ فِي مُعِينٍ ^(١) مَهِينٍ ^(٢) وَلَا فِي صَدِيقٍ
ضَنِينٍ ^(٣) . وَالْوَجْهُ الْخَامِسُ أَنْ يَكُونَ سَبَبُهُ فَضْلُ
كِفَايَتِهِ وَظُهُورُ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ فِيمَا هُوَ أَكْثَرُ مِنْ
عَمَلِهِ ، فَهَذَا أَجَلٌ وَجُوهُ الْعَزْلِ ، وَلَيْسَ بِعَزْلٍ فِي
الْحَقِيقَةِ ، وَإِنَّمَا هُوَ ثَقُلٌ مِنْ عَمَلٍ إِلَى عَمَلٍ هُوَ
أَجَلٌ مِنْهُ ، فَصَارَ بِهَذَا الْعَزْلِ زَائِدَ الرُّتْبَةِ . وَقَدْ
قَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : النَّاسُ فِي الْعَمَلِ رَجُلَانِ ؛ رَجُلٌ
يَجِلُّ بِهِ الْعَمَلُ لِفَضْلِهِ وَرِيَّاسَتِهِ . وَرَجُلٌ يَجِلُّ

(١) المعين : المساعد (٢) مهين : مختقر (٣) ضنين : متهم

بِالْعَمَلِ لِنَقْصِهِ وَدَنَاءَتِهِ^(١) . فَمَنْ جَلَّ بِهِ الْعَمَلُ
 ازْدَادَ تَوَاضُعًا وَيُسْرًا ، وَمَنْ جَلَّ بِالْعَمَلِ ازْدَادَ
 بِهِ شَرَفًا وَكِبْرًا . وَالْوَجْهُ السَّادِسُ أَنْ يَكُونَ
 سَبَبُهُ وُجُودَ مَنْ هُوَ أَكْفَأُ مِنْهُ ، فَيَرَاعَى حَالُ
 الْأَكْفَاءِ . فَإِنْ كَانَ فَضْلُ كِفَايَتِهِ مُؤَثِّرًا فِي زِيَادَةِ
 الْعَمَلِ بِهِ كَانَ مِنْ لَوَازِمِ السِّيَاسَةِ ، وَلَمْ يَسْغُ فِيهَا
 إِقْرَارُهُ عَلَى عَمَلِهِ . وَإِنْ لَمْ يُؤَثِّرْ فِي زِيَادَةِ الْعَمَلِ
 كَانَ عَزْلُ النَّظِيرِ مِنْ طَرِيقِ الْأَوَّلَى فِي تَقْدِيمِ
 الْأَكْفَاءِ ، وَتَخْيِيرِ الْأَعْوَانِ . وَإِنْ جَازَ فِي السِّيَاسَةِ
 إِقْرَارُ النَّظِيرِ عَلَى عَمَلِهِ لِنُهْوضِهِ بِهِ . وَقَدْ قِيلَ :

(١) الدناءة : خسة النفس

إِذَا ذَهَبَ الْمُمَيِّزُ هَلَكَ الْمُبَرِّزُ . وَالْوَجْهُ السَّابِعُ
 أَنْ يَكُونَ سَبَبُهُ أَنْ يَخْطُبَ عَمَلُهُ مِنَ الْكُفَاةِ مَنْ
 يَبْذُلُ زِيَادَةً فِيهِ ؛ فَلَا يَحْجُوزُ عَزْلُهُ بِبَذْلِ الزِّيَادَةِ
 حَتَّى يَكْشِفَ عَنْ سَبَبِهَا ، فَرُبَّمَا يُخْرِجُهُ بِهَا الْبَاذِلُ
 لِرَغْبَةٍ فِي الْعَمَلِ ، أَوْ لِعِدَاوَةٍ فِي الْعَامِلِ . فَإِنْ لَمْ
 يَظْهَرْ لَهَا بَعْدَ الْكَشْفِ مُوجِبٌ لَمْ يَحْزُ فِي السِّيَاسَةِ
 عَزْلُهُ بِهَذَا الْبَذْلِ الْكَاذِبِ . وَكَانَ الْبَاذِلُ جَدِيرًا
 بِالْإِبْعَادِ لِابْتِدَائِهِ بِالْأَفْعَالِ . فَإِنْ ظَهَرَ مُوجِبُ
 الزِّيَادَةِ لَمْ يَخْلُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : أَحَدُهَا أَنْ
 يَكُونَ لِتَقْصِيرِ النَّاطِرِ ، فَيَجِبُ عَزْلُهُ ، وَالْوَزِيرُ
 بَعْدَ عَزْلِهِ بَيْنَ خِيَارَيْنِ : إِمَّا أَنْ يُقْلَدَ الْبَاذِلُ ،
 أَوْ يُقْلَدَ غَيْرُهُ مِنَ الْكُفَاةِ : وَالْقِسْمُ الثَّانِي أَنْ

يَكُونُ مُوجِبًا فَضْلَ كِفَايَةِ الْبَاذِلِ ، فَيَجِبُ عَزْلُهُ
بِالْبَاذِلِ دُونَ غَيْرِهِ : وَالْقِسْمُ الثَّالِثُ أَنْ يَكُونَ
سَبَبًا عَسْفَ الْبَاذِلِ وَخُرْقَهُ ؛ فَلَا يَجُوزُ فِي السِّيَاسَةِ
عَزْلُ النَّاطِرِ وَلَا تَقْرِيبُ الْبَاذِلِ ، فَرُبَّمَا مَالَ إِلَى
الزِّيَادَةِ مَنْ تَعَاَصَى عَنِ الْعَزْلِ فَعُزِلَ ، وَقُلْدَ فَصَارَ
هُوَ الْعَاسِفَ الْمُجَازِفَ . وَالْوَجْهُ الثَّامِنُ أَنْ يَكُونَ
سَبَبُهُ أَنَّ النَّاطِرَ مُؤْتَمَنٌ ، فَيَخْطُبَ عَمَلُهُ ضَامِنٌ ؛
فَتَضْمِينُ الْأَعْمَالِ خَارِجٌ عَنْ قَوَائِنِ السِّيَاسَةِ
الْعَادِلَةِ ، لِأَنَّ الْمُؤْتَمَنَ عَلَيْهَا إِذَا كَانَ كَافِيًا اسْتَوْفَى
مَا وَجَبَ ، وَكَفَّ عَمَّا لَمْ يَجِبْ ، وَهَذَا هُوَ الْعَدْلُ .
وَالضَّامِنُ إِنْ ضَمِنَهَا بِمِثْلِ ارْتِفَاعِهَا لَمْ يُؤَثَّرْ ،
وَإِنْ ضَمِنَهَا بِأَكْثَرِ مِنْهُ تَحَكَّمَ فِي عَمَلِهِ ، وَكَانَ بَيْنَ

عَسْفٍ أَوْ هَرَبٍ : كَأَنَّهُ ضَمِنَ لِيَغْنَمَ لَا لِيَغْرَمَ .
 حِكِيَّ أَنْ الْمَأْمُونُ : عَزَمَ عَلَى تَضْمِينِ السَّوَادِ وَعِنْدَهُ
 عُيَيْدُ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ الْعَنْبَرِيُّ الْقَاضِي . فَقَالَ لَهُ :
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ دَفَعَهَا إِلَيْكَ
 أَمَانَةً ، فَلَا تُخْرِجْهَا مِنْ يَدِكَ قِبَالَةً ^(١) . فَعَدَلَ
 عَنِ الضَّمَانِ .

فَهَذَا تَفْصِيلُ مَا تَعَلَّقَ بِوَزَارَةِ التَّفْوِيضِ مِنْ
 عَقْدٍ وَحَلٍّ وَتَقْلِيدٍ وَعَزْلِ .

✱ ✱

وَأَمَّا وَزَارَةُ التَّنْفِيدِ : فَهِيَ أَخْصُ ، لِقُصُورِهَا
 عَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ وَزَارَةُ التَّفْوِيضِ وَاخْتِصَاصُهَا
 مِنْ عُمُومِ التَّفْوِيضِ بِأَرْبَعَةِ قَوَانِينِ :

(١) القباله : الرهن

الفصل الأول من قَوَائِنِهَا : السَّفَارَةُ بَيْنَ
 الْمَلِكِ وَأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، لِأَنَّ الْمَلِكَ مُعَظَّمٌ بِالْحِجَابِ
 مَصُونٌ عَنِ الْمُبَاشَرَةِ بِالْخُطَابِ ، فَاقْتَضَى أَنْ يُخْتَصَّ
 بِسَفِيرٍ مُحْتَشِمٍ^(١) وَوَزِيرٍ مُعَظَّمٍ ، يُطَاعُ فِيمَا يُورِدُهُ
 عَنْهُ مِنَ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي ، وَيَهَابُ فِيمَا يَتَحَمَّلُهُ إِلَيْهِ
 مِنَ الْمَطَالِبِ وَالْمُبَاغِي ؛ لِيَكُونَ لِلْمَلِكِ لِسَانًا نَاطِقًا
 وَآذَنًا وَاعِيَةً . وَهَذِهِ السَّفَارَةُ مُخْتَصَّةٌ بِخَمْسَةِ أَصْنَافٍ .
 أَحَدُهَا : السَّفَارَةُ بَيْنَ الْمَلِكِ وَأَجْنَادِهِ ، فَيَحْمِلُهُمْ
 عَلَى أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ وَيَتَنَجَّزُ لَهُمْ مِنَ الْمَلِكِ مَا
 اسْتَوْجَبُوهُ وَسَأَلُوهُ ؛ وَيَحْتَاجُ فِي سِفَارَتِهِ مَعَهُمْ إِلَى

(١) المحتشم : اسم فاعل من احتشم . وحشم الرجل خاصته الذين
 يفضيئون له من أهل أو عبيد أو جيران إذا أصابه أمر . وحشم الملك خاصته
 الذين يحتشمون المحارم ويتوقونها

أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ اللَّيْنِ وَالْعُنْفِ ، وَالْخُشُونَةِ وَاللُّطْفِ ،
لَا تَقْيَادِهِمْ إِلَى طَاعَتِهِ بِالرَّغْبَةِ ^(١) وَالرَّهْبَةِ ^(٢) . وَالثَّانِي
السَّفَارَةُ بَيْنَ الْمَلِكِ وَعُمَّالِهِ ، فَيَسْتَوْفِي نِظَارَةَ الْأَعْمَالِ
وَيَتَصَحَّفُ أَحْوَالُ الْعُمَالِ لِيَسْتَدْرِكَ خَلَلًا ^(٣) إِنْ كَانَ ،
وَيَسْتَدِيمُ صَلَاحًا إِنْ وَجَدَ ؛ وَيَحْتَاجُ فِي هَذِهِ السَّفَارَةِ
إِلَى اسْتِعْمَالِ الرَّهْبَةِ خَاصَّةً ، لِيَكْفَهُمْ عَنْ اخْتِيَانَةٍ وَيَبْعَثَهُمْ
عَلَى الْأَمَانَةِ . وَالثَّالِثُ السَّفَارَةُ بَيْنَ الْمَلِكِ وَرَعِيَّتِهِ
لِيَتَصَدَّقَ بِإِنْصَافِهِمْ ؛ وَيُصْنَعَ إِلَى ظُلَامَاتِهِمْ فِيمُضَى
مَا تَيَسَّرَ لَهُ وَيُنْهَى مَا تَعَسَّرَ عَلَيْهِ . وَيَحْتَاجُ فِي هَذِهِ
السَّفَارَةِ إِلَى اسْتِعْمَالِ اللَّيْنِ وَاللُّطْفِ ، لِيَصِلُوا إِلَى اسْتِيفَاءِ

(١) أى باختيارهم (٢) الرهبة : الخوف (٣) خلا : أى نقصاً

الظُّلَامَةِ ، وَيَسْتَدْفِعُوا ذُلَّ الْإِسْتِضَامَةِ^(١) . وَالرَّابِعُ
السَّفَارَةُ فِي اسْتِيفَاءِ حُقُوقِ السَّلْطَنَةِ الَّتِي لِلْمَلِكِ وَعَلَيْهِ ،
مِنْ غَيْرِ مُبَاشَرَةٍ قَبْضٍ وَلَا تَنْقِصٍ . وَيُحْتَاجُ فِي
هَذِهِ السَّفَارَةِ إِلَى الرَّهْبَةِ فِيمَا يَسْتَوْفِيهِ لِلْمَلِكِ ، وَإِلَى
اللُّطْفِ فِيمَا يَتَنَجَّزُهُ^(٢) مِنَ الْمَلِكِ . وَالْخَامِسُ السَّفَارَةُ
فِي اخْتِيَارِ الْعَمَالِ وَمُشَارَفَةِ الْأَعْمَالِ ، لِيُنْهِيَ حَالِ
مَنْ يَرَى تَقْلِيدَهُ أَوْ عَزْلَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُبَاشِرَ تَقْلِيدًا
وَلَا عَزْلًا ، لِأَنَّ التَّقْلِيدَ وَالْعَزْلَ دَاخِلٌ فِي وَزَارَةِ
التَّفْوِيزِ ، وَخَارِجٌ عَنِ وَزَارَةِ التَّنْفِيزِ ، وَالْمَلِكُ هُوَ
الَّذِي يَأْمُرُ بِالتَّقْلِيدِ أَوْ الْعَزْلِ إِنْ لَمْ يُبَاشِرْهُ ، وَشُرُوطُ
هَذِهِ السَّفَارَةِ : أَنْ يَكُونَ جَيِّدَ الْحَدْسِ^(٣) ، صَحِيحَ

(١) الضيم : الظلم والقهر . والمراد بالاستئمامة ههنا دفع ما نزل بهم
من الظلم والقهر (٢) يتنجزه : يطلب إنجازه (٣) الحدس : الفراسة .

الِاخْتِيَارِ ، قَلِيلَ الْإِغْتِرَارِ ، عَارِفًا بِكِفَايَةِ الْعُمَالِ ،
وَمَقَادِيرِ الْأَعْمَالِ ، لِيُحْمَدَ اخْتِيَارُهُ ، وَيَقِلَّ عِثَارُهُ .



وَالْفَصْلُ الثَّانِي مِنْ قَوَانِينِ هَذِهِ الْوِزَارَةِ ، أَنْ
يُمَدَّ الْمَلِكُ بِرَأْيِهِ وَمَشُورَتِهِ ، فَإِنَّ الْمَلِكَ مَعَ جَزَالَةٍ^(١)
رَأْيِهِ وَصَحَّةِ رَوِيَّتِهِ^(٢) مُحْجُوبُ الشَّخْصِ عَنْ مُبَاشَرَةِ
الْأُمُورِ . فَصَارَ مُحْجُوبَ الرَّأْيِ عَنِ الْخِبْرَةِ بِهَا .
فَاحْتَاجَ إِلَى بَارِزِ الشَّخْصِ بِالْمُبَاشَرَةِ ، لِيَكُونَ بَارِزَ
الرَّأْيِ بِالْخِبْرَةِ . فَلَيْسَ الشَّاهِدُ كَالْغَائِبِ ؛ وَلَا الْمُخْبِرُ
كَالْمُعَايِنِ ، وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايِنَةِ » . وَالْوَزِيرُ أَخْصُ بِهِذِهِ

المشورة
والرأى

(١) جزالة الرأي : جودته ومئاته (٢) رويته : أى نظره وتفكيره

الْمَرْتَبَةِ ، فَكَانَ أَحَقَّ بِالرَّأْيِ وَالْمَشُورَةِ . وَذُكِرَ
 فِي كُتُبِ الْفُرُسِ : أَنَّ لِلْوَزِيرِ عَلَى الْمَلِكِ ثَلَاثًا :
 رَفَعَ الْحِجَابَ عَنْهُ ، وَاتَّهَمَ الْوُشَاةَ عَلَيْهِ ، وَإِفْشَاءَ
 السِّرِّ إِلَيْهِ . وَقِيلَ فِي حِكْمَةِ آلِ دَاوُدَ : الْفِضَّةُ
 وَالذَّهَبُ يُثَبِّتَانِ الْقَدَمَ ، وَأَفْضَلُ مِنْهُمَا الْمَشُورَةُ الصَّالِحَةُ ،
 وَلِلْوَزِيرِ أَنْ يَسْتَشِيرَ فِيمَا يُشَاوِرُ فِيهِ الْمَلِكُ إِذَا
 لَمْ يَكُنْ سِرًّا مَكْتُومًا . وَلَيْسَ لِغَيْرِ الْوَزِيرِ أَنْ
 يَسْتَشِيرَ فِيمَا يُسْتَشَارُ ، لَوْ قُوعِ الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا مِنْ
 وَجْهَيْنِ . أَحَدُهُمَا : أَنَّ الْوَزِيرَ مُخْتَصَّ مِنْ مَصَالِحِ
 الْمَلِكِ بِمَا يَقْصُرُ عَنْهُ مَنْ عَدَاهُ ، فَلَزَمَهُ مِنْ
 الْإِسْتِظْهَارِ مَا لَا يَلْزَمُ مَنْ سِوَاهُ . وَالثَّانِي :
 أَنَّ اسْتِشَارَةَ الْوَزِيرِ عَائِدَةٌ إِلَى مَصَالِحِ الْمَلِكِ

فَعَمَّتْ ، وَاسْتِشَارَةَ غَيْرِهِ عَائِدَةً إِلَى رَأْيِهِ فَخَصَّتْ ،
 وَيَخْتَلِفُ أَهْلُ الشُّورَى بِاخْتِلَافِ الْأَرْبِ ^(١) الْمَقْصُودِ .
 كَمَا قَالَ الْحُكَمَاءُ : شَاوِرِ الشُّجْعَاءِ فِي أَوْلَى الْعِزْمِ ^(٢) ،
 وَالْجُبَنَاءِ فِي أَوْلَى الْحَزْمِ ^(٣) ؛ لِتَخْرُجَ مِنْ مَعَرَةٍ ^(٤)
 تَقْصِيرِ الْجَبَانِ ^(٥) ، وَتَهْوُرَ ^(٦) الشُّجْعَانِ ، وَيَتَخَلَّصَ
 لَكَ مِنَ الرَّأْيَيْنِ نَتِيجَةُ الصَّوَابِ . وَلِلْوَزِيرِ فِي
 الْمَشُورَةِ حَالَتَانِ . إِحْدَاهُمَا : أَنْ يَبْتَدِئَهُ الْمَلِكُ
 بِالْإِسْتِشَارَةِ ، فَيَلْزِمُهُ أَنْ يُشِيرَ بِرَأْيِهِ فِيهَا سَوَاءً
 اخْتَصَّتْ بِمُلْكِهِ أَمْ تَعَدَّتْهُ إِلَى غَيْرِهِ . وَقَالَ

(١) الأرب : الحاجة (٢) العزم : الجد والثبات والصبر

(٣) الحزم : ضبط الأمر (٤) المعرة : المساءة والأمر القبيح

(٥) الجبان : الضعيف الهيبوب كثير الخوف (٦) تهوّر الرجل :

وقع في الأمر من غير مبالاة ولا روية

عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ : رُبَّمَا أَخْطَأَ الْبَصِيرُ
 قَصْدَهُ ، وَأَصَابَ الْأَعْمَى رُشْدَهُ . وَعَلَى الْوَزِيرِ فِيهَا
 حَقَّانِ . أَحَدُهُمَا اجْتِهَادُ رَأْيِهِ فِي إِضَاحِ الصَّوَابِ .
 وَالثَّانِي إِبَانَةُ صِحَّتِهِ بِتَعْلِيلِ الْجَوَابِ ، لِيَكُونَ مُحْتَجًّا
 فَيَكْفِي تَوْفِيقُ الزَّلَّلِ ، وَيَسْلَمَ مِنْ مَظِنَّةِ الْإِرْتِيَابِ .
 وَالْحَالُ الثَّانِيَةُ : أَنَّ يَتَدَيَّ الْوَزِيرُ بِالْمَشُورَةِ عَلَى
 الْمَلِكِ ، فَلَهُ فِيهَا حَالَتَانِ . إِحْدَاهُمَا أَلَّا يَتَعَلَّقَ
 بِمَشُورَتِهِ اجْتِلَابُ نَفْعٍ وَلَا اسْتِدْفَاعُ ضَرَرٍ ، فَهَذَا
 تَجَوُّزٌ مِنَ الْوَزِيرِ وَتَبَسُّطٌ عَلَى الْمَلِكِ . إِنَّ أَنْكَرَهُ
 فَبِحَقِّهِ ، وَإِنْ احْتَمَلَهُ فَبِفَضْلِهِ . فَقَدْ قِيلَ : كَثْرَةُ
 النَّصِيحِ تَهْجِمُ^(١) عَلَى سُوءِ الظَّنِّ . وَالثَّانِيَةُ أَنَّ يَتَعَلَّقَ

بِمَشُورَتِهِ اجْتِلَابُ نَفْعٍ وَاسْتِدْفَاعُ ضَرَرٍ، فَإِنْ اخْتَصَّ
 بِالْمَمْلَكَةِ كَانَ مِنْ حُقُوقِ الْوَزَارَةِ، وَإِنْ جَاوَزَهَا
 كَانَ مِنْ نَصَحِ الْوَزِيرِ. وَعَلَيْهِ أَنْ يَذْكَرَ سَبَبَ
 ابْتِدَائِهِ وَيُوضِّحَ صَوَابَ رَأْيِهِ، وَإِذَا اسْتَقَرَّ
 الْأَحْزَمُ^(١) عَلَى مَا اقْتَضَاهُ الرَّأْيُ لَزِمَهُ فِيمَا يُؤَدِّي بِهِ مِنَ
 الْإِسْتِشَارَةِ، وَيُبْدِي بِهِ مِنَ الْمَشُورَةِ أَنْ يَكْتُمَهُ عَنْ
 كُلِّ خَاصٍّ وَعَامٍّ لِأَمْرَيْنِ. أَحَدُهُمَا: أَنَّ الرَّأْيَ
 يَجِبُ أَنْ يَظْهَرَ بِالْأَفْعَالِ دُونَ الْأَقْوَالِ، لِأَنَّ ظُهُورَهُ
 بِالْفِعْلِ ضَرَرٌ، وَظُهُورُهُ بِالْقَوْلِ خَطَرٌ. وَقَدْ قِيلَ:
 مِنْ وَهْنٍ^(٢) الْأَمْرُ إِعْلَانُهُ قَبْلَ إِحْكَامِهِ^(٣). وَالثَّانِي:
 أَنَّهُ مِنْ أَسْرَارِ الْمُلْكِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ تُكْتَمَ فِي

(١) الْأَحْزَمُ: ضَائِبُ الرَّأْيِ (٢) وَهْنُ الْأَمْرِ: ضَعْفُهُ

(٣) أَحْكَمُ الْأَمْرِ: أَحْسَنُ تَدْيِيرِهِ

الصدور ، وَتَصَانَ فِي الظُّهُورِ ، لِلْجَمْعِ يَيْنَ تَأْدِيَةِ
 الْأَمَانَةِ ، وَطَلَبِ السَّلَامَةِ ، فَإِنَّ فِي إِفْشَاءِ أَسْرَارِ
 الْمُلْكِ خَطَرًا بِهِ وَبِمَنْ أَفْشَاهَا . وَقَدْ قِيلَ : كَشَفُ
 الْأَسْرَارِ مِنْ شِيمٍ ^(١) الْأَشْرَارِ . فَلِذَلِكَ قِيلَ :
 الْوَاقِيَةُ ^(٢) خَيْرٌ مِنَ الرَّاقِيَةِ ^(٣) . وَلَقَلَّمَا تَعَفُّو الْمُلُوكُ
 عَمَّنْ يُفْشِي أَسْرَارَهُمْ لَتَرُدُّهُ يَيْنَ خِيَانَةٍ وَجِنَايَةٍ .
 وَأَحْسَنُ أَحْوَالِهِ فِيهَا إِنْ سَلِمَ أَنْ يَغُضَّ عَنْهُ فَيَذَلَّ ،
 أَوْ يَخْنَى فَيَقِلَّ . وَقَدْ قِيلَ فِي بَعْضِ أَسْفَارٍ ^(٤)
 بَنَى إِسْرَائِيلَ : لِسَانَ الْجَاهِلِ وَقَلْبُهُ وَاحِدٌ . وَقِيلَ
 فِي مَثُورِ الْحَكَمِ : لِسَانَ الْجَاهِلِ مِفْتَاحُ حَتْفِهِ ^(٥) .

(١) شيم : جمع شيمة : وهي الخصلة (٢) الواقية : التي تخاف

المشي في الأرض الغليظة والمراد الحافظة (٣) الراقية : المعوذة

(٤) الأسفار : الكتب (٥) الحنف : الهلاك

وَلِذَلِكَ قِيلَ : صُدُّوا الْأَحْرَارَ قُبُورُ الْأَسْرَارِ . وَقَدْ يَسَعِدُ
بِكْتُمْ أَسْرَارِهِمْ مَنْ تَعَرَّى عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ ،
وَتَجَرَّدَ عَمَّا سِوَاهُ مِنَ الْوَسَائِلِ ، لِأَنَّهُ قَدْ صَارَ خَازِنًا
لِأَهْلِ الذَّخَائِرِ ، وَمُؤْتَمِنًا عَلَى أَنْفُسِ الْوَدَائِعِ ؛ إِذَا سَلِمَ
مِنَ الْإِذْلَالِ بِهَا . فَلَنْ تَزِلَّ الْأَقْدَامُ عِنْدَ الْمُلُوكِ
بِمَثَلِ الْإِذْلَالِ . وَقَلَّ مُدِلٌّ سَلِمَ مِنْ ذُلِّ . وَلَآنَ
تَزْدَادُ انْقِبَاصًا إِذَا بَسَطَهُ قَتَرْدَادَ إِكْرَامًا أَوْلى
بِذِي الْحَصَافَةِ مِنْ ضِدِّهَا . وَقَدْ قِيلَ : مَنْ بَسَطَهُ
الْإِذْلَالُ قَبَضَهُ الْإِذْلَالُ . وَقَدْ قِيلَ فِي مَشُورِ الْحُكْمِ :
إِذَا زَادَكَ الْمَلِكُ تَأْنِيْسًا ، فَزَدَهُ إِجْلَالًا .



وَالْفَصْلُ الثَّلَاثُ مِنْ قَوَانِينِ هَذِهِ الْوَزَارَةِ : أَنْ

عناية
الوزير
بالمليك

يَكُونُ عَيْنًا لِلْمَلِكِ نَاضِرَةً . وَأَذُنًا سَامِعَةً ، يُنْهَى مَا شَاهَدَ
 عَلَى حَقِّهِ ؛ وَيُخْبَرُ بِمَا سَمِعَ عَلَى صِدْقِهِ ؛ لِأَنَّهُ قَدْ سُوِّهُمَ
 بِالْمُلْكِ وَمُيِّزَ بِالِاخْتِصَاصِ ، وَنُدِبَ لِلْمَصَالِحِ . فَلَزِمَ أَنْ
 يَتَخَصَّصَ بِمَصَالِحِ الْمَلِكِ ؛ فَيَقُومَ مَقَامَهُ فِي مُشَاهَدَةِ
 مَا غَابَ ، وَسَمَاعِ مَا بَعْدَ ، لِتَقْدُّمِهِ عَلَى مَنْ سِوَاهُ ، وَعَلَيْهِ
 فِي ذَلِكَ ثَلَاثَةُ حُقُوقٍ . أَحَدُهَا : أَنْ يُدِيمَ الْفَحْصَ
 عَنْ أَحْوَالِ الْمَمْلَكَةِ ، حَتَّى يَعْلَمَ مَا غَابَ كَعِلْمِهِ بِالْحَاضِرِ ؛
 وَيَعْلَمَ مَا خَفِيَ كَعِلْمِهِ بِالظَّاهِرِ ؛ فَلَا يَتَدَلَّسَ عَلَيْهِ حَقٌّ
 أَمْرٍ مِنْ بَاطِلِهِ ، وَلَا يَسْتَبْهَ عَلَيْهِ صِدْقُ قَوْلٍ مِنْ
 كَذِبِهِ . فَقَدْ قِيلَ : الْحَقُّ أُبْلَجٌ ^(١) وَالْبَاطِلُ جَلَجٌ ^(٢) ،
 فَإِنْ قَصَرَ فِيهَا حَتَّى خَفَيْتَ ، أَوْ اسْتَرْسَلَ فِيهَا حَتَّى

(١) بليج الحق : وضع وظهر . (٢) الباطل لجليج : خفي مستتر .

تَدَلَّسْتُ ، كَانَ مُوَآخِذَا بِجُرْمِ التَّقْصِيرِ وَجَرِيرَةٍ^(١)
الضَّرَرِ . وَالثَّانِي : أَلَّا يُعَجَّلَ مُطَالَعَةُ الْمَلِكِ بِهَا وَلَا
يُؤَخَّرَهَا . وَإِنْ جَازَ تَأْخِيرُ الْعَمَلِ بِهَا . لِأَنَّ عَلَيْهِ
الْإِنْهَاءَ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ الْعَمَلُ . وَقَدْ قِيلَ فِي حِكْمَةِ
آلِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الَّذِي يَكْتُمُ جَهْلَهُ ؛ خَيْرٌ مِنَ
الَّذِي يَكْتُمُ حِكْمَتَهُ . وَإِذَا كَانَ مِنْهُ بِمَنْزِلَةِ عَيْنِهِ
النَّاطِرَةِ وَأُذُنِهِ السَّامِعَةِ أَلَّا يَتَعَجَّلُ الْعِلْمَ بِهَا ، وَجَبَ
أَنْ يَجْرِيَ مَعَهُ عَلَى حُكْمِهَا ، لِيَسْتَدْرِكَ الْمَلِكُ مَا يَحِبُّ
تَعَجُّلُهُ ، وَيُقَدِّمَ الرُّوْيَةَ فِيمَا يَحُوزُ تَأْخِيرُهُ ، فَإِنْ أَخَّرَ
الْوَزِيرُ إِعْلَامَ الْمَلِكِ بِهَا وَقَدْ حَسَمَ ضَرَرَهَا كَانَ لِلنَّصِيحَةِ
مُؤَدِّيًّا ؛ وَمِنْ الْمَلِكِ عَلَى وَجَلٍ^(٢) . وَمِنْ هَذَا الْوَجْهِ خَالَفَ

(١) الجريرة : الذنب (٢) الوجل : الخوف

وَزِيرَ التَّفْوِيضِ فِي قِيَامِهِ بِتَدْيِيرِهَا ، دُونَ الْمُطَالَعَةِ بِهَا ،
لِأَنَّ ذَلِكَ مَقْصُورٌ عَلَى الْإِنْهَاءِ ، وَذَلِكَ مَنْدُوبٌ لِلْعَمَلِ
وَالثَّلَاثُ : أَنْ يُوضَّحَ لَهُ حَقَائِقُ الْأُمُورِ وَيُسَاوَى فِيهَا
بَيْنَ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ ، وَلَا يُمَآيِلُ ^(١) قَرِيبًا وَلَا
يَتَحَيَّفُ ^(٢) بَعِيدًا ، وَلَا يُعْظَمُ مِنَ الْأُمُورِ صَغِيرًا وَلَا
يُصَغَّرُ مِنْهَا عَظِيمًا ، فَإِنْ مَنْ خَافَ مِنْ صِغَارِ الْأُمُورِ
أَنْ تَصِيرَ كِبَارًا ، أَوْ مِنْ كِبَارِهَا أَنْ تَعُودَ صِغَارًا ،
أَخْبَرَ بِحَقَائِقِهَا فِي الْمَبَادِي مُخْبِرًا ، وَفِي الْغَايَاتِ مُشِيرًا ،
فَإِنْ أَخْبَرَ بِالْغَايَاتِ وَأَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِ الْمَبَادِي ،
كَانَ تَدْلِيْسًا لَخَبْرِهِ بِمَشُورَتِهِ ، فَلَمْ يُؤَدِّ الْأَمَانَةَ
فِي خَبْرِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مُنَاصَحَتِهِ . فَكَانَ

(١) لَا يُمَآيِلُ لَا يَمْجَانِي (٢) التَّحَيُّفُ : الْجَوْرُ

بِأَلَّا نَكَارَ حَقِيقًا وَبِالذَّمِّ جَدِيرًا . وَقَدْ قِيلَ : رَبَّ
صَبَابَةٍ غُرِسَتْ مِنْ حُلْطَةٍ ، وَحَرْبٍ جُنَيْتٍ مِنْ لَفْظَةٍ .



وَالْفَصْلُ الرَّابِعُ مِنْ قَوَائِنِ هَذِهِ الْوَزَارَةِ :
أَنْ يَفْتَدِيَ وَاحِدَةَ الْمَلِكِ بِتَعْبِهِ ، وَيَقِي^(١) دَعَتَهُ^(٢)
بِنَصَبِهِ^(٣) ، وَلَا يَغِيبَ إِذَا أُرِيدَ ، وَلَا يَسَامَ إِذَا أُعِيدَ ؛
لِأَنَّهُ لِسَانُ الْمَلِكِ إِذَا نَطَقَ ، وَعَيْنُهُ إِذَا رَمَقَ^(٤) ،
وِيَدُهُ إِذَا بَطَشَ ، فَلَا يَبْعُدُ عَنْ دُعَائِهِ ، وَلَا يَضْجَرُ
مِنْ نِدَائِهِ ، لِأَنَّ عَوَارِضَ الْمَلِكِ مِنْ هَوَاجِسِ^(٥)
أَفْكَارِهِ وَتَقَلُّبِ خَاطِرِهِ . وَقَدْ يَتَجَدَّدُ مَعَ الْأَوْقَاتِ
مَا لَا يَعْرِفُ أَسْبَابَهُ ، وَلَا تَتَعَيَّنُ أَوْقَاتُهُ . فَلْيَكُنْ

حرس
الوزير
على
مصالح
الملك

(١) يقى : يحفظ (٢) الدعة : الراحة (٣) النصب : التعب

(٤) رمق : نظر . (٥) الهواجس : الحواطر

عَلَى رَصَدٍ مِنْهَا حَتَّى لَا تَقِفَ بِهِ أَغْرَاضُ الْمَلِكِ ،
فَيُقْضَى إِلَى نُفُورٍ أَوْ ضَجَرٍ ، وَهُوَ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ
مِنْهُمَا عَلَى خَطَرٍ . لِأَنَّهُ قَدْ يُؤَاخِذُ بِالْجَرِيرَةِ قَبْلَ
ظُهُورِهَا ؛ وَيُعَاقِبُ عَلَى الصَّغِيرَةِ مِثْلَ كَبِيرِهَا ، إِذَا
حَكَمَ بِالْهَوَى ، وَوَثَبَ ^(١) بِالْقُدْرَةِ . وَمِنْ هَذَا الْوَجْهِ
خَالَفَ وَزِيرَ التَّفْوِيضِ الَّذِي يُحُوزُ أَنْ يَتَأَخَّرَ بِمُبَاشَرَةِ
الْأُمُورِ ؛ عَنْ مُوَاصَلَةِ الْحُضُورِ . وَهَذَا الْوَزِيرُ
مَقْصُورٌ عَلَى الْحُضُورِ دُونَ الْعَمَلِ ، فَصَارَ هَذَا أَكْثَرَ
تَقْلًا ، وَذَلِكَ أَكْثَرَ عَمَلًا . وَرُبَّمَا مَلَّ الْمُلَازِمَةُ
فَاعْقَبَتْهُ أَسْفًا إِذَا فَارَقَهَا ، لِأَنَّ فِي مُلَازِمَتِهِ لِلْمَلِكِ
نَصَبًا يَقْتَرِنُ بِعِزٍّ ، وَفِي مُتَارَكَتِهِ رَاحَةً تَوْثُلُ إِلَى

(١) وثب : قفز

ذَلِ ، وَهُمَا مَا هُمَا فِي التَّبَآئِنِ . فَلْيَخْتَرْ لِنَفْسِهِ مَا وَاَقْتَحَمَا
 مِنْ عِزٍّ يَحْتَدِبُهُ بِالْكَدِّ^(١) ، أَوْ ذَلٍّ يُوْثِلُ إِلَيْهِ
 بِالذَّعَةِ . فَإِنَّهُ إِنْ صَبَرَ عَلَى إِعَادَةِ الْمَلِكِ ، ظَفِرَ بِإِرَادَتِهِ
 مِنَ الْمَلِكِ ، وَهُوَ عَلَى الضَّمَانِ إِنْ خَالَفَهَا . وَقَدْ قَالَ
 أَنْوَشِرَوَانُ : مَا اسْتُنْجِحَتْ الْأُمُورُ بِمِثْلِ الصَّبْرِ ،
 وَلَا اكْتَسِبَتْ الْبَغْضَاءُ بِمِثْلِ الْكِبَرِ . وَقَدْ قِيلَ : مَنْ
 خَدَمَ السُّلْطَانَ خَدَمَهُ الْإِخْوَانُ . فَاطْرَدَ عَلَى هَذَا
 التَّعْلِيلِ : أَنَّ مَنْ تَنَكَّرَ لَهُ السُّلْطَانُ خَذَلَهُ الْإِخْوَانُ .
 لِأَنَّهُ مَتَّبِعٌ عَلَى تَحْكِيمِهِ ، وَمُسَاعِدٌ عَلَى تَوْهْمِهِ .

فَهَذَا مَا اخْتُصَّ بِقَوَانِينِ وَزَارَةِ التَّنْفِيزِ بَعْدَ
 مَا قَدَّمَناه مِنْ قَوَانِينِ وَزَارَةِ التَّفْوِيزِ ، ثُمَّ يَخْتَلِفَانِ

(١) الكد : التعب

فِي أَصْلِ التَّقْلِيدِ مِنْ سِتَّةِ أَوْجُهٍ . أَحَدُهَا أَنَّ الْمَلِكَ يُقَلِّدُ وَزِيرَ التَّفْوِيضِ فِي حُقُوقِهِ وَحُقُوقِ رَعِيَّتِهِ ، وَيُقَلِّدُ وَزِيرَ التَّنْفِيزِ مَعْضِيَهَا بِأَوَامِرِ الْمَلِكِ وَعَنْ رَأْيِهِ . وَالثَّانِي أَنَّ وَزَارَةَ التَّفْوِيضِ تَفْتَقِرُ إِلَى عَقْدٍ يَصِحُّ بِهِ تَقْوُذُ أَفْعَالِهِ ؛ وَوَزَارَةُ التَّنْفِيزِ لَا تَفْتَقِرُ إِلَى عَقْدٍ ، لِأَنَّهُ فِيهَا مَأْمُورٌ بِتَنْفِيزِ مَا صَدَرَ عَنْ أَمْرِ الْمَلِكِ . وَالثَّلَاثُ أَنَّ وَزِيرَ التَّفْوِيضِ مَأْخُوذٌ بِدَرْكِ^(١) مَا أَمْضَاهُ . وَالرَّابِعُ أَنَّ وَزِيرَ التَّفْوِيضِ لَا يَنْعَزِلُ إِلَّا بِالْقَوْلِ أَوْ مَا فِي مَعْنَاهُ دُونَ الْمُتَارَكَةِ ، لِأَنَّهُ قَدْ تَمَلَّكَهَا بِمُبَاشَرَةٍ الْأُمُورِ ؛ وَوَزِيرُ التَّنْفِيزِ يَنْعَزِلُ بِالْمُتَارَكَةِ ، لِأَنَّهُ مَأْمُورٌ . وَالْخَامِسُ أَنَّ وَزِيرَ التَّفْوِيضِ لَا يَنْعَزِلُ إِنْ كَفَّ وَتَرَكَ

(١) بدرك : يعلم

حَتَّى يَسْتَعْفِيَ الْمَلِكَ مِنْهَا ، لِأَنَّهُ مُسْتَوْدَعُ الْأَعْمَالِ .
 فَلَزِمَهُ رَدُّهَا إِلَى مُسْتَحَقِّهَا ، وَوَزِيرُ التَّنْفِيدِ يَجُوزُ
 أَنْ يَنْعَزِلَ بِنِزْلِ نَفْسِهِ بِالْكَفِّ وَالْمُتَارَكَةِ ، لِأَنَّهُ
 لَا شَيْءَ بِيَدِهِ . فَيُؤْخَذُ بِرَدِّهِ . وَالسَّادِسُ أَنَّ
 وَزَارَةَ التَّفْوِيزِ تَفْتَقِرُ إِلَى كِفَايَةِ السِّيفِ وَالْقَلَمِ
 لِنُحُوصِهِ بِمَا أُوجِبَهُمَا ، وَوَزَارَةُ التَّنْفِيدِ غَيْرُ مُفْتَقِرَةٍ
 إِلَيْهِمَا لِقُصُورِهَا عَنْهُمَا ، وَإِنَّمَا يُعْتَبَرُ فِيهَا سِتَّةُ
 أَوْصَافٍ وَهِيَ مُعْتَبَرَةٌ فِي كُلِّ مُدَبِّرٍ ذِي رِيَاسَةٍ .
 وَهِيَ : الْأُبْهَةُ^(١) ، وَالْمُنَّةُ^(٢) ، وَالْهَمَّةُ^(٣) ، وَالْعِفَّةُ^(٤) ،
 وَالْمُرُوءَةُ^(٥) ، وَجَزَالَةُ الرَّأْيِ^(٥) . وَقَدْ كَانَ أَكْثَرُ

(١) الأبهة : العظمة (٢) الهمة : قوة العزيمة (٣) العفة :

عزة النفس (٤) المروءة : النخوة والشجاعة (٥) جزالة الرأي :

جودته ومئاته

وُزَرَاءِ الْفُرْسِ وَزَرَاءِ تَنْفِيذٍ ؛ وَأَكْثَرُ وَزَرَاءِ مُلُوكِ
الْإِسْلَامِ وَزَرَاءِ تَقْوِيضٍ . وَوَزَارَةُ التَّقْوِيضِ
اسْتِسْلَامٌ ، وَوَزَارَةُ التَّنْفِيذِ اسْتِمْدَادٌ .



ثُمَّ تَشْتَرِكُ الْوَزَارَتَانِ بَعْدَ التَّمْيِيزِ فِي حُقُوقٍ
وَعُمُودٍ ، فَأَمَّا الْحُقُوقُ فَمَا نِيَّةٌ . أَحَدُهَا : أَنْ يَكُونَ
بِأَعْبَاءِ الْوَزَارَةِ نَاهِيضًا ، وَفِي مَصَالِحِ الْمَمْلَكَةِ
رَاكِضًا^(١) ، يُقَدِّمُ حَظَّ الْمَلِكِ عَلَى حَظِّ نَفْسِهِ ، وَيَعْلَمُ
أَنَّ صَلَاحَهُ مُقْتَرِنٌ بِصَلَاحِهِ ، فَلَنْ تَسْتَقِيمَ أَحْوَالُ
الْوَزِيرِ مَعَ اخْتِلَافِ حَالِ الْمَلِكِ لِأَنَّ الْفُرُوعَ تَسْتَمِدُّ
أُصُولَهَا ، وَلَوْ اسْتَقَامَتْ لَكَانَ مِثْلَهَا وَشِيكًا^(٢) .

(١) رَاكِضًا : مَسْرَعًا مَنَجْرًا (٢) الْوَشِيكَ : الْقَرِيبُ
(١٥)

وَقَدْ قِيلَ فِي مَثُورِ الْحَكْمِ : لَا تُقِمَّ بِرَبْعٍ^(١)
 مُتَّقِمٌ . وَالثَّانِي أَنْ يَكُونَ عَلَى الْكَدِّ وَالتَّعَبِ قَادِرًا ،
 وَفِي السُّخْطِ وَالرِّضَا صَابِرًا ، لَا يَنْفِرُ إِذَا أُوحِشَ ،
 فَإِنَّ نُفُورَهُ عَطَبٌ^(٢) . وَلِيَتَوَصَّلَ إِلَى رَاحَتِهِ بِالتَّعَبِ
 وَإِلَى دَعَتِهِ بِالنَّصَبِ ؛ وَلِذَا قِيلَ : عِلَّةُ الرَّاحَةِ
 قِلَّةُ الْإِسْتِرَاحَةِ . وَقَالَ عَبْدُ الْحَمِيدِ : أَتَعِبَ قَدَمَكَ ،
 فَكَمْ تَعِبَ قَدَمُكَ . فَإِنْ تَشَاغَلَ بِرَاحَتِهِ وَمَالَ إِلَى
 لَذَّتِهِ ، سَلَبَهَا بِالتَّنَكُّرِ ؛ وَعَدِمَهَا بِالتَّغْيِيرِ ، فَضَاعَ
 وَأَضَاعَ ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى خَطَرٍ ، وَقَدْ قِيلَ فِي
 مَثُورِ الْحَكْمِ : عَلَى خَطَرٍ مَنْ لَمْ يُخَاطِرْ ، فَكَيْفَ
 بِالْمَغْرُورِ الْمُخَاطِرِ ؟ وَقَدْ قِيلَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِ

(١) الربع : الحى (٢) العطب : الهلاك

بَنِي إِسْرَائِيلَ : الَّذِي يُحِبُّ الشَّهَوَاتِ يُبْغِضُ نَفْسَهُ .
وَالثَّالِثُ : أَنْ يَكُونَ لِإِحْسَانِ الْمَلِكِ شَاكِرًا ،
وَلِإِسَاءَتِهِ عَازِرًا ^(١) ، يَشْكُرُ عَلَى يَسِيرِ الْإِحْسَانِ ؛
وَيَعْذِرُ فِي كَثِيرِ الْإِسَاءَةِ ، لِيَسْتَمِدَّ بِالشُّكْرِ إِحْسَانَهُ .
وَيَسْتَدْفِعُ بِالْعُذْرِ إِسَاءَتَهُ . فَإِنْ عَدَلَ عَنْهُمَا كَانَ مِنْهُ
عَلَى ضِدِّهِمَا . وَقَدْ قِيلَ : أَحَقُّ النَّاسِ بِالْمَنْعِ
الْكُفُورُ ^(٢) ، وَبِالصَّنِيعَةِ الشُّكُورُ . وَالرَّابِعُ :
أَنْ يُظْهَرَ مَحَاسِنُهُ إِنْ خَفِيََتْ ، وَيَسْتُرَ مَسَاوِيَهُ ^(٣) إِنْ
ظَهَرَتْ ، لِأَنَّهُ بِمَحَاسِنِهِ مَعْلُومٌ مَوْسُومٌ ، وَبِمَسَاوِيِهِ
مَقْرُوفٌ ^(٤) مَرْسُومٌ ، يُشَارِكُهُ فِي حَمْدِ مَحَاسِنِهِ ،

(١) عاذر : اسم فاعل من عذر : رفع عنه اللوم (٢) الكفور :

الجاحد للنعمة (٣) المساوى جمع سيئة . والسيئة : الزلة والذنب

(٤) المقروف : المذكور بالسوء .

وَيُؤَاخِذُ بِذَمِّ مَسَاوِيهِ . وَرُبَّمَا اسْتَرْسَلَ الْمَلِكُ لثِقَتِهِ
 بِالْأَحْبَابِ فَارْتَكَبَ بِالْهَوَى مَا يُصَانُ عَنْ إِذَاعَتِهِ ،
 وَكَانَ الْوَزِيرُ أَحَقَّ بِسِرِّهِ عَلَيْهِ ، لِأَنَّهُ الْبَابُ الْمَسْلُوكُ
 إِلَيْهِ ، مُسَاتِرًا غَيْرَ مُجَاهِرٍ . فَقَدْ قِيلَ : النُّصْحُ بَيْنَ
 الْمَلِكِ تَقْرِيعٌ^(١) . وَالْخَامِسُ : أَنْ يُخْلِصَ نِيَّتَهُ فِي
 طَاعَتِهِ ، وَيَكُونَ سِرُّهُ كَعَلَانِيَّتِهِ ؛ فَإِنَّ الْقُلُوبَ جاذِبَةٌ
 تَمْلِكُ أَعِنَّةَ الْأَجْسَادِ ؛ فَإِنْ اتَّفَقَا وَإِلَّا فَالْقَلْبُ أَغْلَبُ ،
 وَهُوَ إِلَى مُرَادِهِ أَجْذَبُ ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَا زُرْتُكُمْ عَمْدًا وَلَكِنَّ ذَا الْهَوَى
 إِلَى حَيْثُ يَهْوَى الْقَلْبُ تَهْوَى بِهِ الرَّجُلُ
 فَأَخْلِصْ قَلْبَكَ لِطِيعَتِكَ جَسَدُكَ ، وَأَحْسِنْ سِرِّيْرَتَكَ

لِتَحْسُنَ عَلَانِيَتِكَ ؛ فَإِنَّ الْقُلُوبَ تَنِمُ^(١) عَلَى الضَّمَائِرِ
 قَهْتِكَ^(٢) أَسْتَارَهَا ؛ وَتُذِيعُ^(٣) أَسْرَارَهَا . وَقَدْ رَوَى
 مُجَاهِدٌ عَنِ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فِي ابْنِ^(٤) آدَمَ مُضْغَةٌ إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ
 الْجَسَدُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ » .
 وَقَدْ قِيلَ فِي بَعْضِ صُحُفِ بَنِي إِسْرَائِيلَ : قَلْبُ
 الْإِنْسَانِ يُغَيِّرُ وَجْهَهُ خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا . وَالسَّادِسُ :
 أَلَّا يُعَارِضَ الْمَلِكَ فِيمَنْ قَرَّبَ فَاسْتَبْطَنَ^(٥) وَلَا
 يُمَارِيَهُ^(٦) فِيمَنْ حَطَّ وَرَفَعَ ، فَإِنَّهُ يُحْكُمُ بِقُدْرَتِهِ ،

(١) نِمَ : تخبر وتنبئ ، وتدل (٢) تهتك : تخرق . يقال هتك الرجل
 الست ونحوه . خرقة . والمراد : فتكشف (٣) تذيع : تفشي (٤) لفظ
 الحديث ليس كما ذكر . بل هو : أن في الجسد مضغة إذا صلحت ، صلح
 الجسد كله الخ (٥) استبطنه : جعله بطائه (٦) يماريه : يجادله
 من وراء وهو المجادلة

وَيَأْتَفُ^(١) مِنْ مُعَارَضَتِهِ ، فَرُبَّمَا انْقَلَبَ بِسَطَوْتِهِ
 إِذَا غُورِضَ ؛ وَمَالَ بِانْتِقَامِهِ إِذَا خُولِفَ ، فَبَوَادِرُ^(٢)
 الْمُلُوكِ تَسْبِقُ نَذِيرَهَا ، وَتُدْحِضُ^(٣) أُسِيرَهَا ، فَإِنْ
 سَلِمَ مِنَ الْخَطَرِ لَمْ يَسْلَمْ مِنَ الضَّجَرِ ، وَلَوْ سَلِمَ
 مِنْهُمَا - وَهُوَ نَادِرٌ - فَهَقَّتُ الْمُعَارِضُ^(٤) مَرَكُوزُ
 فِي الْفَرَايزِ ، وَكَفَى بِالْمَقْتِ عُقْبَى . وَقَالَ بَزْرُجْمَهُرُ :
 يَجِبُ لِلْعَاقِلِ أَلَّا يَجْزَعَ مِنْ جَفَاءِ الْوَلَاةِ وَتَقْدِيمِهِمْ
 الْجَاهِلَ عَلَيْهِ ، إِذْ كَانَتْ الْأَقْسَامُ لَمْ تُوضَعْ عَلَى
 قَدَرِ الْأَخْطَارِ ، فَإِنَّ حُكْمَ الدُّنْيَا أَلَّا تُعْطِيَ
 أَحَدًا مَا يَسْتَحِقُّهُ ، لَكِنْ تَزِيدُهُ وَتَنْقُصُهُ .

(١) يَأْتَفُ : يَسْتَنْكِفُ (٢) بَوَادِرُ : جَمْعُ بَادِرَةٍ : وَهِيَ مَا تَبْدُرُ مِنْ
 الشَّخْصِ عِنْدَ حَدَثِهِ (٣) تَدْحِضُ : تَزِيلُ (٤) الْمُعَارِضُ : الَّذِي لَا يَسْتَقِيمُ
 وَلَا يَسْتَقِرُّ عَلَى حَالٍ

وَالسَّابِعُ : أَنْ يَتَقَاصَرَ عَنْ مُشَاكَلَةِ الْمَلِكِ فِي
رُبَّتَيْهِ ، وَيَقْبِضَ نَفْسَهُ عَنْ مِثْلِ هَيْئَتِهِ ؛ فَلَا
يَلْبَسَ مِثْلَ مَلَابِسِهِ ، وَلَا يَرْكَبَ مِثْلَ مَرَاكِبِهِ ،
وَلَا يَسْتَحْدِمَ مِثْلَ خَدَمِهِ ؛ فَإِنَّ الْمَلِكَ يَأْنَفُ إِنْ
مُوتِلَ ، وَيَنْتَقِمُ إِنْ شَوَّكَلَ ؛ وَيَرَى أَنَّهَا مِنْ أحوَالِهِ
الْمُحْتَاجَةِ ، وَحِشْمَتِهِ الْمُسْتَبَاحَةِ ، وَلَيْسَتْ مِمَّنْ
بِنِظَافَةِ لِبَاسِهِ وَجَسَدِهِ مِنْ غَيْرِ تَصْنُوعٍ ؛ فَإِنَّ النِّظَافَةَ
مِنْ الْمَرْوَةِ ، وَالتَّصْنُوعَ لِلنِّسَاءِ . لِيَكُونَ بِالسَّلَامَةِ
مَحْفُوظًا ، وَبِالْحِشْمَةِ مَلْحُوظًا . وَالثَّامِنُ : أَنْ يَسْتَوْفِيَ
لِلْمَلِكِ وَلَا يَسْتَوْفِيَ عَلَيْهِ ، وَيَتَأَوَّلَ لِلْمَلِكِ وَلَا
يَتَأَوَّلَ عَلَيْهِ ، فَإِنَّ الْمَلِكَ إِذَا أَرَادَ الْإِنْصَافَ كَانَ
عَلَيْهِ أَقْدَرُ ، وَإِنْ لَمْ يَرِدْهُ فَيَدُ الْوَزِيرِ مَعَهُ أَقْصَرُ ،

وَإِنَّمَا أَرَادَ الْوَزِيرَ عَوْنًا لِنَفْسِهِ ، وَلَمْ يُرِدْهُ عَوْنًا
عَلَى نَفْسِهِ ، فَإِنْ وَجَدَ إِلَى مُسَاعَدَتِهِ سَبِيلًا سَارَعَ إِلَيْهَا ،
وَإِنْ خَافَ ضَرَرَهَا وَانْتِشَارَ الْفَسَادِ بِهَا ، تَلَطَّفَ فِي
كَفِّهِ عَنْهَا إِنْ قَدَرَ ، وَإِنْ تَعَذَّرَ عَلَيْهِ تَلَطَّفَ فِي
الْخَلَاصِ مِنْهَا إِنْ قَدَرَ ، وَلَا يَجْهَرُ بِالْمُخَالَفَةِ مَا كَانَ
عَلَى رَغْبَتِهِ فِي النَّظَرِ . سُئِلَ بَعْضُ حُكَمَاءِ الرُّومِ :
عَنْ أَصْلَحِ مَا عُوشِرَ بِهِ الْمُلُوكُ . فَقَالَ : قِلَّةُ الْخِلَافِ
وَتَخْفِيفُ الْمُسُونَةِ ، فَلِذَلِكَ لَمْ تَصْحَبِ الْمُلُوكُ إِلَّا عَلَى
اخْتِيَارِهِمْ ، وَلَمْ يَتَمَسَّكُوا إِلَّا بِمَنْ وَافَقَهُمْ عَلَى
آرَائِهِمْ ، وَلَيْسَ لِمَنْ خَالَفَهُمْ حَظٌّ مِنْهُمْ ، وَإِنَّمَا كَانَ
عَلَى خَطَرٍ مَعَهُمْ ، وَإِذَا رُوعِيَتْ أَحْوَالُ النَّاسِ وَجِدُوا
لَا يَأْتَلِفُونَ إِلَّا بِالْمُوَافَقَةِ ، فَكَيْفَ بِذَوِي الْقُدْرَةِ
مِنَ الْمُلُوكِ . وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :

النَّاسُ إِنْ وَاَفَقَّتَهُمْ عَذُبُوا
 أَوْ لَا فَإِنَّ جَنَاهُمْ مُرٌّ
 كَمْ مِنْ رِيَاضٍ لَا أُنَيْسَ بِهَا
 تَرَكْتُ لِأَنَّ طَرِيقَهَا وَغَرٌّ
 وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : حِرْزُ النَّاسِ ثَلَاثَةٌ :
 الْفَتْةُ تَجْمَعُهُمْ ، وَطَاعَةٌ تَمْنَعُهُمْ ، وَمُنَاصَحَةٌ تَنْفَعُهُمْ ،
 فَإِنَّهُمْ إِنْ تَفَرَّقُوا تَفَرَّقَتْ أُمُورُهُمْ ، وَإِنْ عُصُوا ظَهَرَ
 نُفُورُهُمْ ، وَإِنْ لَمْ يُنَاصَحُوا وَغَرَّتْ صُدُورُهُمْ .
 فَأَمَّا الْعُهُودُ الْمَوْقِظَةُ ، فَسَأَقُولُ وَأَرْجُو أَنْ يَقْتَرِنَ
 بِالْقَبُولِ . إِنْجَعِلْ أَيُّهَا الْوَزِيرُ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى سِرِّكَ
 رَقِيًّا يَلَا حِظُّكَ مِنْ زَيْغٍ فِي حَقِّهِ ، وَاجْعَلْ إِسْلَاطَانِكَ
 عَلَى خَلُوتِكَ رَقِيًّا يَكْفُكَ عَنْ تَقْصِيرٍ فِي أَمْرِهِ ،

لَيْسَ لَكَ فِي حُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَتَسَلَّمَ دُنْيَاكَ فِي
حُقُوقِ سُلْطَانِكَ ، فَتَسَعَّدَ فِي عَاجِلَتِكَ وَآجِلَتِكَ ،
فَإِنْ تَنَافَى اجْتِمَاعُهُمَا لَكَ ، فَقَدِّمْ حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى
حَقِّ الْمَلِكِ ، « فَلَا طَاعَةَ لِخُلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ » .
وَقَدْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :
« مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَ بِآخِرَتِهِ ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ
أَضَرَ بِدُنْيَاهُ ؛ فَاتَرَوْا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى » . وَرَوَى
عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ
الْتَمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسُخْطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،
وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ » وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : كُلُّ
أَمْرٍ يَجْرِي مِنْ عُمْرِهِ إِلَى غَايَةٍ تَنْتَهِي إِلَيْهَا
مُدَّةُ أَجَلِهِ ، وَتَنْطَوِي عَلَيْهَا صَحِيفَةُ عَمَلِهِ ، فَخُذْ

مِنْ نَفْسِكَ لِنَفْسِكَ ، وَقِسْ يَوْمَكَ بِأَمْسِكَ .
وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَتَمَثَّلُ كَثِيرًا
بِهَذِهِ الْأَيَّاتِ :

إِنَّمَا النَّاسُ ظَاغِرٌ وَمُقِيمٌ
فَالَّذِي بَانَ لِلْمُقِيمِ عِظُهُ
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعِيشُ سَوِيًّا
سَاهِرَ اللَّيْلِ عَامِلَ الْيَقْظَةِ
فَإِذَا كَانَ ذَا حَيَاءٍ وَدِينٍ

حَازَرَ الْمَوْتَ وَاسْتَحَى الْحَفْظَةَ
حَقٌّ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْوَزِيرُ : أَنْ تَكُونَ بِالرَّعِيَّةِ
خَبِيرًا . وَإِلَى أَخْوَالِهِمْ مُتَطَلِّعًا ؛ وَبِهِمْ عَلَى نَفْسِكَ
وَعَلَيْهِمْ مُسْتَظْهِرًا ، لِأَنََّّهُمْ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَسُوسُهُ أَوْ

تَسْتَعِينُ بِهِ لِتَعْلَمَ مَا فِيهِ مِنْ فَضْلٍ وَتَقْصُ ، وَعِلْمٌ
وَجَهْلٌ ، وَخَيْرٌ وَشَرٌّ ، وَتَحَرَّزَ مِنْ غُرُورِ الْمُتَشَبِّهِ ،
وَتَدَلَّسِ الْمُتَصَنَّعُ ؛ فَتُعْطَى كُلُّ وَاحِدٍ حَقَّهُ ، وَلَا
تُقْصَرُ بِذِي فَضْلٍ ، وَلَا تَعْتَمِدَ عَلَى ذِي جَهْلٍ .
فَقَدْ قِيلَ : مِنَ الْجَهْلِ صُحْبَةُ ذَوِي الْجَهْلِ وَمِنَ الْمُحَالِ
مُجَادَلَةُ ذِي الْمُحَالِ .

وَأَفْرِقْ بَيْنَ الْأَخْيَارِ وَالْأَشْرَارِ . فَإِنَّ ذَا الْخَيْرِ
يُنَبِّئُنِي ، وَذَا الشَّرِّ يَهْدِمُ . وَاحْذَرِ الْكَذُوبَ ؛ فَلَنْ
يَنْصَحَكَ مَنْ غَشَّ نَفْسَهُ ، وَلَنْ يَنْفَعَكَ مَنْ ضَرَّهَا .
وَقَدْ قِيلَ : مَنْ ضَيَّعَ أَمْرَهُ فَقَدْ ضَيَّعَ كُلَّ أَمْرٍ ، وَمَنْ
جَهَلَ قَدْرَهُ جَهَلَ كُلَّ قَدْرٍ . وَلَا تَسْتَكْفِينُ عَاجِزًا
فَيُضَيِّعُ الْعَمَلَ ، وَلَا شَرِّهَا فَيُضِرُّكَ بِاحْتِجَانِهِ ^(١) .

(١) الاحتجان : من احتجن المال ضمه لنفسه

وَقَدْ قِيلَ : لِيُعَدَّ مِنَ الْبَهَائِمِ مَنْ لَمْ تَكُنْ غَايَتُهُ مِنَ
الدُّنْيَا إِلَّا نَفْسُهُ . وَلَا تُعْنِ بَيْنَ لَا يُحَافِظُ عَلَى الْمُرُوءَةِ ؛
فَقَلَّمَا تَجَدَّدَ فِيهِ خَيْرًا لَزُهُدِهِ فِي صَيَانَةِ نَفْسِهِ ، وَمِثْلِهِ
إِلَى خَوْلِ الْقَدْرِ . وَبَعِيدُ مَنْ أَسْقَطَ حَقَّ نَفْسِهِ أَنْ
يُقُومَ بِحَقِّ غَيْرِهِ . وَصَعْبٌ عَلَى مَنْ أَلْفَ إِسْقَاطِ
التَّكَلُّفِ أَنْ يَحُولَ عَنْهُ . وَقَدْ قِيلَ فِي حِكْمِ الْهِنْدِ :
ذُو الْمُرُوءَةِ يَرْتَفِعُ بِهَا ، وَتَارِكُهَا يَهْبِطُ ، وَالْأَرْتِقَاءُ
صَعْبٌ ، وَالْأَنْحِطَاطُ هَيِّنٌ ، كَالْحَجَرِ الثَّقِيلِ الَّذِي رَفَعُهُ
عَسِيرٌ ، وَحَطُّهُ يَسِيرٌ . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ : أَحْسِنُ
رِعَايَةَ ذَوِي الْحُرْمَاتِ ، وَأَقْبِلْ عَلَى أَهْلِ الْمُرُوءَاتِ ،
فَإِنَّ رِعَايَةَ ذَوِي الْحُرْمَةِ ، تَدُلُّ عَلَى كَرَمِ الشَّيْمَةِ ،
وَالْإِقْبَالَ عَلَى ذَوِي الْمُرُوءَةِ ، يُعَرِّبُ عَنْ شَرَفِ الْهِمَّةِ .

إِخْتَبِرْ أَحْوَالَ مَنْ اسْتَكْفَيْتَهُ لِتَعْلَمَ عَجْزَهُ مِنْ
كِفَايَتِهِ ؛ وَإِحْسَانَهُ مِنْ إِسَاءَتِهِ ، فَتَعْمَلَ بِمَا عَلِمْتَ
مِنْ إِقْرَارِ الْكَافِي ، وَصَرْفِ الْعَاجِزِ ، وَحَمْدِ الْمُحْسِنِ
وَذَمِّ الْمُسِيءِ . وَقَدْ قِيلَ : مَنْ اسْتَكْفَى الْكُفَاةَ ؛
كُفِيَ الْعُدَاةَ ، فَإِنَّ التَّبَسُّتَ عَلَيْكَ أُمُورُهُمْ . أَوْهَنْتَ
الْكَافِيَ ، وَسَلَّطْتَ الْعَاجِزَ ؛ وَأَضَعْتَ الْمُحْسِنَ ؛
وَأَغْرَيْتَ الْمُسِيءَ . وَلَآنَ يَكُونُ الْعَمَلُ غَايِبًا
فَيَنْصَرِفُ إِلَيْهِ فِكْرُكَ ، أَوْلى مِنْ أَنْ يُبَاشِرَهُ عَاجِزٌ
أَوْ خَائِنٌ فَيَقْبُحَ بِهِمَا أَثْرُكَ ، فَاحْذَرِ الْعَاجِزَ فَإِنَّهُ
مُضِيعٌ ، وَتَوَقَّ الْخَائِنَ فَإِنَّهُ يَكْدَحُ لِنَفْسِهِ .
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا أَنْتَ حَمَلْتَ الْخَوُونَ أَمَانَةً

فَإِنَّكَ قَدْ أَسْنَدْتَهَا شَرًّا مُسْنَدٍ

أَقْتَصِرُ مِنَ الْأَعْوَانِ بِحَسَبِ حَاجَتِكَ إِلَيْهِمْ ،

وَلَا تَسْتَكْثِرُ مِنْهُمْ لِتَسْكَثَرَ بِهِمْ ، فَلَنْ يَخْلَوْا

الِاسْتِكْثَارُ مِنْ تَنَافُرٍ يَقَعُ بِهِ الْخَلَلُ ، أَوْ ارْتِفَاقٍ

يَتَشَاكَلُ بِهِ الْعَمَلُ ، وَلَيْسَ كُنْ أَعْوَانُكَ وَفَقَ عَمَلِكَ ،

فَإِنَّهُ أَنْظَمُ لِلشَّمْلِ^(١) ، وَأَجْمَعُ لِلْعَمَلِ ، وَأَبْلَغُ لِلِاجْتِهَادِ ،

وَأَبْعَثُ عَلَى النُّصْحِ^(٢) . أَنْشِدْتُ لِابْنِ الرُّومِيِّ :

عَدُوُّكَ مِنْ صَدِيقِكَ مُسْتَفَادٌ

فَلَا تَسْتَكْثِرَنَّ مِنَ الصَّحَابِ

فَإِنَّ الدَّاءَ أَكْثَرَ مَا تَرَاهُ

يَكُونُ مِنَ الطَّعَامِ أَوْ الشَّرَابِ

(١) الشمل : جمع ما تفرق (٢) النصيح : الوعظ وإخلاص المودة

فَدَعَ عَنْكَ الْكَثِيرَ فَكَمْ كَثِيرٌ
يُعَافُ وَكَمْ قَلِيلٌ مُسْتَطَابٍ
فَمَا اللَّجَجُ^(١) الْمِلَاحُ بِمُرَوِيَاتٍ
وَتَلْقَى الرَّيَّ فِي النُّطْفِ^(٢) الْعِذَابِ
هَذَّبَ نَفْسَكَ مِنَ الدَّنَسِ تَهَذَّبُ جَمِيعُ أَتْبَاعِكَ ،
وَنَزَّهُ نَفْسَكَ عَنِ الطَّمَعِ ؛ تَنْزَهُ جَمِيعُ خُلَفَائِكَ .
وَتَوَقَّ الشَّرَّ فَلَنْ يَزِيدَكَ إِلَّا حِرْصًا إِنْ أَجْدَبْتَ ،
وَتَقْصَا إِنْ أَكْدَيْتَ ، وَهُمَا مَعَرَّةُ ذَوِي الْفَضْلِ ،
وَمَضَرَّةُ أُولَى الْحَزْمِ . وَقَدْ قِيلَ بِحَمْدِكَ لَا بِكُفْرِكَ .
وَقَدْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :

(١) اللجج : جمع لجة واللجة معظم الماء الملح . وخصه بعضهم بمعظم البحر (٢) يقال نطف الماء والكوز إذا سال وقطر قليلا قليلا والمراد الماء العذب قل أو كثر

« اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ ؛ وَلَا يَزِدَادُ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا
إِلَّا حِرْصًا ، وَلَا تَزِدَادُ مِنْهُمْ إِلَّا بُعْدًا » . وَقَالَ
مُحَمَّدُ الْوَرَّاقُ :

لَا يَغْلِبَنَّكَ غَالِبُ الْحِرْصِ
وَأَعْلَمْ بِأَنَّ النَّاسَ فِي تَقْصِ
إِلْبَسِ أَخَاكَ عَلَى بَصْنَعِهِ
فَلَرُبَّ مُفْتَضِّحٍ عَلَى النَّصِّ
مَا كَدَتْ أَفْحَصُ عَنْ أَخِي ثِقَّةً

إِلَّا عَدِمْتُ كَوَاعِبَ^(١) الْفَحْصِ
رُضْ نَفْسَكَ بِمُشَارَفَةِ الْأَعْمَالِ ، يَرْهَبُكَ جَمِيعُ
عَمَلِكَ ، وَتَنْتَظِمُ بِهِ جَمِيعُ أَعْمَالِكَ ؛ وَلَا تَكِلْ إِلَى

(١) الكواعب : جمع كاعب وهي التي تتأثبها حتى صار يشبه الكعب .
ومنه قوله تعالى : وكواعب أترابا

غَيْرِكَ مَا يَخْتَصُّ بِمُبَاشَرَتِكَ طَلَبًا لِلدَّعَاةِ ، فَتَعَزَّلَ عَنْهُ
 نَفْسِكَ وَتَوَثَّرَ بِهِ غَيْرِكَ ، فَتَكُونَ مِنْ وَفَائِهِ عَلَى
 غَدْرٍ ، وَمِنْ نَفْسِكَ عَلَى تَقْصِيرٍ ؛ فَإِنَّ الْعُطْلَةَ عُقْلَةٌ^(١)
 وَالْجَوَادَ إِذَا وَقَفَ رَاكِضَتُهُ^(٢) الْبَرَازِينَ^(٣) . وَقَالَ
 بَزْرُجْمَهْرُ : إِنْ يَكُنِ الشُّعْلُ مَجْهَدَةً ؛ فَإِنَّ الْفَرَاعَ
 مَفْسَدَةٌ . وَقَالَ عَبْدُ الْحَمِيدِ : مَا زَانَكَ مَا أَضَاعَ
 زَمَانَكَ ، وَلَا شَانَكَ ، مَا أَصْلَحَ شَانَكَ .

إِجْعَلْ زَمَانَ فَرَاعِكَ مَصْرُوفًا إِلَى حَالَتَيْنِ .
 إِحْدَاهُمَا : رَاحَةُ جَسَدِكَ ، وَإِجْمَامُ خَاطِرِكَ ، لِيَكُونَا

(١) العقلة : ما يعقل به الدابة كالقيد والعقال (٢) الركن : الضرب
 بالرجل في الأرض . ومنه قوله تعالى : « اركض برجلك »
 (٣) البرزون : الواحد من الخيل التركي . الذي يشغل ويعي عن المشي
 والمراد : أن لا تهمل : فيسبقك من هو دونك

عَوْنًا لَكَ عَلَى نَظَرِكَ . رُويَ أَنَّ ابْنَ لِعُمَرَ بْنِ
عَبْدِ الْعَزِيزِ دَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ نَائِمٌ . فَقَالَ : يَا أَبْتَ
تَنَامُ ؛ وَالنَّاسُ عَلَى بَابِكَ قِيَامٌ . فَقَالَ : يَا بُنَيَّ إِنَّ
نَفْسِي مَظِيَّتِي ، وَأَخُفُّ أَنْ أُحْمَلَ عَلَيْهَا فَتَقْعُدَ بِي .
وَالْحَالُ الثَّانِيَةُ : أَنَّ تُفَكِّرَ بَعْدَ رَاحَةِ جَسَدِكَ ،
وَإِجْهَامِ^(١) خَاطِرِكَ ، فِيمَا قَدَّمْتَهُ مِنْ أَفْعَالِكَ ، وَتَصَرَّفْتَ
فِيهِ مِنْ أَعْمَالِكَ ، هَلْ وَافَقْتَ الصَّوَابَ فِيهَا ،
فَتَجْعَلَهُ مِثَالًا تَحْتَذِيهِ ، أَوْ نَالَكَ فِيهَا زَلَلٌ فَتَسْتَدْرِكَ
مِنْهُ مَا أَمَكَّنَ ، وَتَنْتَهِيَ عَنْ مِثْلِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ .
فَقَدْ قِيلَ : مَنْ فَكَّرَ أَبْصَرَ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ :
مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظٌ ، لَمْ تَنْفَعَهُ

(١) الاجام : الراحة

المَوَاعِظُ، ثُمَّ أَصْرِفْ فِكْرَكَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى مَا تَسْتَقْبِلُهُ
 مِنْ أَفْعَالِكَ ؛ عَلَى أَيْ تَمْضِيهِ ؟ وَمَاذَا تَفْعَلُ فِيهِ ؟
 فِي تَقْدِيمِ الْفِكْرِ عَلَى الْعَمَلِ ، إِحْتِرَازٌ مِنَ الزَّلَلِ ؛
 لِتَكُونَ عَلَى ثِقَةٍ مِنَ الصَّوَابِ ، فَإِنْ عَارَضَتْكَ
 الْأَقْدَارُ لَمْ تُلَمَّ . فَقَدْ قِيلَ : الْأُمُورُ إِذَا انْقَضَتْ ،
 كَالْكُوَاكِبِ إِذَا انْقَضَتْ ^(١) . وَقَالَ النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ :
 أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ الْمَلَامَةَ نَفْعُهَا

قَلِيلٌ إِذَا مَا الشَّيْءُ وَلَّى فَأَذْبَرَا

إِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ عَلَا ، وَوَطِّئْ كَنَفَكَ ^(٢)
 لِمَنْ دَنَا ، وَتَجَافَ عَنِ الْكِبَرِ تَمْلِكُ مِنَ الْقُلُوبِ
 مَوَدَّتَهَا ، وَمِنْ النُّفُوسِ مُسَاعَدَتَهَا . فَقَدْ رَوَى عَنْ

(١) انقضت : تساقطت (٢) الكنف : الناحية

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « لَا وَحْدَةَ
 أَوْحَشُ مِنَ الْعُجْبِ » وَقِيلَ لِحَكِيمِ الرُّومِ : مَنْ
 أَضْيَقُ النَّاسِ طَرِيقًا وَأَقْلَهُمْ صَدِيقًا ؟ قَالَ : مَنْ عَاشَرَ
 النَّاسَ بِعُبُوسٍ وَجْهِهِ ، وَاسْتَطَالَ عَلَيْهِمْ بِنَفْسِهِ .
 وَلِذَلِكَ قِيلَ : التَّوَاضُعُ فِي الشَّرَفِ ، أَشْرَفُ مِنَ الشَّرَفِ .
 كُنْ شَكُورًا فِي النِّعْمَةِ ، صَبُورًا فِي الشَّدَّةِ ،
 لَا تُبْطِرْكَ السَّرَّاءُ ، وَلَا تُدْهِشُكَ الضَّرَّاءُ ، لِتَتَكَاثَفَا
 أَحْوَالُكَ ، وَتَعْتَدِلَ خِصَالُكَ ، فَتَسْلَمْ مِنْ طَيْشِ
 النَّظَرِ ، وَسَكْرَةِ الْبَطَرِ ، فَإِنَّهَا تَنْجَلِي عَنْ نَدَمِ
 أَوْ ضَرَرٍ . فَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الْعَاقِلُ
 لَا يَسْتَقْبِلُ النِّعْمَةَ بِبَطَرٍ ، وَلَا يُودِّعُهَا بِجَزَعٍ :
 وَقِيلَ فِي مَثُورِ الْحَكَمِ : اُسْتَغْلِ بِشُكْرِ النِّعْمَةِ

عَنِ الْبَطْرِ^(١) بِهَا . وَقِيلَ فِي أَمْثَالِ الْهِنْدِ : الْعَاقِلُ
 لَا يَبْطَرُ بِمَنْزِلَةٍ أَصَابَهَا وَلَا شَرَفٍ ، كَالْجَبَلِ الَّذِي
 لَا يَتَزَلُّزِلُ وَإِنْ اشْتَدَّتِ الرِّيحُ ؛ وَالسَّخِيفُ تَبْطِرُهُ
 أَدْنَى مَنْزِلَةٍ ؛ كَالْحَشِيشِ الَّذِي يُحَرِّكُهُ أَدْنَى رِيحٍ .
 اسْتَدِمَ مَوَدَّةَ وَلِيِّكَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ ، وَاسْتَسِيلَ
 سَخِيمَةَ^(٢) عَدُوِّكَ بَعْدَ الْإِحْتِرَازِ مِنْهُ ، وَدَاهَنَ^(٣)
 مَنْ لَمْ يُجَاهِرْكَ بِعَدَاوَتِهِ ، وَيُقَاتِلَكَ بِمِثْلِهِ ، فَتُطْفِئَ
 ثَائِرَةَ عَدَاوَتِهِ ، وَيَتَوَاطَأَ لَكَ بِمُجَامَلَتِهِ . قِيلَ لِبَعْضِ
 الْحُكَمَاءِ : مَا الْحَزْمُ ؟ قَالَ : مُدَاجَاةُ^(٤) الْأَعْدَاءِ ،
 وَمُؤَاخَاةُ الْأَكْفَاءِ .

(١) البطر : الطغي في النعمة والاشتر

(٢) السخيمة : الضغينة

(٣) يقال داهن الرجل صاحبه : غشه وصانعه وأظهر خلاف ما أبطن

(٤) المداجاة : المداراة والمسامرة

وَلَا تَعُولْ عَلَى التَّهْمِ وَالظُّنُونِ ، وَاطْرَحِ الشَّكَّ
بِالْيَقِينِ . فَقَدْ قِيلَ : لَا يُفْسِدُكَ الظَّنُّ عَلَى صَدِيقٍ
قَدْ أَصْلَحَكَ الْيَقِينُ لَهُ . قَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَبْرَحْ تَظُنُّ وَتَقْتَضِي
عَلَى الظَّنِّ أَرْدَتَكَ الظُّنُونُ الْكَوَاذِبُ
وَاخْتَبِرْ مَنْ اشْتَبَهَتْ حَالُهُ عَلَيْكَ ، لَتَعْلَمَ مُعْتَقَدَهُ
فِيكَ ، فَتَدْرِي تَصْنَعُهُ مِنْكَ ، فَإِنَّ الْأَلْسَنَ
لَا تَصْدُقُ عَنِ الْقُلُوبِ لِمَا يَتَصَنَّعُهُ الْمُدَاجِي ؛
وَيَتَكَاَفُهُ الْمُدَاهِنُ . كَمَا قَالَ عَمْرُو بْنُ الْأَثَمِ :
لِسَانُكَ لِي حُلُوٌّ وَتَفْسُكَ مُرَّةٌ

وَخَيْرُكَ كَالْمَرْعَاةِ فِي الْجَبَلِ الْوَعْرِ
وَشَهَادَاتُ الْقُلُوبِ أَصْدَقُ ، وَدَلَالَةُ النَّفْسِ أَوْثَقُ

وَقَدْ قِيلَ فِي مَنُشُورِ الْحَكَمِ : لِلْعَيْنِ سِرٌّ فِي عِلْمِ
مَا يُسَرُّ . وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ :
تَظَلُّ فِي عَيْنِهِ الْبَغْضَاءُ كَامِنَةً
فَالْقَلْبُ يَكْتُمُهَا وَالْعَيْنُ تُبْدِيهَا
وَالْعَيْنُ تَعْرِفُ فِي عَيْنِي مُحَدِّثَهَا
مَنْ كَانَ مِنْ حِزْبِهَا أَوْ مِنْ أَعَادِيهَا
فَإِنْ وَقَفَتْ بِكَ الْحَالُ عَلَى الْإِرْتِيَابِ ، اعْتَقَدَتْ
الْمُودَّةَ فِي ظَاهِرِهِ ؛ وَأَخَذَتْ بِالْحُزْمِ فِي بَاطِنِهِ .
وَإِذَا أَقْنَعَكَ الْإِغْضَاءُ عَنِ الْإِخْتِبَارِ ؛ فَلَا تَتَخَطَّهْ ،
فَأَكْثَرُ الْأُمُورِ تَمْشِي مَعَ التَّغَافُلِ وَالْإِغْضَاءِ . وَقَدْ قَالَ
أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ : مَنْ شَدَّدَ نَفَرَ ، وَمَنْ تَرَاحَى تَأَلَّفَ ،
وَالشَّرَفُ فِي التَّغَافُلِ . وَلَقَلَّمَا جَوْهَرَ الْمُغْضَى ، وَقُوطِعَ

الْمُتَغَافِلُ ؛ مَعَ انْعِطَافِ الْقُلُوبِ عَلَيْهِ ، وَمِيلِ النُّفُوسِ
إِلَيْهِ ، وَهَذَا مِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ وَحُسْنِ التَّوْفِيقِ .
رَوَى مَعْمَرٌ عَنْ خَلَادِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :
خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ :
« أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَى اللَّهِ ؛ فَظَنْنَا أَنَّهُ يُسَمَّى
رَجُلًا . فَقَالَ : أَحَبُّكُمْ إِلَى اللَّهِ أَحَبُّكُمْ إِلَى النَّاسِ .
أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَبْغَضِكُمْ إِلَى اللَّهِ ؛ فَظَنْنَا أَنَّهُ يُسَمَّى رَجُلًا .
فَقَالَ : أَبْغَضُكُمْ إِلَى اللَّهِ أَبْغَضُكُمْ إِلَى النَّاسِ » .
شَاوَرٌ فِي أُمُورِكَ مَنْ تَشَقُّ مِنْهُ بِثَلَاثِ خِصَالٍ :
صَوَابُ الرَّأْيِ ؛ وَخُلُوصُ النِّيَّةِ ؛ وَكِتْمَانُ السِّرِّ .
فَلَا عَارَ عَلَيْكَ أَنْ تَسْتَشِيرَ مَنْ هُوَ دُونَكَ ، إِذَا
كَانَ بِالشُّورَى خَيْرًا . فَإِنَّ لِكُلِّ عَقْلٍ ذَخِيرَةً

مِنَ الرَّأْيِ ، وَحَظًّا مِنَ الصَّوَابِ ، قَتَزْدَادَ بَرَأْيِ
 غَيْرِكَ وَإِنْ كَانَ رَأْيُكَ جَزْلاً ، كَمَا يَزْدَادُ الْبَحْرُ بِمَوَادِّهِ
 مِنَ الْأَنْهَارِ وَإِنْ كَانَ غَزِيراً . فَقَدْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : لَا مُظَاهَرَةَ أَوْثَقُ
 مِنَ الْمُشَاوَرَةِ . وَقَدْ يَفْضُلُ الْمُسْتَشِيرُ عَلَى الْمُسِيرِ ،
 وَيُظْفَرُ بِالرَّأْيِ الْمُسِيرُ ، لِأَنَّهَا ضَالَّةٌ يَظْفَرُ بِهَا مَنْ
 وَجَدَهَا مِنْ فَاضِلٍ وَمَفْضُولٍ وَقَدْ رَوَى أَبُو الدَّرْدَاءِ
 عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « اسْتَرْشِدُوا
 الْعَاقِلَ تَرْشِدُوا ، وَلَا تَعْصُوهُ فَتَنْدَمُوا » . وَعَوَّلَ
 عَلَى اسْتِشَارَةِ مَنْ جَرَّبَ الْأُمُورَ وَخَبَّرَهَا ؛ وَتَقَلَّبَ
 فِيهَا وَبَاشَرَهَا ، حَتَّى عَرَفَ مَوَارِدَهَا وَمَصَادِرَهَا ،
 فَلَنْ يَخْفَى عَلَيْهِ خَيْرُهَا وَشَرُّهَا ، مَا لَمْ يُوهِنُهُ

ضَعْفُ الْهَرَمِ . كَالَّذِي حُكِيَ عَنْ أَكْثَمَ بْنِ صَيْفٍ
 وَقَدْ سَأَلَهُ قَوْمُهُ بَنُو تَمِيمٍ عَمَّا دَهَمَهُمْ فِي حَرْبِ
 يَوْمِ الْكَلَابِ . وَقَالُوا : أَشِرُّ عَلَيْنَا بِالرَّأْيِ ، فَإِنَّكَ
 شَيْخُنَا وَعَمِيدُنَا ، وَمَوْضِعُ الرَّأْيِ مِنَّا . فَقَالَ : إِنَّ
 وَهْنَ الْكِبَرِ قَدْ شَاعَ فِي جَمِيعِ بَدَنِي ، وَإِنَّمَا
 قَلْبِي بِضَعَةٍ مِنِّي . وَلَيْسَ مَعِيَ مِنْ حِدَّةِ الذَّهْنِ مَا
 أَبْتَدِئُ لَهُ بِالرَّأْيِ ؛ وَلَكِنْ تَقُولُونَ وَأَسْمَعُ ؛ فَإِنِّي
 أَغْرِفُ الصَّوَابَ إِذَا مَرَّ . وَعَوَّلَ عَلَى ذَوِي الْأَسْنَانِ
 فَإِنَّ الْحِكْمَةَ مَعَهُمْ . وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :
 إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا الْأَحْدَاثُ دَبَّرَهَا
 دُونَ الشُّيُوخِ تَرَى فِي بَعْضِهَا خَلَلَ

إِنَّ الشَّبَابَ لَهُمْ فِي الْأَمْرِ بَادِرَةٌ

وَاللِّشُّيُوخَ أَنَاةٌ تَدْفَعُ الزَّلَّالَةَ

وَاعْدِلْ عَنِ إِشَارَةٍ مَنْ قَصَدَ مُوَافَقَتَكَ مُتَابِعَةً

لِهَوَاكَ ، وَاعْتَمَدَ مُخَالَفَتَكَ انْحِرَافًا عَنْكَ ، وَعَوَّلَ عَلَى

مَنْ تَوَخَّى الْحَقَّ لَكَ وَعَلَيْكَ . فَقَدْ قِيلَ فِي قَدِيمِ

الْحُكْمِ : مَنْ التَّمَسَ الرُّخْصَ مِنَ الْأَخْوَانِ فِي الرَّأْيِ ،

وَمِنَ الْأَطِبَّاءِ فِي الْمَرَضِ ، وَمِنَ الْفُقَهَاءِ فِي الشُّبْهَةِ ،

أَخْطَأَ الرَّأْيَ ، وَزَادَ فِي الْمَرَضِ ، وَاحْتَمَلَ الْوِزَرَ .

وَلَا تُؤَاخِذْ مَنْ اسْتَشَرْتَ بِدَرْكِ الرَّأْيِ إِنْ زَلَّ ؛

فَمَا عَلَيْهِ إِلَّا الْاجْتِهَادُ ، وَإِنْ حَجَزَتْهُ الْأَقْدَارُ عَنِ

الظَّفَرِ . وَقَدْ قِيلَ فِي مَنْشُورِ الْحُكْمِ : مَنْ كَثُرَ

صَوَابُهُ لَمْ يُطْرَحْ لِقَلِيلِ الْخَطَا .

اخْتَرُوا لِأَسْرَارِكُمْ مَنْ تَتَّقُ بِدِينِهِ وَكِتَابِهِ ، وَتَسْلَمُ
 مِنْ إِذَاعَتِهِ وَإِذْلَالِهِ ، لَوْ قَدَرْتَ عَلَى أَلَّا تُودِعَ
 سِرَّكَ غَيْرَكَ ، كَانَ أَوْلَىٰ بِكَ وَأَسْلَمَ لَكَ ، لِأَنَّكَ فِيهَا
 بَيْنَ خَطَرٍ أَوْ حَذَرٍ . وَقَدْ رَوَى عَطَاءٌ عَنْ عُمَرَ
 ابْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « اسْتَعِينُوا عَلَى قَضَاءِ الْحَوَائِجِ
 بِكِتَابِنَا ، فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ » . وَقَدْ
 قِيلَ فِي مَثُورِ الْحُكْمِ : انْقَرِضَ بِسِرِّكَ وَلَا تُودِعْهُ
 حَازِمًا فَيَزِلَّ ، وَلَا جَاهِلًا فَيُخُونَ . وَالْعَرَبُ تَقُولُ :
 مَنْ ارْتَادَ لِسِرِّهِ فَقَدْ أَذَاعَهُ .

تَثَبَّتْ فِيهَا لَا يُقَدَّرُ عَلَى اسْتِدْرَاكِهِ ، فَقَلَمًا تُعْقِبُ
 الْعَجَلَةَ إِلَّا نَدَمًا . رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ تَأَنَّى أَصَابَ أَوْ كَادَ ، وَمَنْ
عَجَلَ أَخْطَأَ أَوْ كَادَ » . وَقِيلَ فِي حِكْمِ آلِ دَاوُدَ .
مَنْ كَانَ ذَا ثَوْدَةٍ وَصِفَ بِالْحِكْمَةِ . وَقِيلَ فِي
مَنْشُورِ الْحَكَمِ : أَنَاةٌ فِي عَوَاقِبِهَا دَرْكٌ ؛ خَيْرٌ مِنْ
عَجَلَةٍ فِي عَوَاقِبِهَا فَوْتُ .

وَقَدَّمَ مَا قَدَّرْتَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعْرُوفِ ؛ فَقَلَّمَا يُعْقِبُ
الذَّنْبُ إِلَّا نَدَمًا ، فَإِنَّ الْقُدْرَةَ غَايَةٌ وَلِلْفُؤْذِ الْأَمْرِ
نِهَايَةٌ ، فَاعْتَنِمَهَا فِي مُكْنَتِكَ ، تَسْعُدْ بِمَا قَدَّمْتَهُ ،
وَيَسْعُدْ بِكَ مَنْ أَعْتَنَهُ . فَقَدْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « لِكُلِّ سَاعٍ غَايَةٌ ، وَغَايَةُ كُلِّ
سَاعٍ الْمَوْتُ » . وَقَدْ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ : انْتَهَزُوا هَذِهِ الْفُرَصَ ، فَإِنَّهَا تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَنْ أَخَّرَ الْفُرْصَةَ عَنْ وَقْتِهَا ،
فَلْيَكُنْ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ فَوْتِهَا . وَلِذَلِكَ قِيلَ : خَيْرُ الْخَيْرِ
أَوْحَاهُ^(١) . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَعَاجِزُ الرَّأْيِ مِضْيَاعٌ لِفُرْصَتِهِ

حَتَّى إِذَا فَاتَ أَمْرٌ عَاتَبَ الْقَدَرَا

وَقِيلَ فِي حِكْمِ الْفُرْسِ : لَا خَيْرَ فِي الْقَوْلِ إِلَّا مَعَ
الْفِعْلِ ، كَمَا لَا خَيْرَ فِي الْمُنْظَرِ إِلَّا مَعَ الْمُخْبِرِ . وَقِيلَ
فِي أَمْثَالِ الْهِنْدِ : لَا يَتِمُّ حُسْنُ الْقَوْلِ إِلَّا بِحُسْنِ الْعَمَلِ ،
كَالْمَرِيضِ الَّذِي لَا يَبْرَأُ بِمَعْرِفَةِ الدَّوَاءِ حَتَّى يَتَدَاوَى .

أُحْذَرُ قَبُولُ الْمَدْحِ مِنَ الْمُتَمَلِّقِينَ^(٢) ؛ فَإِنَّ
النِّفَاقَ^(٣) مَرَكُوزٌ فِي طِبَاعِهِمْ ؛ وَيُدَاجُونَكَ بِبَيِّنِ

(١) أَوْحَاهُ : أَسْرَعَهُ وَأَعْجَلَهُ (٢) الملق : التلطف والمداراة (٣) النفاق :
إظهار الإيمان وإبطان أى إخفاء الكفر . والمراد إظهار غير الحقيقة .

عَلَيْهِمْ ، فَإِنْ تَفَقُّوا عَلَيْكَ غَشَشْتَ نَفْسَكَ ؛
وَدَاهَنْتَ حِسَّكَ ، وَصَحَّ فِيكَ مَا قِيلَ فِي مَثُورِ
الْحَكَمِ : سَوْقُ النِّفَاقِ دَائِمَةٌ النِّفَاقِ^(١) . وَقَالَ
عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِرَوْحِ بْنِ زَيْبَاعِ :
لَا تَغْتَابَنَّ عِنْدِي أَحَدًا ، فَإِنِّي لَا أَتَمْنِكَ عَلَى غَيْبِي ،
وَلَا تُفْشِ لِي سِرًّا ، فَإِنِّي لَا أَثِقُ بِكَ فِي مَجْلِسِي ،
وَلَا تُطْرِبْنِي^(٢) فِي وَجْهِ ، فَإِنِّي إِنْ قَبِلْتُهُ مِنْكَ
غَبَنْتُ عَقْلِي ، وَإِنْ رَدَدْتُهُ عَلَيْكَ أَسَأْتُ عِشْرَتِي ،
وَأَنْتَ أَعْرِفُ بِنَفْسِكَ مِنْ غَيْرِكَ فِيمَا تَسْتَحِقُّ بِهِ
حَمْدًا أَوْ ذَمًّا ، فَفَاتَحْ نَفْسَكَ بِمَا فِيهَا ، فَإِنَّكَ أَعْلَمُ
بِمَحَاسِنِهَا وَمَسَاوِيهَا . وَقَدْ قِيلَ فِيمَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى

(١) النفاق : الرواج . يقال نفقت السوق : اذا قامت وراجت

(٢) تطربني : لا تبالغ في مدحى

مِنْ الْكُتُبِ السَّالِفَةِ : عَجِبْتُ لِمَنْ قِيلَ فِيهِ الْخَيْرُ
 وَلَيْسَ فِيهِ ، كَيْفَ يَفْرَحُ ؟ وَعَجِبْتُ لِمَنْ قِيلَ فِيهِ
 الشَّرُّ وَهُوَ فِيهِ ، كَيْفَ يَغْضَبُ ؟ وَقَالَ بَعْضُ
 الْحُكَمَاءِ : مَنْ مَدَحَكَ بِمَا لَيْسَ فِيكَ ، فَحَقِيقٌ ^(١)
 أَنْ يَذُمَّكَ بِمَا لَيْسَ فِيكَ . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ :
 مَنْ أَظْهَرَ شُكْرَكَ فِيمَا لَمْ تَأْتِ إِلَيْهِ .
 فَاحْذَرُهُ أَنْ يَكْفُرَ نِعْمَتَكَ فِيمَا أَسَدَيْتَ إِلَيْهِ ،
 فَقَوِّضْ مَدْحَكَ إِلَى أَفْعَالِكَ ، فَإِنَّهَا تَمْدُحُكَ بِصِدْقٍ
 إِنْ أَحْسَنْتَ ، وَتَذُمَّكَ بِحَقٍّ إِنْ أَسَأْتَ ، وَلَا تَعْتَرَّ
 بِمُخَادَعَةٍ ^(٢) اللِّسَانِ الْكَذُوبِ . فَقَدْ قِيلَ : أَبْصُرْ

(١) حقيق : جدير (٢) المخادعة : مصدر من خادع خدع فلان
 فلانا : اذا ختله وأراد به المكروه من حيث لا يعلم

النَّاسِ مَنْ أَحَاطَ بِذُنُوبِهِ ، وَوَقَفَ عَلَى عُيُوبِهِ . وَقَدْ
 قِيلَ فِي بَعْضِ الصُّحُفِ الْأُولَى : ثَمَارُ الْحُكَمَاءِ
 لِأَنْفُسِهِمْ . كَتَبَ حَكِيمُ الرُّومِ إِلَى الْإِسْكَندَرِ :
 لَا تَرْغَبْ فِي الْكَرَامَةِ الَّتِي تَنَالُهَا مِنَ النَّاسِ كُرْهًا ؛
 وَلَكِنْ فِي الَّتِي تَسْتَحِقُّهَا بِحُسْنِ الْأَثْرِ وَصَوَابِ التَّدْبِيرِ .
 اعْتَمِدْ بِنَظَرِكَ أَهْمَادَ سُلْطَانِكَ ، وَشُكْرَ رَعِيَّتِكَ ،
 تَكُنْ أَيَّامَكَ سَعِيدَةً ؛ وَأَفْعَالَكَ مُحْمُودَةً ؛ وَالنَّاسُ
 بِكَ مَسْرُورِينَ ، وَلَكَ أَعْوَانًا مُسَاعِدِينَ ، وَيَبْقَى
 بَعْدَكَ فِي الدُّنْيَا جَمِيلُ ذِكْرِكَ ، وَفِي الْآخِرَةِ جَزِيلُ
 أَجْرِكَ ؛ وَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ ضِدِّهَا ؛ فَيَعْدِلَ بِكَ إِلَى
 صَدِّهَا . فَإِنَّ الْوَلَايَاتِ كَالْحِكِّ^(١) تُظْهِرُ جَوَاهِرَ

(١) الملحك حجر يحك به الذهب

أَرْبَابَهَا . فَمِنْهُمْ نَازِلٌ مَرْدُولٌ^(١) ، وَصَاعِدٌ مَقْبُولٌ . رَوَى
عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَنَّهُ قَالَ : « أَحْسِنُوا جِوَارَ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى ؛ فَقَلَّمَا
زَالَتْ عَنْ قَوْمٍ فَعَادَتْ إِلَيْهِمْ » . وَكَذَلِكَ قِيلَ :
رُبَّمَا شَرِقَ^(٢) شَارِبُ الْمَاءِ قَبْلَ رِيئِهِ . وَتَعَرَّضَ رَجُلٌ
لِيُخَيَّيَ بَنِي خَالِدِ بْنِ بَرْمَكٍ وَهُوَ عَلَى الْجِسْرِ بِكِتَابٍ
وَسَأَلَهُ أَنْ يَخْتِمَهُ . فَقَالَ : يَا غُلَامُ اخْتِمُ كِتَابَهُ
مَا دَامَ الطَّيْنُ^(٣) رَطْبًا . ثُمَّ أَنْشَدَ :

إِذَا هَبَّتْ رِيَّاحُكَ فَاعْتَنِمَهَا

فَإِنَّ لِكُلِّ خَافِقَةٍ^(٤) سُكُونُ

(١) مردول : اسم مفعول من رذل أو رذل : صار خسيئاً رديئاً

(٢) شرق بالماء : غس به (٣) المراد بالطين ما يستعمل بدل الشمع

(٤) خافقة : اسم فاعل من خفق . يقال خفقت الريح اذا صوتت بهبوبها

وَلَا تَغْفُلْ عَنِ الْإِحْسَانِ^(١) فِيهَا
 فَمَا تَدْرِي السُّكُونُ مَتَى يَكُونُ
 إِذَا نِلْتَ مِنْ سُلْطَانِكَ حَظًّا ؛ وَأَوْجَبْتَ عَلَيْهِ
 مِنْ خِدْمَتِكَ حَقًّا ، فَلَا تَسْتَوْفِهِ . وَدَعْ لِنَفْسِكَ
 بَقِيَّةً يَذْخُرُهَا لَكَ ، فَيَرَاهَا حَقًّا مِنْ حُقُوقِكَ ؛ لِيَكُنْ
 كَفِيلَ أَدَائِهَا إِلَيْكَ ، فَإِنْ اسْتَوْفَيْتَهَا صِرْتَ إِلَى
 غَايَةٍ لَيْسَ بَعْدَهَا إِلَّا النُّقْصَانُ . وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ :
 إِذَا تَمَّ أَمْرُهُ بَدَأَ نَقْصُهُ تَوَقَّعْ زَوَالًا إِذَا قِيلَ تَمَّ
 وَاعْلَمْ أَنَّكَ مَرَّصَدُ لِحَوَائِجِ النَّاسِ ، لِأَنَّ يَدَيْكَ
 أَزِمَةٌ^(٢) الْأُمُورِ ، وَإِلَيْكَ غَايَةُ الطَّلَبِ ؛ فَكُنْ عَلَيْهَا

(١) الاحسان : صنع المعروف (٢) أزمة الامور : جمع زمام .
 وهو مايزم به ويقال فلان بيده أزمة الامور أى مقاليدها وجعل له رأى
 الاعلى فيها . يتصرف فيها كما يشاء

صَبُورًا، تَكُنْ بِقَضَائِهَا شُكُورًا، وَلَا يُضْجِرْكَ طَائِلُهَا
 وَقَدْ أَمَلَكٌ^(١)، وَلَا تَنْفِرْ عَلَيْهِ إِنْ رَاجَعَكَ، فَمَا يَحِدُ
 النَّاسُ مِنْ سُؤَالٍ بُدَا . وَلَخَيْرُ دَهْرِكَ أَنْ تُرَى
 مَرْجُوءًا^(٢)، وَأُنْشِدْتُ لِأَبِي بَكْرٍ بْنِ دُرَيْدٍ رَحِمَهُ
 اللَّهُ تَعَالَى :

لَا تُدْخِلَنَّكَ ضَجْرَةٌ مِنْ سَائِلٍ
 فَلَخَيْرُ دَهْرِكَ أَنْ تُرَى مَسْئُولًا
 لَا تَجْبَهَنَّ بِالرَّدِّ وَجْهَ مُؤَمِّلٍ
 فَبَقَاءُ عِزِّكَ أَنْ تُرَى مَأْمُوءًا
 وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ صَائِرٌ
 خَبْرًا فَكُنْ خَبْرًا يُرَى وَجَمِيلًا

(١) أملك : جعلك ملكا عليه (٢) مرجو : مؤمل .

وَقِيلَ فِي الصُّحُفِ الْأُولَى: الْقَلْبُ الضَّيِّقُ، لَا تَحْسُنْ
 بِهِ الرِّيَّاسَةَ؛ وَالرَّجُلُ اللَّئِيمُ، لَا يَحْسُنْ بِهِ الْغِنَى؛
 وَلَئِنْ كَانَتْ الْخَوَائِجُ كَالْمَغَارِمِ لَمِنْ اسْتَثْقَلَهَا، فَهِيَ
 مَغْنَمٌ لِمَنْ وَفَّقَ لَهَا، وَلَيْسَ بُغْرَمٌ^(١) مَا عَادَ بُغْمٌ^(٢)،
 وَلَا بِضَائِعٍ مَا اصْطُنِعَ فِي مَعْرُوفٍ. وَقَدْ رَوَى
 عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَا عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى
 عَبْدٍ إِلَّا عَظُمَتْ مُؤْنَتُهُ^(٣) النَّاسِ عَلَيْهِ، فَتَنْ لَمْ يَحْتَمِلْ
 مُؤْنَةَ النَّاسِ، عَرَّضَ تِلْكَ النِّعْمَةَ لِلزَّوَالِ». وَإِذَا
 جَعَلَتِ الْوَزَارَةُ غَايَاتِ الْأُمُورِ إِلَيْكَ مُنْتَهِيَةً؛

(١) الغرم: ما ينوب الإنسان في ماله من ضرر بغير جناية منه

(٢) الغنم: ما ناله المرء كسبا

(٣) المؤنة: العدة للامر. والمراد أنه احتمل مؤنتهم. وعالمهم.

وَحَوَائِجِ النَّاسِ عَلَيْكَ وَاقِعَةً ، وَالْقُدْرَةَ لَكَ مُسَاعِدَةً
لِانْبِسَاطِ يَدِكَ ، وَنُفُوزِ أَمْرِكَ ، صِرْتَ بِالتَّوَقُّفِ
وَالْإِعْرَاضِ مُخْلًا بِحُقُوقِ نَظَرِكَ ، وَاسِعًا عَلَى فَوْتِ
فِطْنَتِكَ^(١) . وَقَدْ قَالَ بَهْرَامُ جَوْرُ فِي عَهْدِهِ إِلَى مُلُوكِ
فَارِسَ : إِنَّكُمْ بِمَكَانٍ لَا مَصْرِفَ لِلنَّاسِ عَنْ حَوَائِجِهِمْ
إِلَيْكُمْ ، فَلْتَتَسَّعِ صُدُورُكُمْ كَاتِّسَاعِ سُلْطَانِكُمْ .
فَإِنَّ ذُخْرَكَ^(٢) بِاصْطِنَاعِهِ أَبْقَى ، وَدَفْعَكَ بِهِ عَنْ
نِعْمَتِكَ أَوْقَى . وَقَدْ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي الْجَهْمِ :

إِذَا جَدَّدَ اللَّهُ لِي نِعْمَةً

شَكَرْتُ وَلَمْ يَرِنِي جَاحِدًا

(١) الفطنة : الذكاء وسرعة الفهم . (٢) الذخر : ما ادخر من كل شيء .

وَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ بِالْعَائِدَا

تِ عَلَى مَنْ يَجُودُ بِهَا عَائِدَا

أَيَا جَامِعِ الْمَالِ وَفَرَّتَهُ

لِغَيْرِكَ إِذْ لَمْ تَكُنْ خَالِدَا

فَإِنْ قُلْتَ أَجْمَعُهُ لِلْبِنَا

يْنَ فَقَدْ أَفْقَرَ الْوَلَدُ الْوَالِدَا

وَإِنْ قُلْتَ أَخْشَى صُرُوفَ^(١) الزَّمَا

نِ فَكُنْ مِنْ تَصَارِيْفِهِ وَاجِدَا

فَاجْعَلْ يَوْمَكَ أَسْعَدَ مِنْ أَمْسِكَ ، وَصَلِّحَ النَّاسِ

عِنْدَكَ بِصَلِّحِ نَفْسِكَ ، وَمِلْ إِلَى اجْتِدَابِ الْقُلُوبِ

بِالِاسْتِعْطَافِ ، وَإِلَى اسْتِمَالَةِ النُّفُوسِ بِالْإِنْصَافِ ،

(١) صروف الزمان : تقلباته ونوائبه

تَجِدُهُمْ كُنُوزًا^(١) فِي شِدَائِكَ^(٢) ، وَحِرْزًا فِي نَوَائِبِكَ .
 وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَنْ زَرَعَ خَيْرًا حَصَدَ أَجْرًا ،
 وَمَنْ اصْطَنَعَ حُرًّا اسْتَفَادَ شُكْرًا . وَقِيلَ فِي مَثُورِ
 الْحَكَمِ : خَيْرُ زَادِ الْقُدْرَةِ ، أُعْتِقَادُ الْمِنَنِ . قَالَ الشَّاعِرُ :
 حَصَادُكَ يَوْمًا مَا زَرَعْتَ وَإِنَّمَا

يَدَانِ امْرُؤٍ يَوْمًا بِمَا هُوَ دَائِنٌ

أَحْذَرُ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ وَتَوَقَّهَا ، وَرِقٌّ لَهَا إِنْ
 وَاجَهْتَكَ بِهَا ، وَلَا تَبْعَثْكَ الْعِزَّةُ^(٣) عَلَى الْبَطْشِ ، قَتَرْدَادُ
 يَبْطِشُكَ^(٤) ظُلْمًا ، وَبِعِزَّتِكَ بَغِيًّا ، وَحَسْبُكَ بِمَنْصُورِهِ

(١) الكنز : المال المدفون تحت الأرض ويراد التمثيل . (٢) في
 شدائدك : ما نالك من مكروه الدهر (٣) العزة : القوة والغلبة
 (٤) البطش : العنف والاختد بشدة وسطو عليه .

عَلَيْكَ . وَرَوَى جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ
 رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 أَنَّهُ قَالَ : « اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّا نَسْأَلُ اللَّهَ حَقَّهُ ،
 وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمْنَعُ ذَا حَقٍّ حَقَّهُ » .

كُنْ لِلشَّهَوَاتِ عَزُوفًا^(١) تَنْفَكَ مِنْ أَسْرِهَا ،
 فَإِنَّ مَنْ قَهَرَتْهُ الشَّهْوَةُ كَانَ عَبْدًا لَهَا ، وَمَنْ
 اسْتَعْبَدَتْهُ الشَّهْوَةُ ذَلَّ بِهَا . رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ « مَنْ اشْتَقَّ إِلَى الْجَنَّةِ
 سَارَعَ فِي الْخَيْرَاتِ ؛ وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ لَهَا
 عَنِ الشَّهَوَاتِ » وَقِيلَ لِبَعْضِ حُكَمَاءِ الرُّومِ :
 مَا الْمُلْكُ الْأَعْظَمُ . قَالَ أَنْ يَغْلِبَ الْإِنْسَانُ شَهْوَتَهُ .

(١) العزوف : المنصرف عن الشيء وهو من باب عزف يعزف عزفا

وعزوفاً فهو عزوف عيوف

وَقِيلَ لَهُ : مَا الْفَرْقُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَلِكِ . قَالَ :
الْمَلِكُ عَبْدُ الشَّهَوَاتِ ، وَأَنَا مَوْلَاهَا .

فَكُنْ بِالزَّمَانِ خَيْرًا تَسْلَمُ مِنْ عَثْرَتِهِ ؛ فَإِنَّ
الْإِغْتِرَارَ بِهِ مُرْدٍ ، وَقَدَّمَ لِمَعَادِكَ ، لِيَبْقَى عَلَيْكَ
مَا ادَّخَرْتَهُ ؛ فَلَنْ تَجِدَ إِلَّا مَا قَدَّمْتَ ، وَإِنَّكَ
لَتَجَازَى بِمَا صَنَعْتَ ، وَاسْتَقِلَّ الدُّنْيَا تَجِدْ فِي نَفْسِكَ
عِزًّا ، فَتَرْضَى إِذَا سَخِطْتَ ، وَتُسَرَّ إِذَا حَزِنْتَ ،
فَلَنْ يَذِلَّ إِلَّا طَالِبُهَا ، وَلَنْ يَحْزَنَ إِلَّا صَاحِبُهَا .
وَقَدْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :
« أَنَا زَعِيمٌ لِمَنْ أَكَبَّ عَلَى الدُّنْيَا بِفَقْرٍ لَا غِنَى
فِيهِ ، وَشُغِلَ لَا انْقِطَاعَ لَهُ » . وَقَدْ قَالَ عَلِيُّ بْنُ
أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : احْذَرُوا الدُّنْيَا ، فَإِنَّهَا

غَدَارَةٌ مَكَارَةٌ خَتَارَةٌ^(١) خَسَارَةٌ، تَسْتَنكِحُ فِي كُلِّ
يَوْمٍ بَعْلًا، وَتَسْتَقْبِلُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ أَهْلًا، وَتُفَرِّقُ
فِي كُلِّ يَوْمٍ شَمْلًا. وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: لِيَكُنْ
طَلَبُكَ لِلدُّنْيَا اضْطِرَارًّا، وَفِكْرُكَ فِيهَا اعْتِبَارًا.
وَسَعْيُكَ لِمَعَادِكَ ابْتِدَارًا. وَقَالَ عَبْدُ الْحَمِيدِ: طَالِبُ
الدُّنْيَا عَظِيمٌ، لَيْسَ يُرَوَى لَهُ غَلِيلٌ. وَقَالَ الشَّاعِرُ:
فَلَا جَزَعُ إِنْ رَابَ دَهْرٌ بِصَرْفِهِ

وَبَدَّلَ حَالًا وَأُخْطُبُ كَذَلِكَ

فَمَا الْعَيْشُ إِلَّا مُدَّةٌ سَوْفَ تَنْقَضِي

وَمَا الْمَالُ إِلَّا هَالِكٌ وَابْنُ هَالِكٍ

إِجْعَلْ صَلاَحَ عَمَلِكَ ذُخْرًا لَكَ عِنْدَ رَبِّكَ، وَجَمِيلَ

(١) الختر: المكر والغدر وعليه ختارة وخسارة الفاظ مترادفة

سِيرَتِكَ أَثَرًا مَشْكُورًا فِي النَّاسِ بَعْدَكَ ، لِتَقْتَدِيَ
بِكَ الْأَخْيَارُ ، وَيَزْدَجِرَ بِكَ الْأَشْرَارُ : تَكُنْ بِالثَّوَابِ
حَقِيقًا ؛ وَبِالْحَمْدِ جَدِيرًا . فَقَدْ قِيلَ : الْإِعْتِرَارُ
بِالْأَعْمَارِ ، مِنْ شِيمِ الْأَعْمَارِ ^(١) ، فَلَنْ يَبْقَى بَعْدَكَ
إِلَّا ذِكْرُكَ فِي الدُّنْيَا ، وَثَوَابُكَ فِي الْآخِرَةِ ، فَاطْفَرْ
بِهِمَا ، وَاعْتِمِ بَقِيَّةَ عُمْرِكَ لَهُمَا ، تَكُنْ سَعِيدًا فِيهِمَا ،
فَإِنَّ الدُّنْيَا كَأَحْلَامِ نَائِمٍ ، يَسْتَحْلِيهَا فِي غَفْوَتِهِ ^(٢) ،
وَيَلْفِظُهَا بَعْدَ يَقْظَتِهِ . وَقَدْ قِيلَ فِي الصُّحُفِ الْأُولَى :
اٰخِرُصْ عَلَى الْإِسْمِ الصَّالِحِ ، فَإِنَّهُ لَا يَصْحَبُكَ غَيْرُهُ .
وَقَالَ الْجَاهِظُ : وَلَيْتُ خِزَانَةَ كُتُبِ الرَّشِيدِ

(١) الأعمار : جمع عُمر وعُمر وعُمر : وهو الجاهل الغر الذي لم يجرب

الأمور (٢) الغفوة والغفوة : النومة الخفيفة

وَتَصَفَّحَتْ كُتُبَهُ ، فَلَمْ أَجِدْ كَلِمَةً إِلَّا وَجَدْتُ لَهَا
 تَقِيضَةً ، إِلَّا كَلِمَاتٍ جَاءَتْ عَنْ فِيلَسُوفِ الْعَرَبِ
 عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : قِيَمَةُ كُلِّ
 امْرِئٍ مَا يُحْسِنُ ، وَمَنْ جَهِلَ شَيْئًا عَادَاهُ ، وَلَنْ
 يَهْلِكَ امْرُؤٌ عَرَفَ قَدْرَهُ ، وَكُلُّ مَا يُتَّصَرُّ فِي الْأَوْهَامِ
 فَاللَّهُ بِخِلَافِهِ ، وَبَقِيَّةُ عُمَرِ الرَّجُلِ ، لَا تَمُنَّ لَهَا وَلَا
 قِيَمَةٌ ، لِأَنَّهُ يُدْرِكُ بِهَا مَا فَاتَهُ ، وَيُحْيِي فِيهَا
 مَا أَمَاتَهُ .

فَاغْتَنِمْ أَيُّهَا الْوَزِيرُ بَقِيَّةَ أَيَّامِكَ ، بِأَجَلِ أَعْمَالِكَ ،
 وَاسْتَدْرِكْ فِيهَا مَا تَقَدَّمَ مِنْ سُوءِ آثَارِكَ ، وَكَفِّرْ
 بِهَا مَا أَسْلَفْتَ مِنْ فُجُورِكَ وَاغْتِرَارِكَ ؛ فَخَوَاتِيمُ
 الْأُمُورِ تُعْنَى مَا سَبَقَ ، حَتَّى تَتَنَاسَاهُ النُّفُوسُ ؛ وَتَتَغَاضَى

عَنْهُ الْعُيُونُ ، لِأَنَّهَا تُوَكَّلُ بِالْأَذْنَى ، وَإِنْ جَلَّ
 مَا يَمْنَى ، وَإِذَا مَدَّتْكَ الْأَقْدَارُ بِالتَّوْفِيقِ ، وَغَالَبَكَ
 الْعَقْلُ بِالتَّلَافِي ، عَدَلْتَ وَاعْتَدَلْتَ . فَقُرْتَ فِي
 آخِرَتِكَ ، وَسَعِدْتَ فِي آجِلَتِكَ . وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا اسْتَوَدَعَ اللَّهُ أَحَدًا عَقْلًا
 إِلَّا اسْتَنْقَذَهُ بِهِ يَوْمًا . فَإِذَا عَقَلَكَ عَقْلُكَ عَنْ
 الْبَاطِلِ فَأَنْتَ عَاقِلٌ » .

وَسَأَخْتِمُ تَحْذِيرَكَ وَإِنْذَارَكَ ؛ وَاتَّبِعْ تَبْصِيرَكَ
 وَأَفْكَارَكَ ، بِمَا أَنْذَرَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
 فَهُوَ أَوْعَظُ نَذِيرٍ ؛ وَأَبْلَغُ تَخْوِيفٍ وَتَحْذِيرٍ . رَوَى
 عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُبَيْدٍ عَنْ مُهْمَبِ بْنِ اللَّيْثِ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ
 قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . « إِنْ مِنْ

أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ، إِذَا رَأَيْتُمُ النَّاسَ أَمَاتُوا الصَّلَاةَ ،
وَأَصَاغُوا الْأَمَانَةَ ؛ وَأَحَلُّوا الرَّبَّاءَ ، وَاسْتَخَفُّوا بِالْذِّمَّةِ ؛
وَبَاغُوا الدِّينَ بِالْذُّنْيَا ، وَشَرِبَتِ الْخُمُورُ ؛ وَعُطِّلَتِ
الْحُدُودُ ؛ وَاتَّخَذُوا الْقُرْآنَ مَزَامِيرَ ، وَاتَّخَذَتِ الْأَمَانَةُ
مَغْنَمًا ؛ وَالزَّكَاةُ مَغْرَمًا ، وَكَانَ الْحِلْمُ ضِغْنًا ^(١) ، وَالْوَلَدُ
غِيظًا ، وَغَاضَ الْكِرَامُ غِيضًا ، وَفَاضَ اللَّثَامُ فَيْضًا ؛
وَكَانَ الْأَمْرَاءُ فَجَرَةً ، وَالْوُزَرَاءُ كَذِبَةً ، وَالْأُمَنَاءُ خَوَنَةً ،
وَالْقُرَاءُ فَسَقَةً ، وَكَانَ زَعِيمُ الْقَوْمِ أَرْذَلَهُمْ ، وَتَشَبَّهَ
الرِّجَالُ بِالنِّسَاءِ ، وَالنِّسَاءُ بِالرِّجَالِ ، وَكَذَبَ الصَّادِقُ ،
وَصَدَقَ الْكَاذِبُ ، وَلَعَنَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوَّلَهَا .
فَلْيَتَوَقَّعُوا نُزُولَ الْبَلَاءِ بِهِمْ .

(١) الضغث مصدر من ضغث الحديث خلطه

وَقَدْ أُوجِزَتْ لَكَ أَيُّهَا الْوَزِيرُ مَا إِنْ كَانَ عَمَلُكَ بِهِ
 مُحِيطًا ذَكَرَكَ ، وَإِنْ كُنْتَ غَافِلًا عَنْهُ أَنْذَرَكَ ، وَأَنْ
 يَمُدَّكَ بِتَوْفِيقِهِ ، وَيُعِينَكَ عَلَى طَاعَتِهِ بِجُودِهِ آمِينَ .
 تَمَّ الْكِتَابُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ ،
 وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

*
* *

الآن وَقَدْ طَالَعْنَاكَ بِمَا يَرَاهُ زَعِيمٌ مِنْ زُعَمَاءِ الرَّأْيِ
 عَمَّا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ الْوَزِيرُ ، لِتُقَارِنَهُ وَأَنْتَ
 ابْنُ الْقَرْنِ الْعُسْرَيْنِ بِمَا تَشَاهِدُ وَتَرَى ، نَنْتَقِلُ بِكَ إِلَى
 مَقَالَةِ شَهَابِ الدِّينِ الْحَلَبِيِّ فِي هَذَا الصَّدَدِ بِمَا مُلَخَّصُهُ :

« وَمِمَّا يَجِبُ عَلَى الْكَاتِبِ أَنْ يَتَرَشَّحَ بِهِ لِلْكِتَابَةِ

مقالة
شهاب
الدين
الحلبي

قِرَاءَةُ مَا يَتَّفِقُ مِنْ كُتُبِ النُّحُوِّ الَّتِي يَحْصُلُ بِهَا

كتب
النحو

الْمُقْصُودُ مِنْ مَعْرِفَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِحَيْثُ يَجْمَعُ بَيْنَ طَرَفِي
 الْكِتَابِ الَّذِي يَقْرُؤُهُ وَيَسْتَكْمِلُ اسْتِشْرَاحَهُ ،
 وَيُكَبِّثُ عَلَى الْإِعْرَابِ وَيُلَازِمُهُ ، وَيَجْعَلُهُ دَأْبَهُ
 لِيَرْتَسِمَ فِي فِكْرِهِ ، وَيَدُورَ عَلَى لِسَانِهِ ، وَيَنْطَلِقَ بِهِ
 عِقَالُ قَلَمِهِ وَكَلِمِهِ ، وَيَزُولَ بِهِ الْوَهْمُ عَنْ سَجِيَّتِهِ ،
 وَيَكُونَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ عِبَارَتِهِ . فَإِنَّهُ لَوْ أَتَى مِنْ
 الْبَلَاغَةِ بِأَتَمِّ مَا يَكُونُ وَلَحْنٍ ، ذَهَبَتْ مُحَاسِنُ مَا أَتَى بِهِ ،
 وَانْهَدَّتْ طَبَقَةُ كَلَامِهِ ، وَأُلْقِيَ جَمِيعُ مَا يُحْسِنُهُ ،
 وَوُقِفَ بِهِ عِنْدَ مَا جَهِلَهُ . وَيَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ قِرَاءَةٌ
 مَا يُتَهَيَّأُ مِنْ مُخْتَصَرَاتِ كُتُبِ اللُّغَةِ كَالْفَصِيحِ
 لِشُعْلَبٍ ، وَكَفَايَةِ الْمُتَحَفِّظِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ كُتُبِ
 الْأَلْفَاظِ ، لِيَتَسَّعَ عَلَيْهِ نِطَاقُ النُّطْقِ ، وَيَنْفَسِحَ لَهُ مَجَالُ

كتب
اللغة

الْعِبَارَةِ ، وَيَنْفَتَحَ لَهُ بَابُ الْأَوْصَافِ فِيمَا يَحْتَاجُ إِلَى
وَصْفِهِ مِنْ خَيْلٍ أَوْ سِلَاحٍ ، أَوْ حَرْبٍ أَوْ سَيْرٍ ، أَوْ قِتَالٍ
أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَى وَصْفِهِ ، وَيُضْطَرُّ إِلَى نَعْتِهِ .
وَيَتَّصِلُ بِذَلِكَ حِفْظُ خُطْبِ الْبُلْغَاءِ مِنَ الصَّحَابَةِ
وغيرِهِمْ ، وَمُخَاطَبَاتِهِمْ وَمُحَاوَرَاتِهِمْ وَمُرَاجَعَاتِهِمْ ، وَمَا
ادَّعَاهُ كُلُّ مِنْهُمْ لِنَفْسِهِ أَوْ لِقَوْمِهِ ، وَمَا تَقَضَّاهُ عَلَيْهِ
خَصْمُهُ ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ مَعْرِفَةِ الْوَقَائِعِ بِنَظَائِرِهَا ،
وَتَلَقُّ الْحَوَادِثِ بِمَا شَاكَلَهَا ، وَالِاقْتِدَاءِ بِطَرِيقَةٍ مَنْ
فَلَجَ عَلَى خَصْمِهِ ، وَاقْتِفَاءِ آثَارِ مَنْ اضْطُرَّ إِلَى عُذْرٍ ،
أَوْ إِبْطَالِ دَعْوَى ، أَوْ إِثْبَاتِهَا فَلَحْنٌ بِحُجَّتِهِ ، وَتَخْلَصَ
بِلُطْفٍ مَأْخُذِهِ ، وَدِقَّةٍ مَسْلِكِهِ ، وَحُسْنِ عِبَارَتِهِ ...
فَانْظُرْ فِي هَذَا وَأَمْثَالِهِ ، وَالْحِفْظُ مِنْهُ ، وَالْإِكْتِثَارُ

خطب
البلغاء

مِنْ مُطَالَعَتِهِ ، مِمَّا يَشْحَذُ الْقَرَائِحَ ، وَيَفْتِقُ الْأَذْهَانَ
وَيَرْتَسِمُ فِي الْخَوَاصِرِ ، وَيَكْمُنُ فِي الْأَفْكَارِ ، حَتَّى
يَفِيضَ مَا غَاضَ مِنْهُ عَلَى لِسَانِ الْقَلَمِ ، وَيَبْدُو مِنْهُ
لِكُلِّ وَاقِعَةٍ مِنْوَالٍ يُنْسَجُ عَلَيْهِ ، وَمِثَالٌ يُنْظَرُ فِي
نَظَائِرِ الْأُمُورِ إِلَيْهِ .

أيام
العرب

ثُمَّ النَّظَرُ فِي أَيَّامِ الْعَرَبِ وَقَالِعِهِمْ وَحُرُوبِهِمْ ،
وَتَسْمِيَةِ الْأَيَّامِ الَّتِي كَانَتْ يَنْتَهِي عَنْهَا يَوْمٌ كُلُّ قَبِيلَةٍ
عَلَى الْأُخْرَى ، وَمَا جَرَى يَنْتَهِي عَنْهَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْأَشْعَارِ
وَالْمُنَاقَضَاتِ . لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْعِلْمِ بِمَا يُسْتَشْهَدُ
بِهِ مِنْ وَاقِعَةٍ قَدِيمَةٍ ، أَوْ يَرُدُّ عَلَيْهِ فِي مَكَاتِبَةٍ
مِنْ ذِكْرِ أَيَّامٍ مَشْهُورَةٍ ، أَوْ ذِكْرِ فَارِسٍ مُعَيَّنٍ ...
وَأَمثال ذلك في نظائره كثيرة ، في النظم والنثر ،

فَإِذَا لَمْ يَكُنْ صَاحِبُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ عَارِفًا بِكُلِّ
يَوْمٍ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ ، عَالِمًا بِمَا جَرَى فِيهَا ، لَمْ يَدْرِ
كَيْفَ يُجِيبُ عَمَّا يَرُدُّ إِلَيْهِ مِنْ مِثْلِهَا ، وَلَا مَا
يَقُولُ إِذَا سُئِلَ عَنْهَا ، وَحَسْبُهُ ذَلِكَ تَقْصًّا فِي صِنَاعَتِهِ ،
وَقُصُورًا عَمَّا يَتَحَتَّمُ عَلَيْهِ مِنْ مَعْرِفَتِهِ ، وَحُسْنِ الْجَوَابِ
فِيهِ عِنْدَ السُّوَالِ عَنْهُ .

النظر
في
التواريخ

ثُمَّ النَّظَرُ فِي التَّوَارِيخِ وَمَعْرِفَةُ أَخْبَارِ الدُّوَلِ
مِنْ الإِطْلَاعِ عَلَى سَيْرِ الْمُلُوكِ وَسِيَاسَاتِهِمْ ، وَذِكْرِ
وَقَائِعِهِمْ وَمَكَائِدِهِمْ فِي حُرُوبِهِمْ ، وَمَا اتَّفَقَ لَهُمْ مِنْ
التَّجَارِبِ الَّتِي بَلَغُوا بِهَا أَقْصَى الْمَنَازِلِ ، وَغَدَتَ لِمَنْ
بَعْدَهُمْ كَالْمِرَآةِ الَّتِي تُصَوِّرُ لَهُمْ وَجُودَ التَّدْيِيرِ ، وَتُرِيهِمْ
مَا اسْتَرَّ عَنْهُمْ مِنْ صَغِيرِ أَعْوَالِهِمْ وَالْكَبِيرِ .

فَإِنَّهُ قَدْ يُضْطَرُّ إِلَى السُّؤَالِ عَنْ أَحْوَالِ مَنْ سَلَفَ
مِنْ أَوَّلِ الْعَصْرِ وَإِلَى الْآنِ ، وَيُسْتَخْبَرُ كَيْفَ كَانَ
الْأَمْرُ بَيْنَ زَيْدٍ وَعَمْرٍو ، وَكَيْفَ انْتَصَرَ فُلَانٌ عَلَى
فُلَانٍ ، أَوْ يَرُدُّ عَلَيْهِ فِي كِتَابٍ ذِكْرُ وَاقِعَةٍ بَعْثِهَا ،
أَوْ يُحْتَجُّ عَلَيْهِ بِصُورَةٍ قَدِيمَةٍ ، فَلَا يَعْرِفُ حَقِيقَتَهَا
مِنْ مَجَازِهَا ، وَلَا صِدْقَهَا مِنْ مِثْنِهَا .

ثُمَّ حِفْظُ أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَمُطَالَعَةُ شُرُوحِهَا
وَاسْتِكْشَافُ غَوَامِضِهَا ، وَالتَّوَفُّرُ عَلَى مَا اخْتَارَهُ
الْعُلَمَاءُ مِنْهَا : كَالْحِمَاسَةِ وَالْمُفْضَلِيَّاتِ وَالْأَصْمَعِيَّاتِ ،
وَدِيْوَانِ الْهَزْلِيِّينَ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . لِمَا فِي ذَلِكَ
مِنْ غَزَارَةِ الْمَوَادِّ وَصِحَّةِ الْإِسْتِشْهَادِ ، وَكَثْرَةِ النِّقْلِ ،
وَصَقْلِ مِرَآةِ الْعَقْلِ ، وَانْتِزَاعِ الْأَمْثَالِ ، وَالْأَخْذِ

حفظ
أشعار
العرب

فِي اخْتِرَاعِ الْمُعَانِي عَلَى أَصَحِّ مِثَالٍ ، وَالِاطَّلَاعِ عَلَى
 أُصُولِ اللُّغَةِ . وَشَوَاهِدِهَا ، وَالِاضْطِلَاعِ مِنْ نَوَادِرِ
 الْعَرَبِيَّةِ وَشَوَارِدِهَا . وَقَدْ كَانَ الصَّدْرُ الْأَوَّلُ يَعْتُنُونَ
 بِذَلِكَ غَايَةً الْإِعْتِنَاءِ ، فَذَكَرَ أَنَّ عُمَرَ كَانَ يُقَدِّمُ
 زُهَيْرَ بْنَ أَبِي سَلَمَى فِي الشَّعْرِ . فَقِيلَ لَهُ : بِمِ
 اسْتَحَقَّ ذَلِكَ عِنْدَكَ ؟ فَقَالَ : كَانَ لَا يُعَاطِلُ بَيْنَ الْقَوْلِ ،
 وَلَا يَتَّبِعُ حُوشَى الْكَلَامِ ، وَلَا يَصِفُ الرَّجُلَ إِلَّا بِمَا
 يَكُونُ فِي الرِّجَالِ . فَإِذَا أَكْثَرَ الْمُتَرَشَّحُ لِلْكِتَابَةِ
 مِنْ حِفْظِ خِيَارِ الشَّعْرِ وَتَدَبَّرَ مَعَانِيَهُ ، يَسْهَلُ عَلَيْهِ حُلُّهُ ،
 وَظَهَرَتْ لَهُ مَوَاضِعُ الْإِسْتِشْهَادِ بِهِ ، وَسَاقَهُ الْكَلَامُ
 إِلَى إِبْرَازِ مَا فِي ذَخِيرَةِ حِفْظِهِ ، وَوَضَعِهِ فِي مَكَانِهِ

وَنَقْلِهِ فِي الْإِسْتِشْهَادِ أَوْ التَّضْمِينِ إِلَى مَا كَانَهُ
وُضِعَ لَهُ . . .

وَكَذَلِكَ حِفْظُ جَانِبٍ جَيِّدٍ مِنْ شِعْرِ الْمُحَدِّثِينَ ،
كَأَبِي تَمَّامٍ وَمُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ وَالْبُخْتَرِيِّ وَابْنِ الرُّومِيِّ
وَالْمُتَنَبِّئِيِّ ، لِلطُّفِ مَأْخِذِهِمْ ، وَدَوْرَانِ الصَّنَاعَةِ فِي كَلَامِهِمْ ،
وَدَقَّةِ تَوَلِيدِ الْمَعَانِي فِي أَشْعَارِهِمْ ، وَقُرْبِ أُسْلُوبِهِمْ
مِنْ أُسْلُوبِ الْخُطَابَةِ وَالْكِتَابَةِ ، وَخُصُوصًا الْمُتَنَبِّئِيِّ ،
الَّذِي كَانَهُ يُنْطِقُ عَنْ أَلْسِنَةِ النَّاسِ فِي مُحَاوَرَاتِهِمْ ،
وَكَثُرَ الْإِسْتِشْهَادُ لِشِعْرِهِ ، حَتَّى قَلَّ مَنْ يَجْهَلُهُ ، وَحَتَّى
اِكْتَفَى بِالْبَيِّنَةِ الْوَاحِدَةِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْقَصْدِ وَبُلُوغِ
الْغَرَضِ فِي الْجَوَابِ ، كَمَا كَتَبَ بَعْضُ مُلُوكِ الْعَرَبِ
إِلَى مَنْ كَرَّرَ كُتْبَهُ وَأَرْسَلَهُ إِلَيْهِ . يَقُولُ الْمُتَنَبِّئِيُّ :

وَلَا كُتِبَ إِلَّا الْمَشْرِفِيَّةُ عِنْدَهُ،

وَلَا رُسُلٌ إِلَّا الْخَمِيسُ الْعَرَمَرُمُ

وَكَذَلِكَ النَّظَرُ فِي رَسَائِلِ الْمُتَقَدِّمِينَ دُونَ حِفْظِهَا،
لِمَا فِي النَّظَرِ فِيهَا مِنْ تَنْقِيحِ الْقَرِيحَةِ، وَإِرْشَادِ
الْخَاطِرِ، وَتَسْهِيلِ الطَّرِيقِ، وَالنَّسِجِ عَلَى مَنَوَالِ الْمُجِيدِ
وَالْإِقْتِدَاءِ بِطَرِيقَةِ الْمُحْسِنِ، وَاسْتِجْلَاءِ مَا أُنتَجَتْهُ
الْقَرَائِحُ مِنْ أَبْكَارِ الْأَفْكَارِ، وَاسْتِجْلَاءِ مَا رَوَّقَتْهُ
الْخَوَاطِرُ مِنْ حِيَاضِ الْأَلْفَاظِ وَاسْتِذْرَاكِ مَا فَاتَ
الْقَاصِرَ، وَالِاخْتِرَازَ مِمَّا أَظْهَرَهُ النَّقْدُ، وَرَدَّ مَا بَهَرَجَهُ
السَّبْكُ. فَأَمَّا النَّهْيُ عَنْ حِفْظِ ذَلِكَ، فَلَيْلًا يَقِلُّ
الْخَاطِرُ عَمَّا فِي حَاصِلِهِ، وَيَسْتَنِدَ الْفِكْرُ إِلَى مَا فِي مُودَعِهِ،

وَيَكْتَفِي بِمَا لَيْسَ لَهُ ، وَيَتَلَبَّسَ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ
تَوْبَنِي زُورٍ

الأمثال
العربية

وَكَذَلِكَ النَّظَرُ فِي كُتُبِ الْأَمْثَالِ الْوَارِدَةِ عَنِ
الْعَرَبِ نَظْمًا وَنَثْرًا ، كَأَمْثَالِ الْمَيْدَانِيِّ ، وَالْفَضْلِ
ابْنِ سَلَمَةَ الضَّبِّيِّ ، وَخَمَزَةَ الْأَصْبَهَانِيِّ وَغَيْرِهِمْ ، وَأَمْثَالِ
الْمُحَدِّثِينَ ، الْوَارِدَةِ فِي أَشْعَارِهِمْ ، كَأَبِي الْعَتَاهِيَّةِ ،
وَأَبِي تَمَّامٍ ، وَالْمُتَنَّبِيِّ ، وَأَمْثَالِ الْمُؤَلِّدِينَ ، وَالْأَمْثَالِ
الْمَوْضُوعَةِ عَلَى أَلْسِنِ الْحَيَوَانِ لِلْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ ،
لَيْسَتْ شَهَادَةً بِالْمَثَلِ فِي مَوْضِعِهِ ، وَيُورَدُهُ فِي مَكَانِهِ ،
وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ الْمَعْرِفَةِ بِأَصْلِهِ ، وَأَوَّلَ مَنْ أَرْسَلَهُ
مَثَلًا ، وَمَنْ اسْتَشْهَدَ بِهِ ، وَذَكَرَ سَبَبَهُ . . .

وَأَمَّا التَّمَثِيلُ بِالشَّعْرِ فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ تَمَثَّلَ
 يَوْمًا بِقَوْلِ النَّابِغَةِ الذُّبْيَانِيِّ يَعْتَذِرُ إِلَى الْمُنْذِرِ
 وَلَسْتَ بِمُسْتَبَقٍ أَخَا لَا تَلْمُهُ

عَلَى شَعَثٍ . أَيْ الرَّجَالِ الْمُهَذَّبُ ؟
 ثُمَّ قَالَ : لِمِنْ هَذَا ؟ فَقِيلَ لَهُ : لِلنَّابِغَةِ .
 فَقَالَ : ذَاكَ أَشْعَرُ شُعْرَائِكُمْ . وَسَأَلَ عُمَرُ ابْنَ
 عَبَّاسٍ عَنْ شَيْءٍ فَأَجَابَهُ عَنْهُ ، فَأَعْجَبَهُ جَوَابُهُ فَقَالَ :
 شِنْشِنَةُ أَعْرَفُهَا مِنْ أَخْزَمَ . وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِمَّا تَمَثَّلَ
 بِهِ الصَّحَابَةُ كَثِيرٌ .

وَكَذَلِكَ النَّظَرُ فِي الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ ، فَإِنَّهُ
 قَدْ يُؤْمَرُ بِأَمْرٍ فَيَعْرِفُ بِهَا كَيْفَ يَخْلُصُ قَلَمُهُ
 عَلَى حُكْمِ الشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ مِنْ وَلَايَةِ الْقَضَاءِ ،

وَالْحُسْبَىٰ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَهَذِهِ أُمُورٌ كُليَّةٌ لَا بُدَّ
لِلْمُتَرَشِّحِ لِهَذِهِ الصَّنَاعَةِ مِنَ التَّصَدَّى لِلِإِطْلَاعِ
عَلَيْهَا ، وَالْإِكْبَابِ عَلَى مُطَالَعَتِهَا ، وَالِاسْتِكْثَارِ مِنْهَا .
يُنْفَقُ مِنْ تِلْكَ الْمَوَادِّ ، وَيَسْلُكُ فِي الْوُصُولِ إِلَى
تِلْكَ الصَّنَاعَةِ بِذَلِكَ الْجَوَادِ ، وَإِلَّا فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ فِي
وَادٍ وَالْكِتَابَةُ فِي وَادٍ .

وَأَمَّا الْأُمُورُ الْخَاصَّةُ الَّتِي تَزِيدُ مَعْرِفَتَهَا قَدْرَهُ ،
وَيَزِينُ الْعِلْمُ بِهَا نَظْمَهُ وَتَشْرُهُ ، فَإِنَّهَا مِنَ الْمُسْكَمَلَاتِ
لِهَذَا الْفَنِّ وَإِنْ لَمْ يُضْطَرَّ إِلَيْهَا ذُو الذَّهْنِ الثَّاقِبِ ،
وَالطَّبِيعِ السَّلِيمِ ، وَالْقَرِيحَةِ الْمُطَاوِعَةِ ، وَالْفِكْرَةِ
الْمُنْقَحَةِ ، وَالْبَدِيعَةِ الْمُجِيبَةِ ، وَالرَّوِيَّةِ الْمُتَصَرِّقَةِ ،
لَكِنَّ الْعَالِمَ بِهَا مُتَمَكِّنٌ مِنْ أَرْزَمَةِ الْمَعَانِي ،

يَقُولُ عَنْ عِلْمٍ ، وَيَتَصَرَّفُ عَنْ مَعْرِفَةٍ ، وَيَنْتَقِدُ
بِحُجَّةٍ ، وَيَتَخَيَّرُ بِدَلِيلٍ ، وَيَسْتَحْسِنُ بِإِرْهَانٍ ،
وَيَصُوغُ الْكَلَامَ بِتَرْتِيبٍ .

فَمِنْ ذَلِكَ عِلْمُ الْمَعَانِي وَالْبَيَانِ وَالْبَدِيعِ وَمَا
يُلْحَقُ بِهَا ، وَأَنَا أُشِيرُ الْآنَ إِلَى نَكْتٍ مِنْهَا ، تَدُلُّ
عَلَى جَلَالَةِ قَدْرِ هَذَا الْعِلْمِ ، وَعِظَمِ الْفَائِدَةِ بِهِ ، وَأَنَّ
الْأَدِيبَ وَالْكَاتِبَ الْعَارِضِينَ مِنْهُ ، قَاصِرَانِ عَنْ أَدْنَى
رُتَبِ الْكَمَالِ ، يُخْبِرَانِ وَلَا يَدْرِيَانِ كَيْفَ يُجِيبَانِ .
فَلَوْ سُئِلَ أَحَدُهُمَا عَنْ عِلَّةٍ مَعْنَى اسْتَحْسَنَهُ ، أَوْ لَفْظٍ
اسْتَحْلَاهُ ، أَوْ تَرْكِيبٍ اسْتَجَادَهُ ، لَمْ يَقْدِرْ عَلَى
الْإِثْبَانِ بِدَلِيلٍ عَلَى ذَلِكَ ، كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ :
يَا أَبَا جَعْفَرٍ أَتَحْكُمُ فِي الشُّعْرِ
ر وَمَا فِيكَ آلَةُ الْحُكْمِ

علوم
البلاغة
المعاني
والبيان
والبديع

إِنَّ تَقْدَ الدِّينَارِ إِلَّا عَلَى الصَّيِّ
 رِفِ صَعْبٌ فَكَيْفَ تَقْدُ الْكَلَامَ
 قَدْ رَأَيْتَكَ لَسْتَ تَفْرِقُ فِي الْأَشْ
 عَارِ بَيْنَ الْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَامِ
 وَحَكَى الْإِمَامُ عَبْدُ الْقَاهِرِ الْجُرْجَانِيُّ قَالَ :
 رَكِبَ الْكِندِيُّ الْمُتَفَلِّسُفُ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ وَقَالَ لَهُ :
 إِنِّي أَجِدُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ حَشَوًا . فَقَالَ لَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ :
 فِي أَيِّ مَوْضِعٍ وَجَدْتَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : وَجَدْتُ الْعَرَبَ
 يَقُولُ : عَبْدُ اللَّهِ قَائِمٌ . ثُمَّ يَقُولُونَ : إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ
 قَائِمٌ ثُمَّ يَقُولُونَ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ لَقَائِمٌ . فَقَالَ لَهُ : وَقَوْلُهُمْ
 عَبْدُ اللَّهِ قَائِمٌ جَوَابٌ عَنْ سُؤَالِ سَائِلٍ . وَقَوْلُهُمْ
 إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ قَائِمٌ ، جَوَابٌ لِلْمُتَرَدِّدِ . وَقَوْلُهُمْ : إِنَّ

عَبْدَ اللَّهِ لَقَائِمٌ، جَوَابٌ عَنْ إِنْكَارِ مُنْكَرٍ قِيَامَهُ .
 فَمَا أَحَارَ الْمُتَفَلِّسُفُ جَوَابًا . فَإِذَا ذَهَبَ مِثْلُ هَذَا
 عَلَى الْكِندِيِّ فَمَا الظَّنُّ بغيرِهِ . وَإِنْ كَانَ مِنْ
 مَحَاسِنِ الْكَلَامِ مَا لَا يَحْكُمُ فِي امْتِزَاجِهِ بِالْقُلُوبِ
 غَيْرُ الذَّوْقِ السَّلِيمِ . كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ .

شَيْءٌ بِهِ فُتِنَ الْوَرَى غَيْرُ الَّذِي

يُدْعَى الْجَمَالَ وَلَسْتُ أَدْرِ مَا هُوَ

لَكِنَّ الْغَالِبَ فِي الْكَلَامِ يُعْلَمُ سَبَبُ تَحْسِينِهِ،
 وَتُعْلَلُ مَوَادُّ تَمْكِينِهِ، وَيُجَابُ عَنِ الْعِلَّةِ فِي انْحِطَاطِهِ
 وَارْتِفَاعِهِ، وَيُذَكَّرُ الْمَعْنَى فِي ارْتِقَائِهِ مِنْ حَضِيضِ
 الْقَوْلِ إِلَى يَفَاعِهِ .

أَمَّا وَقَدْ انْتَهَيْنَا مِنْ رِسَالَةِ الْمَأْوَرْدِيِّ وَمَقَالَةٍ

شهاب الدين الحلبي ، فَلْنَنْتَقِلْ بِكَ إِلَى شَيْءٍ
جَدِّ لَازِمٍ لَكَ مِنْ قَوَائِنِ الْكِتَابَةِ ، ذَكَرَهَا
الْمُهَذَّبُ بْنُ مَمَاتِي فِي كِتَابِهِ « قَوَائِنِ الدَّوَاوِينِ » ،
وَعَلِيُّ بْنُ خَلْفٍ ، مِنْ مَقْرُوءَاتِنَا عَلَى الشَّيْخِ فِي
أَخْرِيَاتِ أَيَّامِهِ فِي كِتَابِ « صُبْحِ الْأَعْشَى » قَالَ :



قَالَ الْمُهَذَّبُ^(١) بْنُ مَمَاتِي فِي كِتَابِهِ « قَوَائِنِ الدَّوَاوِينِ » :
يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْكَاتِبُ أَدِيبًا ، حَادَّ الذَّهْنِ ، قَوِيَّ
النَّفْسِ ، حَاضِرَ الْحُسِّ ، جَيِّدَ الْحَدْسِ ، حُلُوَ اللِّسَانِ ،
لَهُ جَرَاءَةٌ يُثَبَّتُ بِهَا الْأُمُورَ عَلَى حُكْمِ الْبَدِيهَةِ ،
وَفِيهِ ثَوْدَةٌ^(٢) يَقِفُ بِهَا فِيمَا لَا يَظْهَرُ لَهُ عَلَى حَدِّ

الصفات
العرفية

(١) راجع صبح الأعشى صفحة ٦٧ جزء ١ (٢) الثوذة :
الطمأنينة والثبات

الرَّوِيَّةُ ، شَرِيفَ الْأَنْفَةِ ، عَظِيمَ الزَّاهَةِ ، كَرِيمَ
 الْأَخْلَاقِ ، مَأْمُونِ الْغَائِلَةِ^(١) ، مُؤَدِّبِ الْخُدَّامِ .
 قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الشَّيْبَانِيُّ : مِنْ صِفَةِ الْكَاتِبِ
 اعْتِدَالُ الْقَامَةِ ، وَصِغَرُ الْأَهَامَةِ ، وَخِفَةُ اللَّهَازِمِ^(٢) ،
 وَكَثَاثَةُ اللَّحْيَةِ ، وَصِدْقُ الْحُسِّ ، وَلُطْفُ الْمَذْهَبِ ،
 وَحَلَاوَةُ الشَّمَائِلِ ، وَخَطْفُ الْإِشَارَةِ ، وَمَلَاخَةُ
 الزَّرَى . قَالَ : وَمِنْ حَالِهِ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ بِهِ
 الْمَلْبَسُ ، نَظِيفَ الْمَجْلِسِ ، ظَاهِرَ الْمُرُوءَةِ ، عَطِرَ
 الرَّائِحَةِ ، دَقِيقَ الذَّهْنِ ، حَسَنَ الْبَيَانِ ، رَقِيقَ
 حَوَاشِي اللَّسَانِ ، حَلَوَ الْإِشَارَةِ ، مَلِيحَ الْإِسْتِعَارَةِ ،
 لَطِيفَ الْمُسْلَكِ ، مُسْتَفْرَه^(٣) الْمَرْكَبِ ، وَلَا يَكُونَ

(١) الغائلة : مؤنث الغائل وهي الداهية والهلكة (٢) اللهازم جمع لهزمة
 وهي عظم ناتئ في اللحى تحت الأذن (٣) مستفره المركب : جميل المركب

مَعَ ذَلِكَ فَضْفَاضَ الْجُبَّةِ^(١)، مُتَفَاوَتَ الْأَجْزَاءِ، طَوِيلَ
 اللَّحْيَةِ، عَظِيمَ الْهَامَةِ، فَإِنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ
 لَا يَلِيقُ بِصَاحِبِهَا الذَّكَاءُ. وَالْفِطْنَةُ، وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ !
 وَشُمُولِ^(٢) كَأَنَّمَا اعْتَصَرُوهَا

مِنْ مَعَانِي شَمَائِلِ الْكِتَابِ
 وَقَالَ أَبُو الْفَضْلِ الصُّورِيُّ^(٣): « يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ
 الْكَاتِبُ فَصِيحًا بَلِيغًا أَدِيبًا، سَنِيَّ الرَّثْبَةِ، قَوِيَّ
 الْحُجَّةِ، شَدِيدَ الْعَارِضَةِ^(٤)، حَسَنَ الْأَلْفَاظِ؛ لَهُ
 مَلَكَةٌ يَقْتَدِرُ بِهَا عَلَى مَدْحِ الْمَذْمُومِ وَذَمِّ الْمَحْمُودِ
 قَالَ الْمُهَذَّبُ بْنُ مِمَاتِي: « أَمَّا حُسْنُ الْهَيْئَةِ
 فَإِنَّهُ يَرْجِعُ فِي ذَلِكَ إِلَى مَا يَعْلَمُهُ مِنْ حَالِ مَخْدُومِهِ،

(١) وفي بعض النسخ (الجنة) (٢) الشمول : الخمر (٣) نسبة الى
 صور من مدن البابليين (٤) العارضة : البيان واللسن والقدرة على الكلام

مِنْ إِشَارِهِ إِظْهَارَ نِعْمَتِهِ عَلَى مَنْ هُوَ فِي خِدْمَتِهِ
 أَوْ إِخْفَاءَهَا . قُلْتُ : وَهَذَا قَدْ يُخَالِفُ مَا تَقَدَّمَ :
 مِنْ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْكَاتِبُ بِهِيَّ الْمَلْبَسِ .
 وَبِالْجُمْلَةِ فَفَصَاحَةُ اللِّسَانِ ، وَقُوَّةُ الْبَيَانِ ، وَالتَّقَدُّمُ
 فِي صِنَاعَةِ الْكِتَابَةِ ، هُوَ الَّذِي يَرْفَعُ الرَّجُلَ وَيُعْظِمُهُ
 دُونَ أَثْوَابِهِ الْبَهِيَّةِ ، وَهَيْئَتِهِ الزَّاهِيَةِ . بَلْ رُبَّمَا
 كَانَ التَّعْظِيمُ فِي الْفَضْلِ لِرِثِّ الْحَالَةِ الْمُنْحَطِّ الْجَانِبِ
 أَكْثَرَ ، وَتَرْجِيحُهُ عَلَى غَيْرِهِ أَقْرَبَ .

وَقَدْ قَالَ سَهْلُ بْنُ هَرُونَ كَاتِبُ الْمَأْمُونِ . وَهُوَ
 مِنْ أَعَمَّةِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ : « لَوْ أَنَّ رَجُلَيْنِ خَطَبَا ،
 أَوْ تَحَدَّثَا ، أَوْ أُحْتَجَّجَا ، أَوْ وَصَفَا ، وَكَانَ أَحَدُهُمَا جَمِيلًا

بَهِيًّا . وَلَبَّاسًا نَبِيلًا^(١) ، وَذَا حَسَبٍ شَرِيفٍ ، وَكَانَ
 الْآخِرُ قَلِيلًا قَنِيئًا^(٢) ، وَبَازًا الْهَيْئَةَ دَمِيًّا^(٣) ، وَخَامِلَ
 الذِّكْرِ مَجْهُولًا ، ثُمَّ كَانَ كَلَامُهُمَا فِي مِقْدَارٍ وَاحِدٍ
 مِنَ الْبَلَاغَةِ ، وَفِي ضَرْبٍ^(٤) وَاحِدٍ مِنَ الصَّوَابِ ،
 لَتَصَدَّعَ عَنْهُمَا الْجَمْعُ ، وَعَامَّتُهُمْ يَقْضَى لِلْقَلِيلِ الدَّمِيمِ
 عَلَى النَّبِيلِ الْجَسِيمِ ، وَلِلْبَازِ الْهَيْئَةِ عَلَى ذِي الْهَيْئَةِ ،
 وَيَشْغَلُهُمُ التَّعَجُّبُ مِنْهُ عَنْ مُنَاوَاةِ صَاحِبِهِ ، وَلِصَّارِ
 التَّعَجُّبِ عَلَى مُسَاوَاتِهِ لَهُ سَبَبًا لِلتَّعَجُّبِ بِهِ ،
 وَالْإِكْثَارُ فِي شَأْنِهِ عَلَّةٌ لِلْإِكْثَارِ فِي مَدْحِهِ . لِأَنَّ
 النُّفُوسَ كَانَتْ لَهُ أَحْقَرُ ، وَمِنْ بَيَانِهِ أَيَّنَسَ ، وَمِنْ

(١) النبيل : النجابة والفضل والعدة والأهبة (٢) القنيء : الصغير

وهي قماء وقمساء (٣) الدميم : قبح الخلقه وجمعه دميم (٤) وفي

بعض النسخ درب بالبدال المهملة

حَسَدِهِ أَبْعَدَ ، فَلَمَّا ظَهَرَ مِنْهُ خِلَافُ مَا قَدَّرُوهُ ،
وَتَضَاعَفَ حُسْنُ كَلَامِهِ فِي صُدُورِهِمْ ، كَبُرَ فِي
عُيُونِهِمْ ، لِأَنَّ الشَّيْءَ مِنْ غَيْرِ مَعْدِنِهِ أَغْرَبُ ، وَكُلَّمَا
كَانَ أَبْعَدَ فِي الْوَحْمِ كَانَ أَظْرَفَ ، وَكُلَّمَا كَانَ أَظْرَفَ
كَانَ أَعْجَبَ ، وَكُلَّمَا كَانَ أَعْجَبَ كَانَ أَبْدَعَ ، وَإِنَّمَا
ذَلِكَ كَنَوَادِرِ الصَّبِيَّانِ وَمُلُحِ الْمَجَانِينِ ، فَإِنَّ اسْتِعْرَابَ
السَّامِعِينَ لِذَلِكَ أَعْجَبُ . وَتَعْجِبُهُمْ مِنْهُ أَكْثَرُ » .
قَالَ : « وَالنَّاسُ مُوَكَّلُونَ بِتَعْظِيمِ الْغَرِيبِ
وَأَسْتِظْرَافِ ^(١) الْبَدِيعِ ، وَلَيْسَ لَهُمْ فِي الْمَوْجُودِ
الرَّاهِنِ ، وَلَا فِيمَا تَحْتَ قُدْرَتِهِمْ مِنَ الرَّأْيِ وَالْهَوَى ،
مِثْلُ الَّذِي مَعَهُمْ فِي الْغَرِيبِ الْقَلِيلِ ، وَفِي النَّادِرِ

(١) يقال استظرف الشيء : استحسسه

الشَّاذُّ ، وَعَلَى هَذَا السَّبِيلِ يَسْتَظَرُّونَ الْقَادِمَ إِلَيْهِمْ ،
وَيَرْحَلُونَ إِلَى النَّازِحِ عَنْهُمْ ، وَيَتْرَكُونَ مَنْ هُوَ
أَعْمُ نَفْعًا ، وَأَكْثَرُ فِي وُجُوهِ الْعِلْمِ تَصَرُّفًا ، وَأَخَفُ
مُؤَنَةً ، وَأَكْثَرُ فَايِدَةً .

آداب
الكتاب
نوعان

التَّوَعُّعُ الْأَوَّلُ : حُسْنُ السَّيْرِ وَشَرَفُ الْمَذْهَبِ ،
وَلِذَلِكَ شُرُوطٌ وَلَوَازِمٌ ، مِنْهَا : اعْتِمَادُ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى
فِي الْأَسْرَارِ وَالْإِعْلَانِ ، وَالْإِظْهَارِ وَالْإِبْطَانِ ،
وَالْمُحَافَظَةُ عَلَيْهَا ، وَالِاسْتِنَادُ إِلَيْهَا فِي مَبَادِي الْأُمُورِ
وَعَوَاقِبِهَا . فَإِنَّهَا الْمَرْوَةُ ^(١) الَّتِي لَا تَنْقُصُ ، وَالْحَبْلُ
الَّذِي لَا يَنْصَرِمُ ^(٢) ، وَالرُّكْنُ الَّذِي لَا يَنْهَدِمُ ، وَالطَّرِيقُ
الَّتِي مَنْ سَلَكَهَا أَهْتَدَى ، وَمَنْ حَادَ عَنْهَا ضَلَّ

(١) المراد سبيل النجاة (٢) لا ينصرم : لا ينقطع

وَتَرَدَّى^(١) : وَالْمُحَافَظَةُ عَلَى شَرَائِعِ الدِّينِ الَّتِي فَرَضَهَا
 اللَّهُ تَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ ، وَالْحَذَرُ مِنَ الْإِسْتِخْفَافِ فِيهَا
 بِحَقِّهِ ، وَتَوَقُّي غَضَبِهِ بِتَأْدِيتِهَا ، وَالِاسْتِجْنَانِ^(٢) مِنْ
 شَقَاءِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِتَوْقِيَّهَا^(٣) .

وَمِنْهَا : طَلَبُ الْأَجْرِ بِمَا يُنِيلُهُ مِنْ عِزِّ سُلْطَانِهِ ،
 وَيُجَدِّدُهُ مِنْ فَوَاضِلِ نِعَمَائِهِ ؛ وَهَذَا هُوَ أَصَحُّ الْأَغْرَاضِ
 الَّتِي يَجِبُ عَلَى كُلِّ عَاقِلٍ أَنْ يُقَدِّمَهُ عَلَى كُلِّ غَرَضٍ ،
 وَيَحْصُلَ مِنْهُ عَلَى السَّهْمِ الْوَافِرِ ، فَلَا خَيْرَ فِي دُنْيَا
 تَنْقَطِعُ السَّعَادَةُ عَنْهَا ، وَإِنَّمَا السَّعَادَةُ بَعْدَ الْمَوْتِ
 وَالِدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ ، وَمِنْ اخْتَارِ الْفَانِي الْمُنْصَرِمَ عَلَى
 الْبَاقِي الدَّائِمِ ، فَقَدْ خَسِرَتْ صَفَقَتُهُ ، وَبَارَتْ تِجَارَتُهُ .

(١) تردى : هلك (٢) الاستجنان : الستر والوقاية (٣) وفي

بعض النسخ بتوفيئتها وهو الأظهر

وَالطَّرِيقُ الْمَوْصِلُ إِلَى هَذَا الْمَقْصِدِ صَلَاحُ النِّيَّةِ
فِيمَا يَتَوَلَّاهُ مِنْ أُمُورِ السُّلْطَانِ ، وَقَصْدُ النَّفْعِ الْعَامِّ لَهُ
وَلِرَعِيَّتِهِ ، وَالِاجْتِهَادُ فِي إِغَاثَةِ الْمَلْهُوفِ ، وَالْأَخْذُ
بِيَدِ الضَّعِيفِ ، وَالتَّنْفَعُ بِجَاهِهِ عِنْدَ سُلْطَانِهِ ، وَحَمْلُهُ عَلَى
الْعَدْلِ فِي الرَّعِيَّةِ ، فَإِذَا تَوَخَّى ذَلِكَ فَازَ بِشَوَابِ اللَّهِ تَعَالَى ،
وَقَضَى حَقَّ السُّلْطَانِ فِيمَا عَرَضَهُ لَهُ مِنَ الشُّكْرِ
وَالْأَجْرِ ، وَقَابَلَ نِعْمَةَ اللَّهِ الَّتِي أَقْدَرَهُ بِهَا عَلَى هَذِهِ
الْأَفْعَالِ الْجَمِيلَةِ بِمَا يَرْتَبِطُهَا عِنْدَهُ ، وَيَسْتَقِرُّ بِهَا لَدَيْهِ .
وَمِنْهَا : مُجَانَبَةُ الرِّيبِ وَالتَّنَزُّهُ عَنْهَا ، وَالطَّهَارَةُ
مِنْهَا ، فَإِنَّهَا تُسَخِّطُ اللَّهَ تَعَالَى ، وَتَذْهَبُ بِمُهَابَةِ الْمَرْءِ ،
وَتُسْقِطُهُ مِنَ الْعُيُونِ وَالْقُلُوبِ . وَأَحَقُّ مَنْ رَاعَى
ذَلِكَ مِنْ نَفْسِهِ مِنْ بَيْنِ أَتْبَاعِ السُّلْطَانِ أَهْلُ هَذِهِ

الصَّنَاعَةِ لِاخْتِصَاصِهِمْ بِهِ ، وَلُطْفِ مَنَزَلَتِهِمْ عِنْدَهُ .
 إِذِ الْمَشْهُورُ عِنْدَ نَقْلَةِ الْأَثَارِ ، أَنَّ الَّذِينَ تَقَدَّمُوا
 مِنْ صُدُورِهَا وَمَشَايِخِهَا ، كَانُوا مِنْ جِلَّةِ ^(١) الْعُلَمَاءِ ،
 وَسَادَةِ الْفُقَهَاءِ ، وَأَفْضَلِ أَهْلِ الْوَرَعِ ، الْمُبَرِّينَ مِنَ
 الدَّنَسِ وَالطَّمَعِ ، الْمُتَمَيِّزِينَ عَلَى الْقَضَاةِ وَالْحُكَّامِ ،
 فِي الْإِسْتِقْلَالِ بِعُلُومِ الْإِسْلَامِ ؛ الْمُتَمَيِّزِينَ عَنْهُمْ
 بِفَضْلِ الْأَدَابِ . وَرَوَايَةِ الْأَشْعَارِ ، وَالْعِلْمِ بِالْأَيَّامِ
 وَالسَّيْرِ ، وَالْإِرْتِيَاضِ بِأَدَابِ الْمُلُوكِ وَعِشْرَتِهِمْ ،
 وَرُسُومِ مُحَبِّبِهِمْ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَنْتَظِمُ فِي صِنَاعَتِهِمْ .
 فَقَدْ سَاوَوْهُمْ فِي عِلْمِ الدِّينِ ، وَفَاقَوْهُمْ فِيمَا تَقَدَّمَ
 ذِكْرُهُ مِمَّا لَا يُشَارِكُونَهُمْ فِيهِ . وَالسُّلْطَانُ وَالدِّينُ

(١) جلة : جمع جليل وهو العظيم

قَرِينَانِ لَا يَفْتَرِقَانِ ، وَعَوْنَانِ عَلَى صَلاَحِ الْبِلَادِ
وَالْعِبَادِ ، فَلَا يَحْتَمِلُ السُّلْطَانُ مَا يُنْكِرُهُ الدِّينُ ،
لِأَنَّهُ تَابِعُهُ وَرَدِيفُهُ

وَمِنْهَا : لُزُومُ الْعَفَافِ وَالصِّيَانَةِ فِيمَا يَتَوَلَّاهُ
لِلسُّلْطَانِ مِنْ أَعْمَالِهِ ، وَيَتَصَرَّفُ فِيهِ مِنْ أَشْغَالِهِ ،
وَالْتَعَفُّفُ عَنِ الْمَطَامِعِ الذَّمِيمَةِ ، وَالْمُطَاعِمِ الْوَحِيمَةِ ،
وَالْتَرَفُّعُ عَنِ الْمَكَاسِبِ اللَّئِيمَةِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَجْمَعُ
الْقُرْبَةَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَالْحُظُوءَةَ عِنْدَ السُّلْطَانِ ، وَجَمِيلَ
السَّيْرِ عِنْدَ الرَّعِيَّةِ — حَتَّى إِنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ قَدْ
تَقَدَّمَ بِهَا عِنْدَ السُّلْطَانِ الْمُتَخَلِّفُونَ فِي الْفَهْمِ وَالْمَعْرِفَةِ ،
وَسَادُوا عَلَى مَنْ لَا يُقَارِبُونَهُ فِي غِنَاءٍ وَلَا كِفَايَةٍ ،
وَحَصَلُوا عَلَى الْأَحْوَالِ السَّنِيَّةِ ، وَالْمَنَازِلِ الْعَلِيَّةِ ؛

وَقُرْبَ بِهَا مَنْ كَانَ بَعِيداً عَلَى مَنْ كَانَ قَرِيباً ، وَمَنْ
لَا مَكَانَةَ لَهُ وَلَا حُرْمَةَ ، عَلَى مَنْ لَهُ مَكَانَةٌ وَحُرْمَةٌ ،
وَأُسْتُدْنِيَ لِأَجْلِهَا مَنْ لَا يَتَرَشَّحُ لَخِدْمَةِ السُّلْطَانِ .
ثُمَّ الَّذِي يُلْزِمُهُ ، أَنْ يَعْتَمِدَ التَّمَسُّكَ بِالصِّيَانَةِ وَالْعَفَافِ
الَّذِي عَلَيْهِ نِظَامُ مَعِيشَتِهِ ، وَالِارْتِفَاقَ فِيهَا بِحُلٍّ
وَيَطِيبُ لَهُ مِنْ جَاهِ خِدْمَتِهِ — فَإِنَّهُ قَدْ قِيلَ
« إِلْزَمِ الصَّحَّةَ يُلْزِمُكَ الْعَمَلُ » . لَا أَنَّهُ يَمْتَنِعُ
مِنَ الْمَنَافِعِ الَّتِي تَصِلُ إِلَيْهِ مِنْ أَطْيَبِ الْمَسْكَاةِ ،
وَتَسْلَمُ مِنْ تَبَعَاتِ الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ ، وَتَخْلُصُ مِنْ
قَبِيحِ الْأَحْدُوثَةِ وَإِطْلَاقِ السُّنَنِ الْحَسَدَةِ بِالطَّعْنِ
وَالْتَّائِبِ ، وَيَنَالُ بِجَاهِ السُّلْطَانِ وَتُقَوِّذُ الْأَمْرَ مِنْ
غَيْرِ خِيَانَةٍ لِلْمُؤْتَمِنِ ، وَلَا اسْتِكَاءٍ لِلرَّعِيَّةِ — فَإِنَّهُ

لَوْ لَا هَذِهِ الْمَنَافِعُ لَغَنَى الْإِنْسَانُ بِالْقَنَاعَةِ ، وَرَضِيَ
 بِالْكَفَافِ ، وَسَلِمَ مِنَ الْمُخَاطَرَةِ بِدِينِهِ وَدُنْيَاهُ فِي
 سَلَامَةِ السُّلْطَانِ ، إِذْ لَا يَجُوزُ أَنْ يَسْتَفْرِغَ وَسْعَهُ
 وَيُعَرِّضَ نَفْسَهُ لِلْخَطَرِ فِيمَا لَا تَحْسُنُ لَهُ عَائِدَةٌ ،
 وَلَا تَخْلُصُ مِنْهُ فَائِدَةٌ ، فِي جَاهٍ وَلَا مَالٍ . وَقَدْ عَلِمَ
 مَا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ هَذِهِ الطَّبَقَةِ فِي سَائِرِ الدُّوَلِ ،
 وَمَا حَصَلُوهُ مِنَ الدَّخَائِرِ ، وَاقْتَنَوْهُ مِنَ الْقُنْيَاتِ
 النَّفِيسَةِ ، الَّتِي أَقْدَرْتَهُمْ عَلَى إِظْهَارِ مُرُوءَاتِهِمْ ،
 وَاتِّخَاذِ الصَّنَائِعِ عِنْدَ الْأَحْرَارِ ، وَحِرَاسَةِ النِّعَمِ عَلَى
 الدَّوَائِرِ ^(١) وَالْأَعْقَابِ . وَإِنَّمَا حَصَلُوا عَلَى ذَلِكَ مِنْ
 حَيْثُ مَعْرِفَتُهُمْ بِوُجُوهِ الْمَكَاسِبِ ، وَأَبْوَابِ
 الْمَرَافِقِ ، لَا مِنْ الْخِيَانَةِ وَذَمِيمِ الطَّعْمِ ^(٢) ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا

(١) الأظهر على النزاري (٢) لعله الطمع

فِي أَرْزَمِيَّةٍ لَا يُغْضَى فِيهَا عَنْ مُتَكَسِّبٍ مِنْ رَشْوَةٍ ،
 وَلَا مُصَانَعَةٍ وَلَا اغْتِصَابٍ ، وَلَا سَبَبٍ مِنْ أَسْبَابِ
 الظُّلْمِ وَإِنْ جَلَّتْ مَنْزِلَتُهُ ، وَعَظُمَتْ مَرْتَبَتُهُ ، وَمِنْهَا
 طَلَبُ الثَّنَاءِ وَالْحَمْدِ ، وَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ الْمَقَاصِدِ السَّنِيَّةِ
 وَأَعْلَاهَا رُتْبَةٌ — لِأَنَّهُ يَتَلَوُ الْأَجْرَ فِي الْبَقَاءِ وَالِدَّوَامِ ،
 وَكُلَّمَا كَانَتْ الْهِمَّةُ أَعْظَمَ وَأَشْرَفَ ، كَانَتْ إِلَيْهِ أَرْغَبَ ،
 وَبِهِ أَكْلَفَ ، وَلِفَضْلِ هَذَا رَغِبَ فِيهِ الْأَشْرَافُ وَعِلْيَةُ
 النَّاسِ ، حَتَّى قَالَ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (وَاجْعَلْ لِي
 لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ) . وَأَوَّلَى النَّاسِ بِاقْتِنَاءِ
 ذَخَائِرِ الْحَمْدِ ، وَافْتِرَاضِ فَرَضِ الشُّكْرِ ، مَنْ عَرَّضَ
 اللَّهُ تَعَالَى جَاهَهُ ، وَطَوَّلَ يَدَهُ ، وَأَمْضَى عِنْدَ السُّلْطَانِ
 لِسَانَهُ ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَخْتَارَ هَذِهِ الْمَكْرَمَةَ ، وَيَقُومَ

بِالنَّصِيبِ الْأَوْفَرِ مِنْهَا ، وَلَا يَبْخُلَ بِجَاهِهِ وَلَا مَالِهِ
 عَلَى قَاصِدٍ وَلَا مُؤَمِّلٍ ، وَلَا ذِي رَحِمٍ وَذِمَامٍ ، وَلَا
 يُضْجَعُ ^(١) فِي أَمْرِ بَطَانَتِهِ وَحَاشِيَتِهِ وَأَصْحَابِهِ ، وَلَا يُضِيقَ
 عَلَيْهِمْ مَعَ سَعَتِهِ ، وَلَا يَقْصُرَ بِهِمْ فِي كِفَايَتِهِ ،
 وَيَجْعَلَ اكْتِسَابَهَا بِجَاهِهِ وَمَالِهِ ، دُونَ أَمْوَالِ سُلْطَانِهِ ،
 فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُتَصَرِّفِينَ بَذَلُوا مَا أُؤْتِمِنُوا
 عَلَيْهِ فِي هَذَا الْغَرَضِ ، وَرَضُوا بِهِ أَهْلَ الشَّفَاعَاتِ
 وَالرَّسَائِلِ ، فَأَعْقَبَهُمْ ذَلِكَ زَوَالُ النِّعَمِ ، وَسُقُوطُ الرُّتْبَةِ
 وَذَهَابُ الْمَالِ ، وَالْوَسْمَ بِعِيسَمِ الْخِيَانَةِ وَالْبَوَارِ إِلَى
 الْأَبَدِ ، وَلَا يُبَالِغُ فِي ابْتِنَاءِ الْمَعَالِي وَاقْتِنَاءِ الْمُحَامِدِ ،
 وَبَذْلِ الرَّغَائِبِ وَارْتِفَاعِ الْهَمَمِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَخْتَصُّ
 بِالْمُلُوكِ ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ مِنْ كَاتِبٍ

وَلَا غَيْرُهُ الْإِقْدَامُ عَلَيْهِ مُفَاخِرًا وَلَا مُكَاتِرًا وَلَا
 مُقَاسِسًا . فَيَكُونُ قَدْ عَدَا طَوْرَهُ ، وَأَضَلَّ رُشْدَهُ ،
 وَتَعَرَّضَ لِلْعَطَبِ مَعَ سُلْطَانِهِ ، وَأَوْجَدَ الطَّرِيقَ إِلَى
 سُوءِ الظَّنِّ بِهِ ، وَفَوْقَ سِهَامِ الْحَسَدَةِ إِلَيْهِ ، وَأَطْلَقَ
 أَلْسِنَتَهُمُ بِالطَّعْنِ عَلَيْهِ ، وَرُبَّمَا أَدَّى بِهِ ذَلِكَ إِلَى
 سُقُوطِ الْمَنْزِلَةِ إِنْ سَلِمَتْ نَفْسُهُ .

وَمِنْهَا : الْإِقْتِصَادُ فِي طَلَبِ اللَّذَّةِ وَالِإِقْتِصَارُ مِنْ
 ذَلِكَ عَلَى مَا يُقِيمُ الْمُرُوءَةَ مِنْ أَفْضَلِ الْأَخْلَاقِ
 وَأَشْرَفِهَا : بَأَنْ يَكُونَ تَنَاوُلُهُمْ مَا يَتَنَاوَلُونَهُ مِنْ ذَلِكَ
 بِسُلُوكِ طَرِيقَةٍ مَحْمُودَةٍ ، يَظْهَرُ فِيهَا أَثَرُ التَّدْبِيرِ
 السَّيِّدِ ، وَالرَّأْيِ الْأَصِيلِ ، مِنْ غَيْرِ خُرُوجٍ إِلَى
 الْإِقْبَالِ عَلَى اللَّذَاتِ . وَالِإِنْهَامُ فِي الشَّهَوَاتِ .

فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ مُسْتَحْسَنٍ لِمَلِكٍ وَلَا سُوقَةٍ ، لِأَنَّهُ
جَالِبٌ لِلْأَسْقَامِ ، قَاطِعٌ عَنِ الْأُمُورِ الْمُهِمَّةِ الَّتِي يَجِبُ
صَرْفُ الْعِنَايَةِ إِلَيْهَا فِي صَلَاحِ الْمَعَاشِ ، وَأَمْرِ الْآخِرَةِ ؛
وَلَكِنْ لَا يُكَلِّفُ تَرْكَ اللَّذَاتِ مُجْلَةً — إِذْ لَا بُدَّ
لِكُلِّ أَحَدٍ مِنْ ذَوِي الرُّثْبَةِ الْعَلِيَّةِ مِنَ الْأَخْذِ
بِنَصِيبٍ مِنْهَا ، لِمَا جُبِلَتْ عَلَيْهِ الطَّبَائِعُ مِنَ الْمِيلِ
إِلَيْهَا ، وَالرَّغْبَةِ فِي الْإِسْتِمْتَاعِ بِالنَّعْمِ وَالْمَلَاذِّ ، وَلِكُلِّ
مِنْهَا حَظٌّ يُضَاهِي رُثْبَتَهُ .

وَأَهْلُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ لِاخْتِلَاطِهِمْ بِالْمُلُوكِ
وَمُشَارَكَتِهِمْ لَهُمْ فِي آدَابِهِمْ ، لَا غِنَى بِهِمْ عَمَّا يُقِيمُ
مَرْوَاتِهِمْ مِنَ اللَّذَاتِ الْمُشَابِهَةِ لِأَقْدَارِهِمْ ، وَمَوَاضِعِهِمْ
مِنَ السُّلْطَانِ .

التَّوَعُّ الثَّانِي : حُسْنُ الْعِشْرَةِ — الَّتِي هِيَ مِنْ
أَفْضَلِ اخْلَاقِ الْمُوجُودَةِ فِي الْغَرَائِزِ طَبْعًا وَالْحَاصِلَةِ
بِالتَّخَلُّقِ تَكْسِبًا وَتَطَبُّعًا ، وَأَعُونَهَا لِمَصَالِحِ الْحَيَاةِ
وَالْمَعَاشِ وَحُبَّةِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ ، وَحُصُولِ الشَّاءِ
وَالشُّكْرِ وَالْمُودَةِ مِنَ الْأَفْضَلِ الْأَخْيَارِ ، وَكِفَايَةِ
الْأَرَادِلِ الْأَشْرَارِ ، وَإِنْ لَمْ يَلْتَزِمَهَا الْكَاتِبُ
طَوْنًا مُجِلَّ عَلَيْهَا كَرَاهًا .

وَأَعْلَمُ أَنَّ أَدَبَ الْمُعَاشَرَةِ عَلَى خَمْسَةِ أَضْرُبٍ .



الضَّرْبُ الْأَوَّلُ : قَالَ عَلِيُّ بْنُ خَلْفٍ : وَلَا يَقُومُ
بِأَدَابِهَا وَأَكْمَلِ رُسُومِهَا ، إِلَّا مَنْ عَلَتْ فِي الْأَدَبِ
دَرَجَتُهُ ، وَسَمَتْ فِي رَجَاحَةِ الْعَقْلِ مَنَزِلَتُهُ ،

وَتَمَيَّزَ بِغَرِيزَةٍ فَاضِلَةٍ وَأَدَبٍ مُكْتَسَبٍ ، وَصَبَرَ
عَلَى الْمَشَاقِّ فِي التَّحَلِّيِّ بِالْهَمِّ الشَّرِيفَةِ ، وَالسُّمُوِّ إِلَى
الْمَنَازِلِ اللَّطِيفَةِ ، مِنْ عِزِّ السُّلْطَانِ ، وَمُسَاعَدَةِ
الزَّمَانِ ، وَتَمَكَّنَ مِنْ تَصْرِيفِ النَّفْسَيْنِ الْحَيَوَانِيَّةِ
وَالشَّهْوَانِيَّةِ ، عَلَى أَغْرَاضِ النَّاطِقِيَّةِ وَمُطَاوَعَتِهَا ، وَأَخَذَهَا
بِقَبُولِ مَا تُرْشِدُ إِلَيْهِ ، وَتَبَعَتْهُ عَلَيْهِ . لِأَنَّ صُحْبَةَ
السُّلْطَانِ أَمْرٌ عَظِيمٌ ، وَصَاحِبُهُ رَاكِبٌ خَطَرٍ جَسِيمٍ ،
بِتَمْلِكِهِ نَفْسَهُ لِمُتَحَكِّمٍ فِي شَعْرِهِ وَبَشَرِهِ ، قَادِرٍ
عَلَى نَفْعِهِ وَضَرِّهِ ، لَا يَرُدُّهُ عَنْ مُقَابَلَتِهِ عَلَى يَسِيرٍ
الْخِيَانَةَ بِكَبِيرِ النَّكَايَةِ ، إِلَّا مَا يُؤَمِّلُ مِنْ صَفْحِهِ
وَمُسَامَحَتِهِ ، وَيَرْجُو مِنْ عَطْفِهِ وَرَأْفَتِهِ . وَأَوَّلُ مَا يَجِبُ
عَلَى الْمُتَّصِلِ بِخِدْمَةِ السُّلْطَانِ ، النَّظَرُ فِي عَوَاقِبِ أُمُورِهِ ،

وَحَفِظَ نَفْسَهُ مِنْ جَرِيرَةٍ يَجْرُهَا عَلَيْهَا ، بِإِغْفَالِهِ فَرَضًا
 مِنْ فُرُوضِ طَاعَتِهِ ، وَتَضْيِيعِهِ الْمُحَافَظَةَ عَلَى حُقُوقِ
 خِدْمَتِهِ ، وَالْعِلْمُ بِأَنَّ لِكُلِّ مَصْحُوبٍ خُلُقًا يَغْلِبُ
 عَلَيْهِ ، وَيَرْجِعُ بِغَرِيزَةِ الطَّبْعِ إِلَيْهِ ، لَا يُمَكِّنُهُ التَّزَوُّعُ
 عَنْهُ وَلَا الْمَفَارَقَةُ لَهُ ، إِذِ الْإِنْتِقَالُ عَنِ الطَّبَاعِ ، شَدِيدُ
 الْإِمْتِنَاعِ ، فِي الْخِدْمِ وَالْأَتْبَاعِ . فَكَيْفَ الْمُلُوكُ
 وَالرُّؤَسَاءُ ، الَّذِينَ لَا يُقَابِلُونَ بِلَوْمٍ عَلَى خُلُقٍ مَذْمُومٍ ،
 بَلِ الْعَادَةُ جَارِيَةٌ فِي أَدَبِ خِدْمَتِهِمْ ، بِأَنَّ يُصَوَّبُوا
 مَا يَرَكْبُونَهُ مِنْ خَطَا ، وَيُحَسِّنُوا مَا يُوَاقِعُونَهُ مِنْ قُبْحٍ .
 فَعَلَيْهِ أَنْ يَنْزِلَ عَنْ أَخْلَاقِهِ لِأَخْلَاقِ سُلْطَانِهِ ، وَمَا
 خَالَفَ سَجِيَّتَهُ فِي إِصْلَاحِ زَمَانِهِ ، وَأَنْ يَنْزِلَ عَنْ هَوَاهُ
 لِهَوَاهُ ، وَيَتَّبِعَ فِيمَا يَسْخَطُهُ وَيَأْبَاهُ ، مَا يُؤَثِّرُهُ

سُلْطَانُهُ وَيَرْضَاهُ . وَيَنْبَغِي أَلَّا يُعَرِّضَ نَفْسَهُ لِمَا
يُسْقِطُ مَنْزِلَتَهُ ، وَيُفْسِدُ عَاقِبَتَهُ ، وَلَا يُوجِدَ لِلزَّمَنِ
طَرِيقًا إِلَى التَّكْرِ لَهُ ، وَيُعِينَهُ بِتَفْوِيقِ سِهَامِهِ
وَالْتَصَدَّى لِمَوَاقِعِهَا . وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ الزَّمَانَ وَإِنْ عَمَّ
بَنَوَائِبِهِ ، فَإِنَّهُ يَخْصُصُ صَاحِبَ السُّلْطَانِ مِنْهَا بِمَا يَزِيدُ
عَلَى نَصِيبِ غَيْرِهِ . وَمِنْ أَشَقِّ الْأَحْوَالِ أَنْ يُدْفَعَ
الْإِنْسَانُ إِلَى تَغْيِيرِ السُّلْطَانِ ، مَعَ كَوْنِ السَّبَبِ فِي ذَلِكَ
شَيْئًا جَرَّهُ إِلَى نَفْسِهِ بِسُوءِ اخْتِيَارِهِ ، لِمَا يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ
فِي ذَلِكَ مِنْ مَرَارَةِ النَّكْبَةِ ، وَحَرَارَةِ الْمَغْبَةِ ^(١) ،
وَتَقَرُّيعِ مَنْ يُزْرَى عَلَى عَقْلِهِ ، وَيُؤَنَّبُهُ بِجَهْلِهِ ، ثُمَّ
إِنَّهُ يَلْزَمُهُ بَعْدَ الْإِحْتِيَاظِ فِيمَا تَقَدَّمَ عِدَّةُ خِصَالٍ أَيْضًا .

(١) المغبة : عاقبة الشيء

مِنْهَا الْإِخْلَاصُ وَهُوَ قِوَامُ الْأَمْرِ فِي الْمُسَاحَبَةِ ، فَإِنْ
 مَنْ صَحِبَ سُلْطَانًا بِعَقِيدَةٍ مَدْخُولَةٍ فِي وِلَايَتِهِ ،
 مَشُورَةٍ فِي مَحَبَّتِهِ ، لَمْ يَنْتَظِمْ لَهُ وَلَا لِسُلْطَانِهِ أَمْرٌ : لِأَنَّ
 الضَّمَائِرَ الْمَذْذُوقَةَ ^(١) وَالنِّيَّاتِ السَّقِيمَةَ ، لَا بُدَّ أَنْ يُصْرَحَ
 بِمَا فِيهَا ، وَيُظْهَرَ مَا فِي دَخِيلَتِهَا ، وَإِذَا أُتْصَحَ ذَلِكَ
 لِلْسُلْطَانِ لَمْ يَقْنَعْ إِلَّا بِاتِّلَافِ نَفْسِهِ ، وَإِذْهَابِ مُهْجَتِهِ .
 وَمِنْهَا النَّصِيحَةُ ، وَهِيَ تَرْبُ ^(٢) الْإِخْلَاصِ . وَالطَّرِيقُ
 الْمَوْصِلُ إِلَى التَّوْفِيقَةِ بِهَا ، أَنْ يُطَالِعَ السُّلْطَانُ بِكُلِّ
 مَا يَفْتَقِرُ إِلَى الْعِلْمِ بِهِ مِنْ خَاصِّ أُمُورِهِ وَعَامَّهَا ،
 وَعَلَى مَنْ اسْتَخْلَصَهُ السُّلْطَانُ لِنَفْسِهِ ، وَأُتِمَّنَهُ عَلَى
 رَعِيَّتِهِ ، وَأَنْطَقَهُ بِلِسَانِهِ ، وَأَخَذَ وَأَعْطَى بِيَدِهِ ، وَأُورِدَ

(١) المذذوقة : أى غير الحالصة . (٢) الترب : ما كان من سنك .
 والمراد المساوية للإخلاص .

وَأُصْدِرَ بِرَأْيِهِ ، وَتَخَيَّرَهُ لِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ مِنْ بَيْنِ
رُؤَسَاءِ دَوْلَتِهِ ، وَأَعْيَانِ مَمْلَكَتِهِ : أَلَّا يَسْتُرَ عَنْهُ دَقِيقًا
وَلَا جَلِيلًا مِنْ أَحْوَالِ مَا فَوَّضَهُ إِلَيْهِ ، وَلَا يَقِفَ
عَنْ إِنِّهَا تَفَاصِيلِهِ وَجَمَلِهِ تَوَقُّيًا مِنْ لَوْمِ لَائِمٍ ،
وَلَا يَحْمِلَهُ فَرْطُ النُّصْحِ لَهُ عَلَى الْإِضْرَارِ بِرِعَّتِهِ ،
وَلَا الرَّغْبَةُ فِي إِثْبَاتِ حَقِّهِ عَلَى تَضْيِيعِ حُقُوقِهَا ،
وَلَا الْقِيَامُ بِمَا يَجِبُ لَهُ دُونَ مَا يَجِبُ لَهَا ، فَإِنَّهَا
بِهِ وَهُوَ بِهَا .

وَمِنْهَا الْاجْتِهَادُ فِيمَا يُبَاشِرُهُ مِنْ أَحْوَالِ سُلْطَانِهِ
بِمَا يَعُودُ عَلَيْهِ تَفَعُّهُ ، بِحَيْثُ لَا يُبْقَى فِي ذَلِكَ مُمَكِّنًا ،
وَلَا يَدْعُ فِيهِ شَأْوًا لِلْآحِقِّ .

وَمِنْهَا كِتْمَانُ السِّرِّ . وَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ الْأَدَابِ

فِي صُحْبَةِ السُّلْطَانِ وَغَيْرِهِ ، وَأَعْوَدَهَا بِالْفَلَاحِ عَلَى
 صَاحِبِهَا : لِأَنَّ كَثْرَةَ الْإِنْتِشَارِ الدَّاخِلِ عَلَى الدُّوَلِ ،
 إِنَّمَا تَوَجَّهَ بِتَفْرِيطٍ بَطَائِنُهَا وَصَاحِبِهَا فِي أَسْرَارِهَا ،
 وَإِظْهَارِهِمْ مَا تَقَرَّرَ فِي أَذْهَانِ الْمُلُوكِ وَعَزَائِمِهِمْ
 قَبْلَ أَنْ يُظْهِرُوهُ ، فَيَجِدُ الْعَدُوُّ بِذَلِكَ الطَّرِيقِ إِلَى
 مُعَاجَلَةِ آرَائِهِمْ بِمَا يَنْقُضُهَا ، وَمُقَابَلَتِهَا بِمَا يُفْسِدُهَا .
 عَلَى أَنْ إِفْشَاءَ السِّرِّ مِنَ الْأَخْلَاقِ الَّتِي طُبِعَ أَكْثَرُ
 النَّاسِ عَلَيْهَا ، وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْإِقْلَاعِ عَنْهَا ،
 فَمَنْ عَلِمَ مِنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ فَلْيَحْذَرْ مُعَامَلَةَ السُّلْطَانِ
 فِي أَسْرَارِهِ وَبَوَاصِنِ أُمُورِهِ ، وَلَا سِيَّمَا مَا وَجِدَ
 مِنْهَا فِي بَابِ حُرُوبِهِ وَمَكَايِدِهِ ، فَإِنَّهُ إِنْ ظَهَرَ
 مِنْهُ عَلَى خِيَانَةٍ فِي السِّرِّ ، عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلْهَلَكَةِ .

وَمِنْهَا : الشُّكْرُ فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ وَاجِبًا عَلَى الْإِنْسَانِ
 مَعَ أَكْفَائِهِ وَنُظْرَائِهِ ، فَإِنَّهُ مَعَ السُّلْطَانِ الَّذِي يَسْتَظِلُّ
 بِظِلِّهِ ، وَيَسْتَدِرُّ أَخْلَافَ فَضْلِهِ أَوْجَبُ . إِذِ الْمَرْءُ قَدْ
 يَقْدِرُ عَلَى مُكَافَأَةِ عَارِفَةِ صَدِيقِهِ بِمَا يُضَاهِيهَا ، وَيَزِيدُ
 عَلَيْهَا ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى مُكَافَأَةِ سُلْطَانِهِ إِلَّا بِشُكْرِ
 نِعْمَتِهِ ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى حُقُوقِ خِدْمَتِهِ . ثُمَّ الشُّكْرُ
 بِالْقَوْلِ يَرْتَقِعُ بَيْنَ الرَّئِيسِ وَالْمَرْءِوسِ ، وَالْخَادِمِ
 وَالْمُسَخِّدِ ، إِلَّا الْيَسِيرَ الَّذِي يَقْضَى بِهِ حَقُّ الْخِدْمَةِ .
 لِأَنَّ الْإِكْثَارَ مِنْهُ دَاخِلٌ فِي حُكْمِ الْمَلَقِ وَالتَّثْقِيلِ ،
 وَإِنَّمَا يَظْهَرُ شُكْرُ الْخَادِمِ مِنْ أَفْعَالِهِ .

وَمِنْهَا الْوَفَاءُ . وَهُوَ مِنْ أَهَمِّ الْخِصَالِ اللَّازِمَةِ
 وَآكِدِهَا ، إِذْ هُوَ الطَّرِيقُ إِلَى صَلَاحِ الْعِبَادِ ،

وَعِمَارَةِ الْبِلَادِ ، بَلْ هُوَ رَأْسُ مَالِ الْكَاتِبِ
وَرَبْحُهُ وَدَوَامُ عَمَلِهِ ، وَالسَّبَبُ الَّذِي لِأَجْلِهِ تَرَعَّبُ
السَّلَاطِينُ فِي مُصْحَبَتِهِ : لِأَنَّهُمْ مَا بَرَحُوا يُقَرَّبُونَ
صَاحِبَ هَذِهِ الْخُصْلَةِ ، وَيَرَوْنَهُ أَهْلًا لِلِاخْتِصَاصِ ،
مَوْضِعًا لِلثِّقَةِ ، وَلَا أَسْوَأَ حَالًا مِمَّنْ نَزَلَ هَذِهِ
الْمُنْزَلَةُ وَهُوَ بِخِلَافِهَا .

ثُمَّ الْوَفَاءُ . يَكُونُ بِإِظْهَارِ النَّصِيحَةِ ، وَبَذْلِ
الِاجْتِهَادِ ، وَقَصْدِ الْمُخَالَصَةِ ، وَمُقَابَلَةِ كُلِّ نِعْمَةٍ
تَفَاضَ عَلَيْهِ بِالنَّهْضَةِ فِيمَا أُسْنِدَ إِلَيْهِ : لِيَدْعُو ذَلِكَ
سُلْطَانَهُ إِلَى رَبِّ^(١) النِّعْمَةِ لَدَيْهِ ، وَإِقْرَارِهَا عَلَيْهِ .
وَمِنْ شُرُوطِ الْوَفَاءِ أَنْ يَلْتَزِمَهُ صَاحِبُهُ لِسُلْطَانِهِ ،
فِي حَالِ سَعَادَتِهِ ، وَإِقْبَالِ دَوْلَتِهِ ، وَفِي حَالِ تَوَلِّيِّهَا

(١) المراد تميمتها وزيادتها .

عَنْهُ وَعُطِّلَتْ . أَمَّا فِي حَالِ إِقْبَالِ الدَّوْلَةِ عَلَيْهِ ، فَأَنْ
يَصْحَبَهُ بِقَلْبِهِ دُونَ بَدَنِهِ ، وَلَا يَتَطَلَّبَ صَاحِبًا غَيْرَهُ
يَنْتَقِلُ إِلَى مُصْحَبَتِهِ ، وَيَسْتَبْدِلُ بِخِدْمَتِهِ مِنْ خِدْمَتِهِ ،
وَلَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ مَتَى وَجَدَ أَتَمَّ مِنْهُ ، عَدَلَ
إِلَيْهِ ، وَلَا أَنْ يُرْتَّبَ لَهُ جِهَةٌ أُخْرَى يَجْعَلُهَا
مُقَدِّمَةً لِأَمْرِ يَتَرَقَّبُهُ : لِمَا فِي ذَلِكَ كُلِّهِ مِنْ
الْخُرُوجِ عَنْ حَدِّ الْإِخْلَاصِ الْمُقَدِّمِ وَجُوبِهِ .
وَأَمَّا فِي حَالِ أَنْصِرَافِ الدَّوْلَةِ عَنْ صَاحِبِهِ ، فَإِنَّهُ
لَا يَبَايِنُهُ مُبَايِنَةَ الْمُسَاعِدِ لِلزَّمَانِ عَلَيْهِ ، الْمُرَافِقِ
لِلْمَقَادِيرِ فِيهِ ، وَلَا يَخُونُهُ عِنْدَ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ ، وَلَا
يُضِيعُ حَقُّوقَهُ عِنْدَهُ وَصَنَائِعَهُ لَدَيْهِ ، وَلَا يَنْحَازُ بِكُلِّيَّتِهِ
إِلَى مَنْ أَقْبَلَتْ أُمُورُ السُّلْطَانِ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا

يَدُلُّ عَلَى خُبثِ السَّجِيَّةِ وَمُقَابَلَتِهَا عَلَى الْإِحْسَانِ
 بِالْإِسَاءَةِ ، وَاسْتِعْمَالِ الْعُقُوقِ وَأَطْرَاحِ الْحُقُوقِ .
 وَمِنْهَا : مُجَانِبَةُ الْأِذْلَالِ ، إِذِ الدَّالَّةُ عَلَى السُّلْطَانِ
 وَالرَّئِيسِ مِنْ أَكْثَرِ مَصَارِعِ التَّلَفِ ، وَأَقْرَبِ الْأَشْيَاءِ
 إِلَى زَوَالِ النِّعَمِ ، وَلِأَجْلِهَا هَلَكَ مَنْ هَلَكَ مِنْ بَطَانَةِ
 السُّلْطَانِ وَخَاصَّتِهِ وَوُزَرَائِهِ ، وَفِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ
 لِمَنْ أَنْعَمَ النَّظَرَ فِي تَأْمُلِهَا . وَعَلَيْهِ أَنْ يُعَوَّلَ فِي
 الْإِعْتِدَادِ بِخِدْمَتِهِ وَنَصَاحَتِهِ لَهُ عَلَى اسْتِهَازِهَا وَظُهُورِهَا ،
 وَلَا يُفِيضَ فِي تَعْدِيدِهَا وَذِكْرِهَا ، وَلَا يُوَاصِلَ
 التَّثْقِيلَ بِأَغْرَاضِهِ وَالْإِلْخَافَ بِأَسْئَلَتِهِ ، وَلَا يُظْهِرَ
 التَّشَعُّبَ عِنْدَ التَّقْصُرِ بِهِ ، وَلَا الْغَضَبَ اتِّكَالًا عَلَى
 سَالِفِ خِدْمَةٍ ، وَقَلِيلِ حُرْمَةٍ ؛ وَأَنْ يَتَنَاسَى مَا أَسْلَفَهُ

مِنَ الْخِدْمَةِ وَالصُّحْبَةِ ، وَيَكُونُ فِي كُلِّ حَالٍ عَارِفًا
 بِعَوَارِفِهِ ، مُعْتَدًّا بِفَوَاضِلِهِ ، مُوجِبًا الْفُرُوضَ لَهُ
 لَا عَلَيْهِ ، فَإِنَّ السُّلْطَانَ مَجْبُورٌ عَلَى أَنْفَةِ النَّفْسِ وَعِزَّتَيْهَا ،
 وَلَا يَحْتَمِلُ التَّنَازُلَ لِأَحَدٍ : لِتَنْزِيلِهِ الْكُلَّ مَنَازِلَ
 الْخِدْمِ وَالْأَرْقَاءِ ، وَاعْتِقَادِهِ أَنَّهُ سَبَبُ النِّعْمَةِ السَّابِقَةِ
 عَلَى الْكَافَةِ ، وَثِقَتِهِ بِوُجُودِ الْعَوَضِ عَمَّنْ يَفْقِدُهُ مِنْ
 الْأَعْوَانِ وَالْأَصْحَابِ ، وَمُثَابَرَةِ النَّاسِ عَلَى خِدْمَتِهِ ،
 وَالِانْتِسَابِ ، إِلَى مُتَابَعَتِهِ لِمَا يَصِلُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْحُظُوفِ ،
 وَيَنَالُونَهُ مِنْ الْجَاهِ وَالثَّرْوَةِ . وَإِنْ كَانَ فِي بَاطِنِ حَالِهِ
 عَلَى خِلَافِ مَا يُؤَيِّرُ ، أَظْهَرَ الشُّكْرَ وَالِاعْتِدَادَ ،
 وَتَلَطَّفَ فِي بُلُوغِ الْغَرَضِ بِأَحْسَنِ تَعْرِِيضٍ ، وَلَمْ يُطْلِقْ
 قَلَمَهُ كَاتِبًا ، وَلَا لِسَانَهُ مُخَاطِبًا . فَإِنَّ ذَلِكَ إِزْرَاءٌ عَلَى

هَمَّةُ الْمُصْحُوبِ ، وَدَلَالَةٌ عَلَى إِخْلَالِهِ بِتَفَقُّدِ الصَّاحِبِ ،
 لَكِنْ يَذْكُرُ النِّعْمَةَ وَسُبُوحَهَا ، وَالْمِنَّةَ وَشُيُوعَهَا ،
 وَيَسْأَلُ الزِّيَادَةَ فِيهَا وَمُضَاعَفَتَهَا . فَإِنْ ذَلِكَ يَقْضَى
 يُبْلُغُ آمَالِهِ ، وَسَدَادِ أُمُورِهِ ، وَسُهُولَةِ مَطَالِبِهِ .
 وَإِذَا زَادَهُ السُّلْطَانُ رِفْعَةً وَتَشْرِيفًا ، أُرْدَادَ لَهُ تَعْظِيمًا
 وَتَوْقِيرًا . وَإِذَا بَسَطَ يَدَيْهِ انْقَبَضَ عَنْ كُلِّ
 مَا يَشِينُهُ ، وَإِذَا خَصَّهُ بِأَثَرَةٍ وَتَقْرِيبٍ أَنْ يَزِيدَ
 الْخَاصَّةَ وَالْعَامَّةَ بَشْرًا وَإِنْسَاسًا ، وَإِنْ أَتَاهُمُ بِهِفْوَةٌ
 لَمْ يَنْتَهَ فِي إِقَامَةِ الْعُذْرِ وَالِاحْتِجَاجِ عَلَى بَرَاءَةِ السَّاحَةِ
 إِلَى الْغَايَةِ الْقُصْوَى . بَلْ يَتَوَسَّطُ فِي ذَلِكَ وَيَسْأَلُ
 مِنْ حُسْنِ الصَّفْحِ وَالْإِقَالَةِ وَجَمِيلِ التَّغْمُدِ وَالْعَفْوِ ،
 مَا يَجْعَلُ لِلْإِحْسَانِ وَجْهًا ، وَلِتَعَقُّبِهِ لِلِسُّخْطِ سَبَبًا .

فَإِنَّهُ إِذَا صَدَعَ بِالْحُجَّةِ فِي بَرَاءَةِ السَّاحَةِ ، فَلَا وَجْهَ
لِمَعْذَرَتِهِ ، وَفِيهِ تَكْذِيبٌ لِرَأْيِهِ ، وَرُبَّمَا أَدَّى إِلَى
فَسَادٍ وَمُفَاقَّةٍ .

وَمِنْهَا : التَّمَسُّكُ بِآدَابِ الْخِدْمَةِ بِالمُوَاطَّاةِ عَلَيْهَا ،
وَصَرْفِ الْإِهْتِمَامِ إِلَيْهَا ، إِذْ هِيَ أَكْثَرُ الذَّرَائِعِ إِلَى
تَيْلِ الرُّتَبِ ، وَبُلُوغِ الْمَارِبِ ، وَالسَّبَبِ الَّذِي يُقَرِّبُ
الْبُعْدَاءَ ، وَيَرْفَعُهُمْ عَلَى أَهْلِ الْوَسَائِلِ وَالْحَرَمِ ، وَذَوِي
الْمَوَاتِ وَالْخُدَمِ ؛ وَيُعْمَى عَنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَيُصَمُّ
عَنْ كُلِّ طَعْنٍ . وَمَا نَالَ أَحَدٌ عِنْدَ السُّلْطَانِ مَرْتَبَةً إِلَّا
وَالْمُوَاطَّاةُ عَلَى خِدْمَتِهِ سَبَبُهَا ، وَالْمُوَاطَّاةُ مُوجِبُهَا ،
وَأَوَّلَى النَّاسِ بِلُزُومِ السُّلْطَانِ كِتَابُهُ الَّذِينَ لَا غِنَى
بِهِ عَنْ حُضُورِهِمْ ، فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ ، وَأَحْيَانِ شُغْلِهِ

وَفَرَاغِهِ : لِأَنَّهُ رُبَّمَا بَدَّهَهُ مَا يَحْتَاجُ إِلَى اسْتِكْفَائِهِ إِيَّاهُ
وِاسْنَادِهِ إِلَيْهِ ، وَإِنْ تَأَخَّرَ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ اسْتَدْعَى
مِنْ مَوْجِدَّتِهِ ، وَاسْتَجَرَ مِنْ لَائِمَتِهِ ، مَا لَا يُزِيلُهُ الْعُذْرُ
إِلَّا فِي الْمُدَّةِ الطَّوِيلَةِ . وَرُبَّمَا اضْطُرَّ لِعَيْبَتِهِ إِلَى إِحْضَارِ
مَنْ يَسْتَكْفِيهِ مَا عَرَضَ لَهُ ، وَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى اضْطِنَاعِهِ ،
وَتَصْيِيرِهِ فِي مَقَامِهِ ، وَإِنْ كَانَ لَا يُسَاوِيهِ فِي فَضْلٍ وَلَا
عِلْمٍ وَلَا غَنَاءٍ ، بِخِلَافِ مَا إِذَا وَجَدَهُ مُسَارِعًا إِلَى
أُمُثْلَتِهِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَزِيدُ فِي حُظْوَتِهِ ، وَيَدْعُو إِلَى
اسْتِخْلَاصِ مَوْدَّتِهِ .

فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَخُصَّ سُلْطَانَهُ مِنْ زَمَانِهِ بِالْقِسْمِ
الْأَوْفَرِ ، وَالنَّصِيبِ الْأَغْزَرِ ، وَلَا يُؤْثِرَ نَيْلَ لَدَّةٍ عَلَيْهِ ،
وَلَا بُلُوغَ وَطَرٍ إِذَا أَدَّى إِلَى تَشْكُرِهِ ؛ فَإِنْ اسْتَطَاعَ

أَنْ يُوَافِقَهُ عَلَى وَقْتٍ يَفْرِضُهُ لَهُ يَتِمَّكُنُ فِيهِ مِنْ بُلُوغِ
 أَوْطَارِهِ ، وَالْوُصُولِ إِلَى مَقَاصِدِهِ كَانَ أَحْمَدَ لِعَاقِبَتِهِ .
 وَأَبْلَغَ لِقَصْدِهِ ، وَأَحْسَمَ لَأَسْبَابِ اللَّائِمَةِ فِي غَيْبَتِهِ ، وَلَا
 يَنْهَمِكَ فِي الْمَلَاذِّ انْهَمَاكَ الْآمِنِ ، بَلْ يَقِفَ عِنْدَ الْحَدِّ
 الَّذِي يُبْقِي فِيهِ فَضْلَةً لِعَوَارِضِ السُّلْطَانِ وَمُهِمَّاتِهِ الْخَادِثَةِ
 فِي آثَاءِ اللَّيْلِ ، وَسَاعَاتِ النَّهَارِ ، فَإِنَّ تَعَبَهُ فِي
 صَلَاحِ زَمَانِهِ ، وَرَاحَةِ سُلْطَانِهِ ، مُسْتَبَقٍ لِنِعْمَتِهِ ،
 مُسْتَدْعٍ لَزِيَادَتِهِ ، وَلَا يَشْتَغِلُ بِكَبِيرِ الْأُمُورِ عَنْ
 صَغِيرِهَا ، وَلَا يَنْتَهِجُ بِمَا أَصْلَحَهُ مِنْهَا حَتَّى يَنْظُرَ
 فِي عَوَاقِبِهِ ، وَيَسْؤَسَ مَا رُدَّ إِلَيْهِ بِالسِّيَاسَةِ الْفَاضِلَةِ :
 فِيلِينَ فِي غَيْرِ ضَعْفٍ ، وَيَشْتَدُّ فِي غَيْرِ عُنفٍ ،
 وَيَعْفُو عَنْ غَيْرِ خَوَرٍ ، وَيَسْطُو مِنْ غَيْرِ جَوْرِ ،

وَيُقَرَّبَ بِغَيْرِ تَدَلٍّ ، وَيُبْعَدَ بِغَيْرِ نُكْرٍ ، وَيُخْصَّ
فِي غَيْرِ مُجَازَاةٍ ، وَيَعْمَ فِي غَيْرِ تَضْيِيعٍ ، فَلَا
يَشْقَى بِهِ الْمُحَقُّ ، وَإِنْ كَانَ عَدُوًّا ، وَلَا يَسْعَدُ
بِهِ الْمُبْطِلُ وَإِنْ كَانَ وَلِيًّا .

وَمِنْهَا : إِذَا حَضَرَ بَيْنَ يَدَيِ سُلْطَانِهِ أَوْ رَئِيسِهِ
فِي الْمَجْلِسِ الْخَاصِّ أَوْ الْعَامِّ أَنْ يَعْتَمِدَ مُقَابَلَتَهُ
بِالْإِجْلَالِ وَالْإِعْظَامِ ، وَالتَّوْقِيرِ وَالْإِكْرَامِ ، وَلَا
يَحْمِلُهُ تَأَكُّدُ الْخِدْمَةِ وَتَطَاوُلُ الصُّحْبَةِ عَلَى إِهْمَالِ
ذَلِكَ بَلْ يَحْفَظَ رَسْمَهُ وَلَا يُغَيِّرَ عَادَتَهُ .

وَمِنْهَا : أَنْ يَتَخَيَّرَ لِحِطَابِهِ فِي الْأَغْرَاضِ وَالْأَوْطَارِ
أَوْقَاتًا يَعْلَمُ خُلُوءَ سِرِّهِ فِيهَا ، وَفَرَاغَ بَالِهِ ، وَأَنْشِرَاحَ
صَدْرِهِ ، وَارْتِفَاعَ الْأَفْكَارِ عَنْ خَاطِرِهِ : إِلَّا إِنْ كَانَ

مَا يُخَاصِبُهُ فِيهِ أَمْرًا عَائِدًا بِإِنْتِظَامِ سُلْطَانِهِ ، وَاسْتِقَامَةِ
زَمَانِهِ ، دَاخِلًا فِي مُهِمَّاتِ أَعْمَالِهِ الَّتِي مَتَى أَخْرَجَهَا نُسِبَ
إِلَى التَّقْصِيرِ ، فَيُقَدِّمُ الْكَلَامَ فِيهَا خَفًّا أَوْ ثَقُلًا . وَإِذَا
خَاطَبَهُ رَئِيسُهُ مِنْ سُلْطَانٍ أَوْ غَيْرِهِ فِي أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ
فَعَلَيْهِ أَنْ يُرْعِيَهُ عَيْنُهُ ، وَيُنْصِتَ إِلَيْهِ سَمْعُهُ ، وَيَشْغَلَ
بِهِ فِكْرُهُ وَلَا يَسْتَعْمِلُهُ فِيمَا يَعُوقُهُ عَنْهُ حَتَّى يَسْتَوْعِبَ
مَا يُلْقِيهِ إِلَيْهِ ، وَيُجِيبَهُ عَنْهُ أَحْسَنَ الْجَوَابِ ،
وَلَا يَلْتَفِتَ فِي حَالِ إِقْبَالِهِ عَلَيْهِ إِلَى غَيْرِهِ ، وَلَا يُصْنَعِ
إِلَى كَلَامٍ مُتَكَلِّمٍ ، وَلَا حَدِيثٍ مُتَحَدِّثٍ ، حَتَّى
لَوْ امْتَحَنَهُ بِاسْتِعَادَةٍ مَا فَاوَضَهُ فِيهِ وَجَدَهُ قَدْ أَخْرَزَ
جَمِيعَهُ ، فَإِنَّ التَّقْصِيرَ فِي ذَلِكَ مِمَّا يُنْكَرُهُ الْمُلُوكُ
وَالرُّؤَسَاءُ ، وَيَسْتَدِلُّونَ بِهِ عَلَى ضَعْفِ الْمُخَاطَبِ ،

وَإِنْ كَانَ فِيمَا خَاطَبَهُ فِيهِ أَمْرٌ يَحْتَمِلُ التَّأْخِيرَ بَادَرَ
 بِالْإِعْتِذَارِ عَنْهُ ؛ لِئَلَّا يُنْسَبَ إِلَى التَّقْصِيرِ بِتَأْخِيرِهِ
 عِنْدَ الْكَشْفِ عَنْهُ ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ مَا يُخَالِفُ
 الصَّوَابَ أَمْضَاهُ ؛ وَإِنْ تَعَذَّرَ السَّبِيلُ إِلَى فِعْلِهِ لَمْ
 يُظْهِرِ التَّقَاعُسَ عَنْهُ لِتَخْطِئَتِهِ ، بَلْ يُقَابِلُهُ بِالِاسْتِصْوَابِ
 ثُمَّ يَتَلَطَّفُ فِي تَعْرِيفِهِ مَكَانَ الْخَطِإِ فِيمَا رَأَاهُ

وَمِنْهَا : أَنْ يَجْرِيَ فِي الْحَالِ فِي مَجَالِسِهِ عَلَى مَا
 يَعُودُ بِوَفَائِهِ وَإِرَادَتِهِ فَإِنْ مَالَ إِلَى الْإِنْبِسَاطِ أَطْلَقَ
 عِنَانَهُ فِيهِ إِطْلَاقَ الْمُتَجَنَّبِ لِلْهُجَرِ وَالْفُحْشِ وَرَفَتْ
 الْقَوْلَ تَابِعًا لِإِيثارِهِ ، قَاضِيًا لِأَوْطَارِهِ ، وَإِنْ أَظْهَرَ
 الْإِتْقَابَاصَ ذَهَبَ مَذْهَبُهُ فِي ذَلِكَ ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ
 يُخَالِفَهُ فِي حَالٍ مِنْ أَحْوَالِهِ ، فَإِنْ مِنْ شُرُوطِ هَذِهِ

الْخِدْمَةِ أَنْ يَتَصَرَّفَ صَاحِبُهَا فِي كُلِّ مَا يُصَرَّفُ
فِيهِ ، وَيُسْرِعَ الْإِتْقِيَادَ إِلَى كُلِّ مَا يُدْعَى إِلَيْهِ ؛
وَلَا يُكْثِرَ مِنَ الدَّعَاءِ لِرَأْسِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَالشُّكْرِ
عَلَى مَا يُؤْلِيهِ مِنَ الْعَوَارِفِ ، فَإِنَّ مِثْلَ ذَلِكَ يُسْتَثْقَلُ
وَمِنْهَا : أَلَّا يَخْضُرَ سُلْطَانُهُ فِي مَلَابِسِهِ الَّتِي
جَرَتْ الْعَادَةُ أَنْ يَتَفَرَّدَ بِهَا كَالْوَشْيِ وَنَحْوِهِ ، إِلَّا أَنْ
يَكُونَ هُوَ الَّذِي يُشَرِّفُ بِهَا ، وَأَنْ يَقْتَصِدَ فِي لِبَاسِهِ
فَيَنْحَطَّ عَمَّا يَلْبَسُهُ سُلْطَانُهُ ، وَيَرْتَفِعَ عَمَّا يَلْبَسُهُ
السُّوقَةُ ، وَيَصْرِفَ عِنَايَتَهُ إِلَى التَّنْظِيفِ وَالتَّعْطُرِ
وَقَطْعِ الرَّاحَةِ الْكَرِيهَةِ مِنَ الْعَرَقِ وَغَيْرِهِ ، حَتَّى
لَا تَقَعَ عَيْنُ رَأْسِهِ عَلَى دَنَسٍ فِي أَثْوَابِهِ ، وَلَا
يَجِدَ مِنْهُ كَرِيهَ رَاحَةٍ فِي حَالِ دُنُوهِ مِنْهُ ؛ وَيُوَصِلَ

اسْتِعْمَالَ الطَّيِّبِ وَالْبُخُورِ الْفَائِقِ ، وَالتَّضَمُّخَ بِالْمِسْكِ ،
فَإِنَّ الْمُلُوكَ تَرَى أَنَّ مَنْ أَغْفَلَ تَعَهُدَ نَفْسِهِ كَانَ
لِغَيْرِهَا أَشَدَّ إِغْفَالًا .

وَمِنْهَا : أَنْ يَتَجَنَّبَ التَّفَاصُحَ وَالتَّعَمُّقَ فِي مُخَاطَبَةِ
رَأْسِيهِ وَالِافْتِحَارَ عَلَيْهِ بِالْبَلَاغَةِ وَالْبَيَانِ ؛ لِمَا فِي
ذَلِكَ مِنَ التَّرَفُّعِ عَلَيْهِ فِي الْكَلَامِ ، بَلْ يَجْعَلُ مَا
يُلْقِيهِ إِلَيْهِ ضَمْنَ الْفَاطِ تَدُلُّ عَلَى مَعَانِيهَا بِسُهُولَةٍ مَعَ
غَضٍّ مِنْ صَوْتِهِ ، وَخَفْضٍ مِنْ طَرَفِهِ ، وَسُكُونٍ مِنْ
أَعْضَائِهِ ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُتَسَامَحُ فِي الْإِثْيَانِ بِالْفَصَاحَةِ ،
وَالذَّهَابِ بِمَذْهَبِ الْجَزَالَةِ ، لِلْخُطَبَاءِ الَّذِينَ يُشْنُونَ عَلَى
الْمُلُوكِ فِي الْمَوَاقِفِ الْعَامَّةِ ضَرُورَةَ احْتِيَاجِهِمْ إِلَى
اسْتِعْمَالِ الْفَاطِ تَقَعُ فِي الْأَسْمَاعِ أَحْسَنَ الْمَوَاقِعِ .

وَمِنْهَا : أَنَّهُ إِذَا تَمَيَّزَ عِنْدَ رَئِيسِهِ ، وَارْتَفَعَتْ
رُبَّتُهُ لَدَيْهِ أَنْ يُجْمَلَ الْقَوْلُ فِي خَاصَّتِهِ وَعَامَّتِهِ ،
وَيُحْسِنَ الْوَسَاطَةَ لِخَاشِيَتِهِ وَرَعِيَّتِهِ ، وَيَتَجَنَّبَ الْقَدَحَ
عِنْدَهُ فِي أَكْفَائِهِ وَنَظَرَائِهِ مِنْ بَطَانَتِهِ وَالْمُقَرَّبِينَ
مِنْ حَضْرَتِهِ ، لِيَكُونَ ذَلِكَ دَاعِيًا إِلَى مَحَبَّتِهِ وَالشَّكْرِ
عَلَيْهِ مُكَافَأَةً لَهُ ، وَإِمْسَاكِ الْأَلْسُنِ عَنِ الطَّعْنِ فِيهِ .
وَمِنْهَا : أَنْ يُبَادِرَ إِلَى الْمَشُورَةِ عَلَيْهِ بِالصَّوَابِ
فِيمَا يَسْتَشِيرُهُ فِيهِ وَيُورِدُهُ إِيرَادَ مُسْتَفِيدٍ لَا مُفِيدٍ ،
وَمُتَعَلِّمٍ لَا مُعَلِّمٍ ، وَيَتَلَطَّفَ فِي أَنْ يُوقِعَهُ مِنْ نَفْسِهِ
مَوْعِدًا يَدْعُوهُ إِلَى الْعَمَلِ بِهِ ، فَإِنَّ مِنْ عَادَةِ الْمُلُوكِ
وَالرُّؤَسَاءِ الْأَنْفَةَ مِنَ الْإِنْقِيَادِ إِلَى مَا يَنْتَحِلُهُ غَيْرُهُمْ
مِنَ الْأَرَاءِ ، وَلَوْ كَانَتْ صَائِبَةً ، وَإِنْ تَمَكَّنَ مِنْ

صِيَاغَةَ حَدِيثٍ يُودِعُهُ فِيهِ فَعَلَ ، مُخَادَعَةً بِذَلِكَ
لِنَفْسِهِ الْآيَةَ وَعِزَّتِهِ الْمُتَقَاعِسَةَ .



الضرب الثاني : قَالَ عَلِيُّ بْنُ خَلْفٍ : وَلَا شَكَّ ^{عشرة}
الأكفاء أَنَّ طَرِيقَةَ الْإِعْتِدَالِ فِي ذَلِكَ ، الْمُوَافَاةُ فِي الْإِخَاءِ ،
وَالْمُسَاوَاةُ فِي الصِّفَاءِ ، وَمُقَابَلَةُ كُلِّ حَالَةٍ بِمَا يُضَاهِيهَا .
أَمَّا الْمُسَامَحَةُ بِالْحُقُوقِ ، وَالْإِغْضَاءُ عَمَّنْ قَصَرَ ، وَالْمُحَافَظَةُ
عَلَى وَدِّ مَنْ فَرَّطَ ، فَلَا خِلَافَ فِي فَضْلِهِ وَالتَّمَدُّحُ
بِمِثْلِهِ ، لَا سِيَّمَا لِمِثْلِ أَهْلِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الَّتِي يَرْتَفِعُ
حَقُّ الْإِعْتِزَاءِ إِلَيْهَا عَنْ حُقُوقِ الْقَرَابَاتِ الدَّانِيَةِ ،
وَالْأَنْسَابِ الرَّاسِخَةِ . وَلِذَلِكَ وَقَعَ فِي كَلَامِ بَعْضِهِمْ
« الْكِتَابَةُ نَسَبٌ » قَالَ عَلِيُّ بْنُ خَلْفٍ : وَالْمَعْنَى

فِيهِ أَنَّ التَّنَاسُبَ الْحَاصِلَ بَيْنَ أَهْلِهَا تَنَاسُبٌ نَفْسَانِيٌّ
لَا جِسْمَانِيٌّ ، يَحْصُلُ عَنْ تَنَاسُبِ الصُّوَرِ الْقَائِمَةِ فِي
نُفُوسِهِمْ بِالْقُوَّةِ ، وَعَنْ تَنَاسُبِهَا بَعْدَ خُرُوجِهَا وَظُهُورِهَا
مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ ، بِدَلِيلِ مَا نَرَاهُ مِنْ اتِّفَاقِ
خَوَاطِرِهِمْ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي يَسْتَنْبِطُونَهَا ،
وَتَوَارُدِهِمْ فِيهَا . وَلَوْ لَا تَنَاسُبُ الْغَرَائِزِ وَتَشَابُهِهَا ،
لَمْ يُمْكِنَ أَنْ يَتَوَطَّطُوا فِي أَكْثَرِ الْأَحْوَالِ عَلَى مَعَانٍ
مُتَكَافِئَةٍ مُتَوَافِيَةٍ .

قَالَ : وَإِذَا كُنَّا نَحْفَظُ مَنْ مَتَّ إِلَيْنَا بِالْأَنْسَابِ
الْجِسْمِيَّةِ الَّتِي لَا تَعَارُفَ بَيْنَهَا ، فَأَوْلَى أَنْ نَحْفَظَ مَنْ
مَتَّ إِلَيْنَا بِالْأَنْسَابِ النَّفْسَانِيَّةِ ، الَّتِي يَصِحُّ مِنْهَا
التَّعَارُفُ . وَلِذَلِكَ قَالَ الْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ : « الْكِتَابَةُ

نَفْسٌ وَاحِدَةٌ تَجَزَّأتُ فِي أَبْدَانٍ مُتَفَرِّقَةٍ . . وَقَالَ :
 لَا عِبْرَةَ بِمَا يَقَعُ بَيْنَ بَعْضِهِمْ مِنَ التَّنَافُرِ وَالتَّبَايُنِ ،
 لِأَنَّ الْمُنَاسَبَةَ إِنَّمَا تَقَعُ عِنْدَ الْمُسَاوَاةِ . أَمَّا مَنْ وَقَعَ
 دُونِ رُتَبَةِ الْآخِرِ مِنَ الْفَضِيلَةِ ، فَلَيْسَ بِمُنَاسِبٍ لَهُ
 فَيَصِيرُ الْقَاصِرُ حَاسِدًا لِمَنْ فَوْقَهُ ، لِلتَّقْصِيرِ الَّذِي فِيهِ .

وَبِكُلِّ حَالٍ ، فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ لَا كُفَاهِهِ
 حَقَّهُمْ ، وَيَحْفَظَ مُنَاسَبَتَهُمْ ، وَيَتَوَخَّى مُسَاهَمَتَهُمْ ،
 وَيَتَقَلَّاهُمْ بِالْإِكْرَامِ وَالتَّمْيِيزِ ، وَيَجْعَلَهُمْ فِي أَعْلَى الْمَرَاتِبِ
 عِنْدَهُ ، وَيَزِيدَهُمْ عَلَى الْإِنْصَافِ ، وَلَا يَقْصُرَ بِهِمْ عَمَّا
 يَسْتَوْجِبُونَهُ وَيَسْتَحِقُّونَهُ ، وَيُخَوِّلُ مِثْلَ ذَلِكَ
 نُظَرَاءَهُ فِي الرِّيَاسَةِ مِنْ غَيْرِ الْكِتَابِ ، وَإِنْ تَعَذَّرَ عَلَيْهِ

الْوُصُولُ إِلَى مُلْتَمَسِهِمْ ، أَطَابَ قُلُوبَهُمْ بِالْوَعْدِ الْجَمِيلِ
فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، وَاجْتَهَدَ فِي الْوَفَاءِ بِهِ .



عشرة
الاتباع

الضرب الثالث : قَالَ عَلِيُّ بْنُ خَلِيفٍ : وَهِيَ لَاحِقَةٌ
بِعِشْرَةِ الْأَكْفَاءِ : لِأَنَّ الَّذِينَ يَسْتَعِينُ بِهِمُ الْكَاتِبُ
يُدْعَوْنَ كُتَّابًا ، وَلَا يُدْعَوْنَ أَعْوَانًا ؛ وَإِنَّمَا الْأَعْوَانُ
خُدَّامُ الشَّرْطَةِ وَمَنْ يَجْرِي مَجْرَاهُمْ . قَالَ : « وَهُمْ وَإِنْ
كَانُوا أَصْحَابَ الْكَاتِبِ وَمَرْءُ وَسِيهِ وَأَتْبَاعُهُ ، فَاسْمُ
الْكِتَابَةِ يَجْمَعُ بَيْنَهُ وَيَبْنِيهِمْ ، وَمُعَاشَرَتُهُمْ دَاخِلَةٌ فِي
بَابِ التَّكْرُمِ وَالتَّفْضِيلِ . وَالِاسْتِثْنَاءُ بِمَحَاسِنِ
الْأَفْعَالِ ، وَمَكَارِمِ الشَّيْمِ .

ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ : « وَيَنْبَغِي أَنْ يُخَصَّهُمْ
بِالنَّصِيبِ الْأَوْفَرِ ، مِنْ إِكْرَامِهِ ، وَالْقِسْمِ الْأَغْزَرِ ،
مِنْ مُلَاحَظَتِهِ وَاهْتِمَامِهِ ، وَيَفْرِضَ لَهُمْ مِنَ التَّقْدِيمِ
وَالِاخْتِصَاصِ وَتَفْقُذِ الْأَحْوَالِ وَالشُّؤُونِ ، وَالَّذِي
يَنْتَهِي إِلَيْهِ أَمَلُ الْمَرْءِ مِنْ الرَّئِيسِ : لِيَجْعَلَ
خِدْمَتَهُمْ لَهُ بِذَلِكَ خِدْمَةً مِقَّةً وَمَوَدَّةً ، لَا خِدْمَةً
خَوْفٍ وَرَهْبَةٍ ، وَأَنْ يُحِبَّ خِدْمَتَهُ إِلَيْهِمْ ، بِتَرْكِ
مُنَاقَشَتِهِمْ ، وَالتَّضْيِيقِ عَلَيْهِمْ ، وَإِنَالَتِهِمْ مِنَ التَّرَفِ فِيهِ
فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ مَا يَحْدُونُ بِهِ السَّبِيلَ إِلَى الْأَخْذِ
بِنَصِيبٍ مِنْ لَذَاتِهِمْ وَأَوْطَارِهِمْ الَّتِي تَمِيلُ النُّفُوسُ
إِلَيْهَا ، وَتَهَافَتُ عَلَيْهَا ؛ فَإِنَّهُمْ مَتَى حَقَّقَهُمُ التَّعَبُ
وَالنَّصَبُ اعْتَزَّضَهُمُ الضَّجَرُ وَالْمَلَالُ ، فَقَصَّروا فِي

الْأَعْمَالِ ، وَتَهَآوُوا بِالْأَشْغَالِ ، فَلَا بُدَّ لَهُمْ مِنْ رَاحَةٍ
تَصْفُو بِهَا أَذْهَانُهُمْ وَيَزُولُ عَنْهَا الْكَلَالُ ، وَلَا يَفْسَحُ
لَهُمْ فِي مُوَاصَلَةِ الرَّاحَةِ وَالْإِخْلَالِ بِمَا يَلْزَمُهُمْ ، فَإِنَّ
ذَلِكَ يَحْمِلُ عَلَى سُوءِ الْعَادَةِ ، وَقُبْحِ الْمَذْهَبِ ،
وَعَلَيْهِ أَنْ يَحْفَظَ لَهُمْ حُقُوقَ الصُّحْبَةِ وَالْخِدْمَةِ
وَيُوجِدَ لَهُمْ مِنَ الْإِعَانَةِ مَا فِيهِ صَلَاحُ حَالِهِمْ فَإِنَّهُ
يَسْتَعْبِدُهُمْ بِذَلِكَ وَيَسْتَخْلِصُ مَوَدَّتَهُمْ ، إِذِ الْقُلُوبُ
مُجْبُولَةٌ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا »



عشرة
الرعية

الضَّرْبُ الرَّابِعُ : قَالَ ابْنُ خَلْفٍ : « وَهُوَ
أَمْرٌ عَظِيمُ النَّفْعِ ، جَسِيمُ الْعَائِدَةِ ، قَاضٍ بِالسَّلَامَةِ .
إِذَا لَا يَطِيبُ لِأَحَدٍ عَيْشٌ ، مَعَ بُغْضِ الرَّعِيَّةِ لَهُ ،

وَنَفُورِهِمْ عَنْهُ ، وَإِنْ عَلَتْ عِنْدَ السُّلْطَانِ رُبَّتُهُ ،
وَارْتَفَعَتْ طَبَقَتُهُ ، وَظَنَّ بِنَفْسِهِ الْإِسْتِغْنَاءَ عَنْهُمْ »
قَالَ : « فَيَنْبَغِي أَنْ يُوقَّرَ الْعِنَايَةُ عَلَى اسْتِصْلَاحِهِمْ
لَهُ ، وَاسْتِمَالَةِ أَهْوَائِهِمْ إِلَيْهِ ، وَلِيَنِ الْجَانِبِ ،
وَوَطْأَةِ الْكَنْفِ ^(١) ، وَخَفْضِ الْجَنَاحِ . وَالْبَسْطِ
وَالْإِيْنَاسِ وَتَأْلُفِهِمْ : كَمَا يُوفَّرُهَا عَلَى اسْتِصْلَاحِ
السُّلْطَانِ وَسِيَاسَتِهِ ، لِتَصِحَّ لَهُ رُبَّةُ التَّوَسُّطِ بَيْنَ
الطَّبَقَتَيْنِ ، وَيَسْلَمَ مِنْ طَعْنِ الطَّاعِنِ ، وَلَوْمِ اللَّائِمِ ،
وَيَبْرَأَ مِنَ الْبَعْضِ وَالشَّحْنَاءِ ، وَيَنْقُلَهُمْ عَمَّا تُسْرِعُ
إِلَيْهِ الطَّبَاعُ الرَّدِيئَةُ : مِنَ الْحَسَدِ وَالْإِيْذَاءِ إِلَى
التَّأْلَفِ وَالْمُودَّةِ ، وَقَدْ أَدَّبَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ صَلَّى

(١) الكنف : الظل والرعاية

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) .



عشرة
الاقارب

الضَّرْبُ الْخَامِسُ : قَالَ ابْنُ خَلْفٍ : « وَيَنْبَغِي أَنْ يُؤْفِقَهُمْ حُقُوقَهُمْ ، وَيَنْهَضَ بِمَا يَسْنَحُ مِنْ أَوْطَارِهِمْ وَمُهِمَّاتِهِمْ وَيُعِينَهُمْ عَلَى مَا يَحْدُثُ مِنْ نَوَائِبِ زَمَانِهِمْ ، وَيُسْعِدَهُمْ فِي مُبْلُوغِ مَطَالِبِهِمْ ، مِنْ سُلْطَانِهِمْ ، وَلَا يَضِنَّ عَلَيْهِمْ بِجَاهٍ وَلَا مَالٍ ، وَلَا يُخَيِّبَ أَمَلَ آمِلِهِمْ ، وَلَا قَصْدَهُ ، وَيَقْرِضَ لَهُمْ مِنْ إِذْعَانِهِ وَاعْتِنَائِهِ مَا يُعِزُّ جَانِبَهُمْ ، وَيُسَهِّلُ مَارِبَهُمْ ، وَيَكْفِي الضِّيمَ وَالظُّلْمَ عَنْهُمْ ، وَيَتَسَطَّرَ الْعَدْلَ وَالْإِنْصَافَ عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّهُ إِذَا التَزَمَ ذَلِكَ

الْتَزَمُوا لَهُ الْإِعْظَامَ وَالْإِجْلَالَ ، وَأَطْلَقُوا السِّنْتَهُمْ
بِالشَّأْنِ عَلَيْهِ ، وَالْإِعْتِدَادِ بِأَيَادِيهِ ، وَأَشَاعُوا ذَلِكَ
بَيْنَ أَمْثَالِهِمْ فَاجْتَلَبَوْا لَهُ مَوَدَّتَهُمْ ، وَتَعَصَّبُوا لَهُ .

تمتة
آداب
الكاتب

قُلْتُ : وَمِنْ تَمَامِ آدَابِ الْكَاتِبِ وَكَمَالِهَا أَنْ
يَعْرِفَ حُقُوقَ مَشَائِخِ الصَّنَاعَةِ وَأَتْمَتِهَا الَّذِينَ فَتَحُوا
أَبْوَابَهَا ، وَذَلَّلُوا سُبُلَهَا ، وَسَهَّلُوا طُرُقَهَا وَيُعَايِلَهُمْ
بِالْإِنْصَافِ فِيمَا أَعْمَلُوا فِيهِ خَوَاطِرَهُمْ ، وَاتَّعَبُوا فِيهِ
رَوِيَّاتِهِمْ ، فَيُنْزِلَهُمْ مَنَازِلَهُمْ ، وَلَا يَبْخَسَهُمْ حُقُوقَهُمْ ،
فَمِنْ آفَاتِ هَذِهِ الصَّنِيعَةِ عَلَى ذَوِي الْفَضْلِ مِنْ أَهْلِهَا
أَنَّ الْقَاصِرَ مِنْهُمْ لَا يَمْتَنِعُ عَنِ ادِّعَاءِ مَنَزَلَةِ الْمُبَرِّزِ
بَلْ لَا يُعْفِيهِ مِنْ ادِّعَاءِ التَّقَدُّمِ فِي الْفَضْلِ عَلَيْهِ .
وَالْمُبَرِّزُ فِي الْفَضْلِ لَا يَقْدِرُ عَلَى إِثْبَاتِ تَقْصِ

الْمُتَخَلِّفِ (وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ) ثُمَّ أَصْلُ
هَذِهِ الْأَدَابِ الَّذِي تَرْجِعُ إِلَيْهِ وَيَنْبُوعُهَا الَّذِي
تَفَجَّرَتْ مِنْهُ .

*
* *

رسالة
عبد الحميد
الكاتب

رِسَالَةُ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ يَحْيَى الْكَاتِبِ ، الَّتِي كَتَبَهَا
إِلَى الْكِتَابِ يُوصِيهِمْ فِيهَا وَهِيَ :

أَمَّا بَعْدُ . حَفِظَكُمُ اللَّهُ يَا أَهْلَ صِنَاعَةِ الْكِتَابَةِ ،
وَحَاطَكُمُ وَوَقَّقَكُمُ وَأَرْشَدَكُمُ ! فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ
جَعَلَ النَّاسَ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ . صَلَوَاتُ اللَّهِ
عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، وَمِنْ بَعْدِ الْمُلُوكِ الْمُكَرَّمِينَ أَصْنَافًا ،
وَإِنْ كَانُوا فِي الْحَقِيقَةِ سَوَاءً ، وَصَرَّفَهُمْ فِي صُنُوفِ
الصَّنَاعَاتِ ، وَضُرُوبِ الْمُحَاوَلَاتِ ، إِلَى أَسْبَابِ مَعَاشِهِمْ ،

وَأَبْوَابِ أَرْزَاقِهِمْ ، جَعَلَكُمْ مَعَشَرَ الْكُتَّابِ فِي
 أَشْرَفِ الْجِهَاتِ أَهْلَ الْأَدَبِ ، وَالْمُرُوءَةِ وَالْعِلْمِ
 وَالرَّأْيَةِ . بِكُمْ تَنْتَظِمُ لِلْخِلَافَةِ مُحَاسِنُهَا ، وَتَسْتَقِيمُ
 أُمُورُهَا ، وَبِنَصَائِحِكُمْ يُصْلِحُ اللَّهُ لِلْخَلْقِ سُلْطَانَهُمْ ،
 وَتَعْمُرُ بِلَادَهُمْ . لَا يَسْتَغْنَى الْمَلِكُ عَنْكُمْ ، وَلَا
 يُوجَدُ كَافٍ إِلَّا مِنْكُمْ ، فَمَوْقِعُكُمْ مِنَ الْمُلُوكِ
 مَوْقِعُ أَسْمَاعِهِمُ الَّتِي بِهَا يَسْمَعُونَ ، وَأَبْصَارِهِمُ الَّتِي
 بِهَا يُبْصِرُونَ ، وَاللِّسَنَتِمْ الَّتِي بِهَا يَنْطِقُونَ ،
 وَأَيْدِيَهُمُ الَّتِي بِهَا يَبْطِشُونَ ، فَأَمْتَعُكُمْ اللَّهُ بِمَا
 خَصَّكُمْ مِنْ فَضْلِ صِنَاعَتِكُمْ ، وَلَا تَزَعْ عَنْكُمْ
 مَا أَضْفَاهُ مِنَ النِّعْمَةِ عَلَيْكُمْ .

وَلَيْسَ أَحَدٌ أَخْوَجَ إِلَى اجْتِمَاعِ خِلَالِ الْخَيْرِ

الْمُحْمُودَةِ ، وَخِصَالِ الْفَضْلِ الْمَذْكُورَةِ الْمَعْدُودَةِ ،
 مِنْكُمْ أَيُّهَا الْكُتَّابُ . إِذَا كُنْتُمْ عَلَى مَا يَأْتِي
 فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنْ صِفَتِكُمْ ، فَإِنَّ الْكَاتِبَ
 يَحْتَاجُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَيَحْتَاجُ مِنْهُ صَاحِبُهُ الَّذِي
 يَثِقُ بِهِ فِي مُهِمَّاتِ أُمُورِهِ ، أَنْ يَكُونَ حَلِيمًا
 فِي مَوْضِعِ الْحِلْمِ ، فَهِيمًا فِي مَوْضِعِ الْحُكْمِ ،
 وَمُقَدِّمًا فِي مَوْضِعِ الْإِقْدَامِ ، وَمُحْجِبًا فِي مَوْضِعِ
 الْإِحْجَامِ ؛ مُؤَثِّرًا لِلْعَفَافِ ، وَالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ ،
 كَتُومًا لِلْأَسْرَارِ ، وَفِيًّا عِنْدَ الشَّدَائِدِ ، عَالِمًا بِمَا
 يَأْتِي مِنَ النَّوَازِلِ ، وَيَضَعُ الْأُمُورَ فِي مَوَاضِعِهَا ،
 وَالطَّوَارِقَ أَمَاكِنَهَا . قَدْ نَظَرَ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنْ
 فُنُونِ الْعِلْمِ فَأَحْكَمَهُ ، فَإِنْ لَمْ يُحْكَمْهُ أَخَذَ مِنْهُ

بِعَقْدَارٍ مَا يَكْتَنِي بِهِ ، يَعْرِفُ بَغَرِيزَةَ عَقْلِهِ ، وَحُسْنِ
 أَدَبِهِ ، وَفَضْلِ تَجَرُّبَتِهِ ، مَا يَرُدُّ عَلَيْهِ قَبْلَ وُرُودِهِ ،
 وَعَاقِبَةَ مَا يَصْدُرُّ عَنْهُ قَبْلَ صُدُورِهِ ، فَيُعِدُّ لِكُلِّ
 أَمْرٍ عُذَّتْهُ وَعَتَادُهُ ، وَيُهَيِّئُ لِكُلِّ وَجْهِ هَيْئَتَهُ وَعَادَتَهُ ،
 فَتَنَافَسُوا يَا مَعْشَرَ الْكُتَّابِ فِي صُنُوفِ الْآدَابِ ،
 وَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ، وَابْدِءُوا بِعِلْمِ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
 وَالْفَرَائِضِ ، ثُمَّ الْعَرَبِيَّةِ فَإِنَّهَا ثِقَافُ السِّنَتِكُمْ .

ثُمَّ أَجِيدُوا الْخَطَّ فَإِنَّهُ حِلْيَةُ كُتُبِكُمْ ، وَارْزُقُوا
 الْأَشْعَارَ ، وَاعْرِفُوا غَرِيبَهَا وَمَعَانِيَهَا ؛ وَأَيَّامَ الْعَرَبِ
 وَالْعَجَمِ ، وَأَحَادِيثَهَا وَسِيرَهَا ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مُعِينٌ إِلَيْكُمْ
 عَلَى مَا تَسْمُو إِلَيْهِ هِمْمُكُمْ . وَلَا تُضَيِّعُوا النَّظَرَ فِي
 الْحِسَابِ ، فَإِنَّهُ قِوَامُ كُتَابِ الْخَرَاجِ ؛ وَارْغَبُوا

بِأَنْفُسِكُمْ عَنِ الْمَطَامِعِ سَنِيهَا وَدَنِيهَا ، وَسَفْسَافِ
الْأُمُورِ وَمَحَاقِرِهَا ، فَإِنَّهَا مَذَلَّةٌ لِلرَّقَابِ ، مَفْسَدَةٌ
لِلْكِتَابِ ، وَزُرْهُوا صِنَاعَتَكُمْ عَنِ الدَّنَائَاتِ ، وَارْبُتُوا
بِأَنْفُسِكُمْ عَنِ السَّعَايَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَمَا فِيهِ أَهْلُ
الْجَهْلَاتِ ؛ وَإِيَّاكُمْ وَالْكِبَرَ وَالصَّلَفَ وَالْعِظَمَةَ ،
فَإِنَّهَا عَدَاوَةٌ مُجْتَلِبَةٌ مِنْ غَيْرِ إِحْنَةٍ ، وَتَحَابُّوا فِي
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي صِنَاعَتِكُمْ ، وَتَوَاصَوْا عَلَيْهَا بِالَّذِي
هُوَ أَلْيَقُ بِأَهْلِ الْفَضْلِ وَالْعَدْلِ وَالنُّبْلِ مِنْ سَلَفِكُمْ .
وَإِنْ نَبَا الزَّمَانُ بِرَجُلٍ مِنْكُمْ فَأَعْظِفُوا عَلَيْهِ وَوَأَسُوهُ
حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِ حَالُهُ ، وَيُثَوِّبَ إِلَيْهِ أَمْرُهُ ؛ وَإِنْ
أَقْعَدَ أَحَدَكُمْ الْكِبَرَ عَنْ مَكْسَبِهِ وَلِقَاءِ إِخْوَانِهِ ،
فَزُورُوهُ وَعَظِّمُوهُ وَشَاوِرُوهُ ، وَاسْتَظْهِرُوا بِفَضْلِ

تَجَرَّبَتْهُ ، وَقَدَّمَ مَعْرِفَتِهِ . وَلَيْكُنِ الرَّجُلُ مِنْكُمْ
 عَلَى مَنْ اصْطَنَعَهُ وَاسْتَظْهَرَ بِهِ لِيَوْمِ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ ،
 أَحْفَظَ مِنْهُ عَلَى وَلَدِهِ وَأَخِيهِ ، فَإِنْ عَرَضَتْ فِي الشُّغْلِ
 مُحَمَّدَةٌ فَلَا يُضِفْهَا إِلَّا إِلَى صَاحِبِهِ ، وَإِنْ عَرَضَتْ
 مَذْمُومَةٌ فَلْيَحْمِلْهَا هُوَ مِنْ دُونِهِ ، وَلْيَحْذَرْ السَّقْطَةَ
 وَالزَّلَّةَ وَالْمَلَلَ عِنْدَ تَغْيِيرِ الْحَالِ ، فَإِنَّ الْعَيْبَ إِلَيْكُمْ
 مَعَشَرَ الْكُتَّابِ أَسْرَعُ مِنْهُ إِلَى الْفِرَاءِ ؛ وَهُوَ لَكُمْ
 أَفْسَدُ مِنْهُ لَهَا .

فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا صَحِبَهُ الرَّجُلُ ،
 يَبْذُلُ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ مَا يَجِبُ لَهُ مِنْ حَقِّهِ ؛ فَوَاجِبُ
 عَلَيْهِ أَنْ يَتَقَدَّ لَهُ مِنْ وَفَائِهِ ، وَشُكْرِهِ ، وَاحْتِمَالِهِ ،
 وَصَبْرِهِ ، وَنَصِيحَتِهِ ، وَكِتْمَانِ سِرِّهِ وَتَدْبِيرِ أَمْرِهِ ،

مَا هُوَ جَزَاءُ لِحَقِّهِ . وَيَصْدُقُ ذَلِكَ بِفِعَالِهِ عِنْدَ
الْحَاجَةِ إِلَيْهِ وَالِإِضْطِرَارِ إِلَى مَا لَدَيْهِ .

فَاسْتَشْعِرُوا ذَلِكَمُ وَفَقَّكُمْ اللَّهُ مِنْ أَنْفُسِكُمْ فِي
حَالَةِ الرَّخَاءِ ، وَالشَّدَّةِ ، وَالْحَرَمَانِ ، وَالْمُوَاسَاةِ ،
وَالْإِحْسَانِ ، وَالسَّرَّاءِ ، وَالضَّرَّاءِ ، فَنِعِمَّتِ الشَّيْمَةُ هَذِهِ
لِمَنْ وَسِمَ بِهَا مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الشَّرِيفَةِ ! . فَإِذَا
وُلِيَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ ، أَوْ صِيرَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ خَلْقِ اللَّهِ
وَعِيَالِهِ أَمْرٌ ، فَلْيُرَاقِبِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلْيُوَثِّرْ طَاعَتَهُ ،
وَلْيَكُنْ عَلَى الضَّعِيفِ رَفِيقًا^(١) ، وَلِلْمَظْلُومِ مُنْصِفًا ،
فَإِنَّ الْخَلْقَ عِيَالُ اللَّهِ ، وَأَحَبُّهُمْ إِلَيْهِ أَرْفَقُهُمْ بِعِيَالِهِ .
ثُمَّ لِيَكُنْ بِالْعَدْلِ حَاكِمًا ، وَلِلْأَشْرَافِ مُكْرِمًا ،

وَلِلْفِي^(١) مُؤَفِّرًا ، وَلِلْبِلَادِ عَامِرًا ، وَلِلرَّعِيَّةِ مُتَأَلِّفًا ،
وَعَنْ إِذَائِهِمْ مُتَخَلِّفًا . وَلَيْسَكُنْ فِي مَجْلِسِهِ مُتَوَاضِعًا
حَلِيمًا ، وَفِي سَجَلَاتِ خَرَاجِهِ ، وَاسْتِقْضَاءِ حُقُوقِهِ
رَفِيقًا . وَإِذَا صَحِبَ أَحَدَكُمْ رَجُلًا فَلْيَخْتَبِرْ خَلَائِقَهُ ،
فَإِذَا عَرَفَ حَسَنَهَا وَقَبِيحَهَا أَعَانَهُ عَلَى مَا يُوَافِقُهُ مِنَ
الْحُسَنِ ، وَاحْتَالَ لِصْرَفِهِ عَمَّا يَهْوَاهُ مِنَ الْقَبِيحِ بِالطَّفِ
حِيلَةٍ ، وَأَجْمَلَ وَسِيلَةٍ . وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ سَائِسَ الْبَهِيمَةِ
إِذَا كَانَ بَصِيرًا بِسَيَاسَتِهَا ، اتَّمَسَ مَعْرِفَةَ اخْلَاقِهَا ،
فَإِنْ كَانَتْ رَمُوحًا لَمْ يَهْجُهَا^(٢) إِذَا رَكَبَهَا ، وَإِنْ كَانَتْ
سَبُوحًا^(٣) اتَّقَاهَا مِنْ قَبْلِ يَدَيْهَا ، وَإِنْ خَافَ مِنْهَا
شُرُودًا تَوَقَّاهَا مِنْ نَاحِيَةِ رَأْسِهَا ، وَإِنْ كَانَتْ حَرُونًا^(٤)

(١) الفئء : الغنيمة (٢) يهجهها : لم يفضيها ولم يحرك ثورتها

(٣) السبوح التي ترفع يديها في الجري من سبوح بمعنى عام

(٤) الحرون من الخيل : الذي لا ينقاد

قَمَعَ بِرَفْقٍ هَوَاهَا فِي طَرِيقِهَا ، فَإِنْ اسْتَمَرَّتْ عَظْفَهَا
يَسِيرًا فَيَسْلُسْ لَهُ قِيَادُهَا . وَفِي هَذَا الْوَصْفِ مِنْ
السِّيَاسَةِ دَلَالٌ لِمَنْ سَاسَ النَّاسَ ، وَعَامَلَهُمْ وَخَدَمَهُمْ
وَدَاخَلَهُمْ .

وَالْكَاتِبُ بِفَضْلِ أَدَبِهِ ، وَشَرِيفِ صَنْعَتِهِ ، وَلَطِيفِ
حِيلَتِهِ وَمُعَامَلَتِهِ لِمَنْ يُجَاوِرُهُ مِنَ النَّاسِ وَيُنَاطِرُهُ .
وَيَقْهَمُ عَنْهُ أَوْ يَخَافُ سَطْوَتَهُ ، أَوْ لَى بِالرَّفْقِ بِصَاحِبِهِ
وَمُدَارَاتِهِ ، وَتَقْوِيمِ أَوْدِهِ^(١) مِنْ سَائِسِ الْبَهِيمَةِ
الَّتِي لَا تَحِيرُ جَوَابًا ، وَلَا تَعْرِفُ صَوَابًا ، وَلَا تَقْهَمُ
خَطَابًا ، إِلَّا بِقَدْرِ مَا يُصَيِّرُهَا إِلَيْهِ صَاحِبُهَا الرَّاكِبُ
عَلَيْهَا . أَلَا فَامْنُوا رَحْمَكُمُ اللَّهُ فِي النَّظَرِ ، وَاعْمَلُوا
فِيهِ مَا أَمَكَنَّكُمْ مِنَ الرُّوْيَةِ^(٢) وَالْفِكْرِ ، تَأْمَنُوا

(١) أوده : اعوجاجه (٢) الروية : انعام النظر والتؤدة

يَاذَنْ اللَّهُ مِمَّنْ صَحِبْتُمُوهُ النَّبُوَّةَ ، وَالِاسْتِثْقَالَ وَالْجَفْوَةَ ^(١) ؛
وَيَصِيرُ مِنْكُمْ إِلَى الْمُوَافَقَةِ ، وَتَصِيرُوا مِنْهُ إِلَى
الْمُؤَاخَاةِ وَالشَّفَقَةِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَلَا يُجَاوِزَنَّ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي هَيْئَةٍ مَجْلِسِهِ وَمَلْبَسِهِ ،
وَمَرْكَبِهِ وَمَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ ، وَبَنَائِهِ وَخَدَمِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ
مِنْ فُنُونِ أَمْرِهِ ، قَدَرِ حَقِّهِ ، فَإِنَّكُمْ مَعَ مَا فَضَّلَكُمْ
اللَّهُ بِهِ مِنْ شَرَفٍ صَنَعْتَكُمْ ، خَدَمَةً لَا تُحْمَلُونَ فِي
خِدْمَتِكُمْ عَلَى التَّقْصِيرِ ، وَحَفَظَةً لَا تُحْتَمَلُ مِنْكُمْ
أَفْعَالُ التَّضْيِيعِ وَالتَّبَذِيرِ . وَأُسْتَعِينُوا عَلَى عَفَافِكُمْ
بِالْقَصْدِ فِي كُلِّ مَا ذَكَرْتُهُ لَكُمْ ، وَقَصَصْتُهُ عَلَيْكُمْ ،
وَاحْذَرُوا مَتَالِفَ السَّرَفِ ^(٢) وَسُوءَ عَاقِبَةِ التَّرَفِ ^(٣) ،

(١) الجفوة : البعد والغلظ (٢) السرف : تجاوز الحد

(٣) الترف : التعم وسعة العيش

فَإِنَّهُمَا يُعْقِبَانِ الْفَقْرَ وَيُذِلَّانِ الرَّقَابَ ؛ وَيَفْضَحَانِ
 أَهْلَهُمَا ، وَلَا سِيَّامَا الْكُتَّابَ وَأَرْبَابَ الْآدَابِ ، وَلِلْأُمُورِ
 أَشْبَاهَهُ ، وَبَعْضُهَا دَلِيلٌ عَلَى بَعْضٍ ، فَاسْتَدِلُّوا عَلَى
 مُؤْتَنَفِ أَعْمَالِكُمْ ، بِمَا سَبَقَتْ إِلَيْهِ تَجَرِبَتُكُمْ ؛ ثُمَّ
 اسْأَلُوا مِنْ مَسَالِكِ التَّدْيِيرِ أَوْصَحَهَا مُحَجَّةً ، وَأَصْدَقَهَا
 حُجَّةً ، وَأَحْمَدَهَا عَاقِبَةً .

وَأَعْلَمُوا أَنَّ لِلتَّدْيِيرِ آفَةً مُتْلِفَةً — وَهِيَ الْوَصْفُ
 الشَّاعِلُ لِصَاحِبِهِ عَنْ إِنْفَازِ عَمَلِهِ وَرُؤْيَتِهِ ، فَلْيَقْصِدِ
 الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي مَجْلِسِهِ قَصْدَ الْكَافِي مِنْ مَنْطِقِهِ ،
 وَلْيُوجِزْ فِي ابْتِدَائِهِ وَجَوَابِهِ ؛ وَلْيَأْخُذْ بِمَجَامِعِ حُجَجِهِ ؛
 فَإِنَّ ذَلِكَ مَصْلَحَةٌ لِفَعْلِهِ ، وَمَدْفَعَةٌ لِلتَّشَاغُلِ عَنْ
 إِكْثَارِهِ . وَلْيَضْرَعْ إِلَى اللَّهِ فِي صَلَاةِ تَوْفِيقِهِ ، وَإِمْدَادِهِ

بِتَسْدِيدِهِ ، مَخَافَةَ وَقُوعِهِ فِي الْغَلَطِ الْمُضِرِّ بِيَدِنِهِ ،
وَعَقْلِهِ وَأَدَبِهِ ، فَإِنَّهُ إِنْ ظَنَّ مِنْكُمْ ظَانًّا ، أَوْ قَالَ
قَائِلًا ، إِنَّ الَّذِي بَرَزَ مِنْ جَمِيلِ صَنَعَتِهِ وَقُوَّةِ حَرَكَتِهِ ،
إِنَّمَا هُوَ بِفَضْلِ حِيلَتِهِ ، وَحُسْنِ تَدْبِيرِهِ ، فَقَدْ تَعَرَّضَ
بِظَنِّهِ أَوْ مَقَالَتِهِ ، إِلَى أَنْ يَكِلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى
نَفْسِهِ ، فَيَصِيرَ مِنْهَا إِلَى غَيْرِ كَافٍ ، وَذَلِكَ عَلَى مَنْ
تَأَمَّلَهُ غَيْرُ خَافٍ .

وَلَا يَقُلْ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِنَّهُ أَبْصَرَ بِالْأُمُورِ ، وَأَحْمَلُ
لِعِبَاءِ التَّدْبِيرِ ، مِنْ مُرَافِقَتِهِ فِي صِنَاعَتِهِ ، وَمُصَاحِبِهِ
فِي خِدْمَتِهِ ؛ فَإِنَّ أَعْقَلَ الرَّجُلَيْنِ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ ،
مَنْ رَمَى بِالْعُجْبِ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ، وَرَأَى أَنَّ صَاحِبَهُ
أَعْقَلُ مِنْهُ وَأَحْمَدُ فِي طَرِيقَتِهِ .

وَعَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ ، أَنْ يَعْرِفَ فَضْلَ نِعَمِ
 اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ، مِنْ غَيْرِ اغْتِرَارٍ بِرَأْيِهِ ، وَلَا تَزَكِيَةٍ
 لِنَفْسِهِ ، وَلَا تَكَاثُرٍ عَلَى أَخِيهِ أَوْ نَظِيرِهِ ، وَصَاحِبِهِ
 وَعَشِيرِهِ ، وَحَمْدُ اللَّهِ وَاجِبٌ عَلَى الْجَمِيعِ ، وَذَلِكَ بِالتَّوَاضُّعِ
 لِعَظَمَتِهِ ، وَالتَّذَلُّلِ لِعِزَّتِهِ ، وَالتَّحَدُّثِ بِنِعْمَتِهِ » .
 وَأَنَا أَقُولُ فِي كِتَابِي هَذَا ، مَا سَبَقَ بِهِ الْمَثَلُ (مَنْ
 يَلْزِمُ الصِّحَّةَ يَلْزِمُهُ الْعَمَلُ) وَهُوَ جَوْهَرُ هَذَا الْكِتَابِ
 وَغُرَّةُ كَلَامِهِ ، بَعْدَ الَّذِي فِيهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ،
 فَلِذَلِكَ جَعَلْتُهُ آخِرًا وَتَمَّمْتُهُ بِهِ . تَوَلَّانا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ
 يَا مَعْشَرَ الطَّلَبَةِ وَالْكَتَبَةِ ، بِمَا يَتَوَلَّى بِهِ مَنْ سَبَقَ
 عِلْمُهُ بِإِسْعَادِهِ وَإِرْشَادِهِ ! فَإِنَّ ذَلِكَ إِلَيْهِ وَبِيَدِهِ .
 وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .



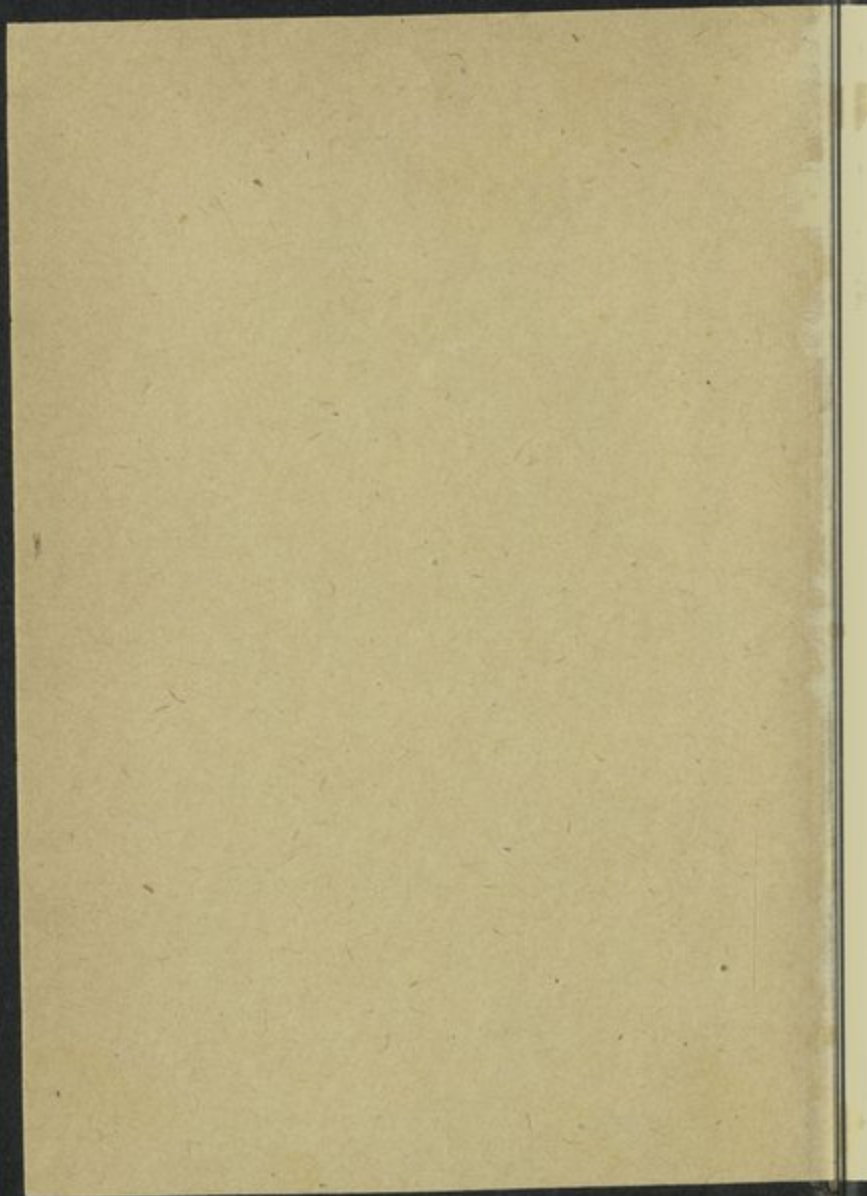
وَالْآنَ : نَقِفُ بِكَ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ مِنْ تَذَوُّقِ
 تِلْكَ الطَّرَفِ الْأَدَبِيَّةِ الرَّائِعَةِ ، الَّتِي تَصْقُلُ لَكَ
 الْخَاطِرَ ، وَتُجَلِّي فِيكَ النَّفْسَ ، وَتُمَتِّعُ لَدَيْكَ الرُّوحَ ،
 وَتُعْذِّي مِنْكَ الْعَقْلَ ، وَتُقَيِّدُكَ أَدَبًا يَانِعًا ، وَدَوَقًا
 رَائِعًا ، وَمَادَّةً وَعِلْمًا ، وَمَنْطِقًا وَحِكْمًا ، وَنَأْمُلُ
 أَنْ نُحَدِّثَكَ فِي كِتَابِنَا الْقَادِمِ ، وَهُوَ التَّذْيِيلُ عَلَى
 الْمُقَدِّمَةِ عَنِ الرَّسَالَةِ الْعُذْرَاءِ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُذْبِرِ
 وَعَمَّا اخْتَارَهُ لَنَا الشَّيْخُ مِنْ دُرُوسٍ فِي أَبْوَابِ الْبَيَانِ
 وَكُتُبِ الْأَمَانِ ، وَعُيُونِ الْأَدَبِ ، وَمُخْتَارَاتِ النَّقْدِ
 وَالْخُطَبِ ، وَنَرْجُو أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي الْقَرِيبِ
 الْعَاجِلِ إِنْشَاءَ اللَّهِ بِمَنْنِهِ وَحَوْلِهِ م

[Faint, illegible handwriting, likely bleed-through from the reverse side of the page.]

فهرست

الموضوع	الصحيفة	الموضوع	الصحيفة
	من إلى		من إلى
أيام العرب	٢٧٧ ٢٧٦	كلمة العماد الاصفهاني	٥ ٣
النظر في التواريخ	٢٧٨ ٢٧٧	المقدمة	٦ ٥
حفظ أشعار العرب	٢٨٢ ٢٧٨	دعاء لطالب العلم	٨ ٦
الأمثال العربية	٢٨٢	موضوع الكتاب	٩ ٨
التمثيل بالشعر	٢٨٣	رسالة المعري	٥٦ ٩
الأحكام السلطانية	٢٨٥ ٢٨٣	أدب الوزير	١١٥ ٥٦
علوم البلاغة	٢٨٨ ٢٨٥	كنه الوزارة	١٤٦ ١١٦
المعاني والبيان والبديع		إقدام الوزير وأقسامه	١٨٨ ١٤٦
الصفات العرفية	٢٩٤ ٢٨٨	التقليد والعزل	١٩٨ ١٨٨
آداب الكتاب نوعان	٣٠٥ ٢٩٤	العزل	٢١٠ ١٩٨
عشرة الملوك والعظماء	٣٢٧ ٣٠٥	المشورة والرأي	٢١٦ ٢١٠
عشرة الأكفاء	٣٣٠ ٣٢٧	عناية الوزير بالملك	٢٢٠ ٢١٦
عشرة الأتباع	٣٣٢ ٣٣٠	حرص الوزير على	٢٧٣ ٢٢٠
عشرة الرعية	٣٣٤ ٣٣٢	مصلح الملك	
عشرة الأقارب	٣٣٥ ٣٣٤	مقالة شهاب الدين الحلبي	٢٧٣
تتمة آداب الكتاب	٣٣٦ ٣٣٥	كتب النحو	٢٧٤ ٢٧٣
رسالة عبد الحميد الكاتب	٣٤٨ ٣٣٦	كتب اللغة	٢٧٥ ٢٧٤
كلمة الختام	٣٤٩	خطب البلقاء	٢٧٦ ٢٧٥

مطبعة المعارف ١ / ٥١٠٠ / ١٩٣٦



DATE DUE



892.708:R56mA:v.2:c.1

رفاعي، احمد فريد

مكتبة القراءة والثقافة الادبية للجيب

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01032563

American University of Beirut



892.708

R56mA

V. 2

General Library

